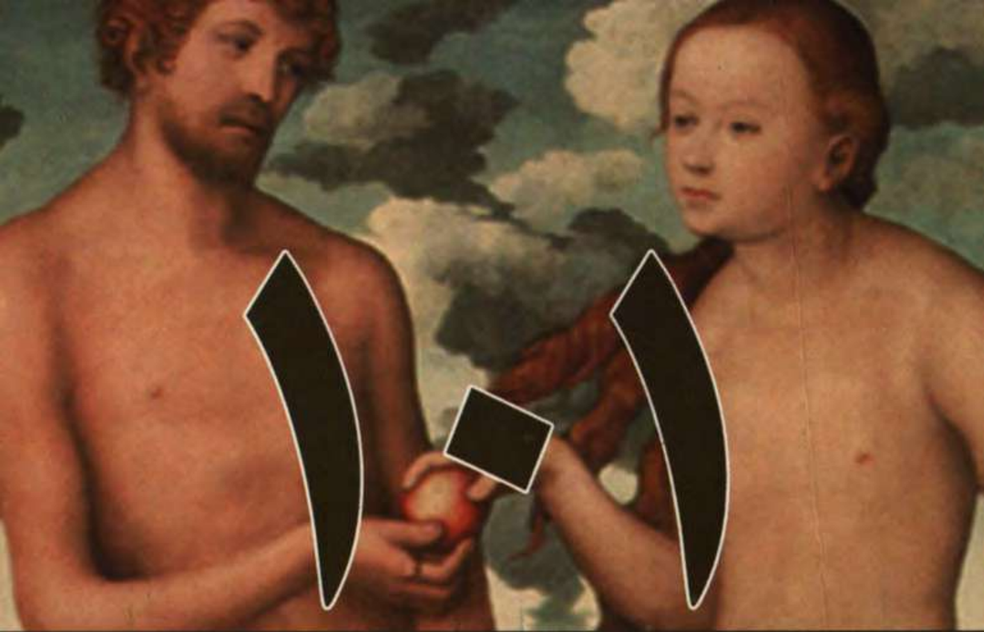


١٠١ أسطورة توراتية

كيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي

تأليف : جاري جرينبرج
ترجمة : دينا إمام



١٠١
أسطورة توراتية
وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي

١٠١ أسطورة توراتية

وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي

ترجمة: دينا السيد عبد الرؤوف إمام

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الانكليزي

101 MYTHS OF THE BIBLE

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونيًا من المؤلف

GARY GREENBERG

الطبعة الأولى/ ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر

٤ ممر بهلر – قصر النيل – القاهرة

تليفون: ٢٢٣٩٦٢٤٧٥، فاكس: ٢٢٣٩٦٢٤٧٦

E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار

أ.د. أحمد شوقي

أ. خالد فهمي

أ.د. فتح الله الشيخ

أ.د. فيصل يونس

أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي

المدير العام

د. فاطمة البودي

الغلاف: محمد عبد العزيز

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٣/٤٨٩٠

I.S.B.N: 978 - 977 - 490 - 220 - 8

١٠١
أسطورة توراتيـة
وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي

تأليف
جاري جرينبرج

ترجمة
دينا السيد عبد الرؤوف إمام

مراجعة
د. منير موسى

دار العين للنشر

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جرينبرج، جاري.

١٠١ أسطورة توراتيــة وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي/ تأليف: جاري جرينبرج؛ ترجمة: دينا السيد عبد الرؤوف إمام؛ مراجعة: منير موسى.

دار العين للنشر: الإسكندرية، ٢٠١٣

ص؛ سم.

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٠ ٢٢٠ ٨ ,

١ – التوراه

أ– إمام، دينا السيد عبد الرؤوف (مترجم)

ب– موسى، منير (مراجع)

٢٧٢,٢

رقم الإيداع/ ٤٨٩٠ / ٢٠١٣

المحتويات

تصديــر

يتناول هذا الكتاب العديد من قصص "العهد القديم" بالفحص والتمحيص لإظهار الطابع الأسطوري لهذه الروايات. هذه القصص اختيرت من بين ثلاث فئات:

الأولى: هي عدد من الروايات المتناقضة التي جمعتها من التوراة. إلا أنني لم أكتفِ بإظهار التباينات الظاهرة، وإنما أردت شرح كيفية نشوء هذه التباينات. كان هذا مبعث تشويق بالنسبة لي. فما القصة وراء هذا التباين؟ عكست هذه التباينات في العديد من المرات تلك الشقاقات والحروب السياسية التي نمت بين مملكتي "يهوذا" و"إسرائيل"، وفي مرات أخرى جاءت نتيجة لإحلال قصة جديدة مكان قصة أقدم. ويظهر هذا بوضوح في قصتي "الخلق" و"الطوفان"، حيث تتعارض الروايات المصرية المنشأ مع الروايات البابلية والتي ظهرت في وقت لاحق للرويات المصرية.

الثانية: القصص الوثيقة الصلة بروايات مبكرة. وقد بحثت عنها بين الأساطير والخرافات الواسعة الانتشار في الحضارات المجاورة. وإن كانت هذه التأثيرات قد ظهرت بجلاء أحيانًا، كما هو الحال في أسطورة "الطوفان البابلي"، فهي صعبة التبيان في أحيان أخرى، وذلك بسبب تشدد كتبة التوراة في منظورهم التوحيدي للديانة اليهودية، إذ محوا كل الرموز الملازمة للآلهة غير العبرانية من تلك القصص. كذلك حولوا الآلهة الوثنية إلى شخصيات بشرية، وفي أحيان أخرى قاموا باستبدال الأماكن الجغرافية للأساطير الأصلية.

وقد نجح هذا الأسلوب في إخفاء حقيقة أصل القصة التوراتية، مما صعَّب عملية اكتشاف الأصل الأسطوري لها، إلا أن كتبة التوراة غالبًا ما ارتكبوا أخطاء في الرواية أظهرت بعض الدلائل على هذا الأصل الاسطوري، فبقيت إمكانية تجريدها من هذا الغموض.

أما الفئة الثالثة: فهي تلك القصص المستحيلة الحدوث. وفي هذه الحالة انصب تركيزي على المعلومات المستقاة من الأبحاث الأثرية، التي تشير لوقوع هذه الأحداث المذكورة في "العهد القديم"، بصفتها أحداثًا حقيقية جرت في زمن بعينه.

تضمنت العديد من هذه القصص وصفًا لتدمير مدن من تلك المعادية لـ"إسرائيل" في خضم الحملات العسكرية الإسرائيلية في منطقتي "الأردن" و"كنعان". أشارت الدلائل الأثرية إلى عدم وجود هذه الأماكن في عصر موسى و يوشع.

وفي هذه الفئة قررت بصفة خاصة تجنب القصص الإعجازية الطابع. إذ إن الطرح الإعجازي خرق واضح لقوانين الطبيعة. فإذا قلت إن قصة الخلق في سبعة أيام ضرب من الإعجاز الذي أرفضه على هذا الأساس، سأكون محقًا في رفضي. إلا أن إدراج مثل هذه القصص ومناقشة منطقيتها من عدمه لن يكون بذي جدوى، فبالنسبة للمؤمنين بقدرة الرب على مثل هذه المعجزات وخرق قوانين الطبيعة ستكون هذه المناقشات بلا طائل يُذكر. على حين أن الوعظ المتضمن واضح بما فيه الكفاية لغير المؤمنين بمنحاها الإعجازي، مما يسلب عملية تفنيدها أي قدر من الإثارة والتشويق.

مع ذلك أنا لا أتجاهل الأساطير في المجمل إنما أستعيض عن نفيهم بوصفهم خروقات لقوانين الطبيعة بالبحث والتنقيب عن القصص الكامنة خلفهم للكشف عن التأثيرات الأصلية التي حدثت بظهور القصة التوراتية وتبيان المصدر الذي لجأ له المؤلف في كتابتها.

سأحاول على مدى الكتاب أن أبسط العديد من الفرضيات التي يتفق على صحتها معظم علماء اللاهوت. إلا أنني سأعرض في العديد من الحالات الأخرى وجهات نظر جديدة تجاه بعض الأمور المحيرة التي لم يبحثها المجتمع الأكاديمي بشكل جيد بعد. فينصب اهتمامي بشكل خاص على إظهار التأثير العظيم للأساطير والكتابات المصرية القديمة على التاريخ المبكر للعهد القديم وهو الأمر الذي تم تجاهلة.

إنه لمن سوء الحظ أن تغافل علماء اللاهوت والمختصون في علوم المصريات عن التأثيرات المصرية القديمة في رواية التوراة. بحيث يظهر لنا وجود جهد واعٍ ومتعمد في الفصل بين الدائرتين، إلا أن العهد القديم يظهر لنا وجود علاقة طويلة وقديمة بين مصر القديمة وبني إسرائيل، إذ أمضى بنو إسرائيل سنوات نشأتهم وتكوينهم في مصر حيث تقمصوا أسلوب الحياة المصرية وأفكارها لعدة قرون قبل الخروج.

يذكر "العهد القديم" أن يوسف عمل كرئيس وزراء لـمصر، كما تزوج من ابنة كبير كهنة هليوبوليس (مدينة أون كما جاء في التوراة) ولقد كانت هليوبوليس أحد أهم المراكز الدينية في مصر ومن أكثرها تأثيرًا، أما ابنا يوسف فكانا إفرايم و منسه، وبطبيعة الحال كان

نسبهما نصف مصري وكان تعليمهما مصريًا، ولقد صار "إفرايم" خليفة لـ"يوسف" ومؤسس مملكة "إسرائيل"، في حين أصبح سبط "منسة" صاحب أوسع الحدود السياسية بين أسباط "إسرائيل".

ترعرع "موسى" داخل البلاط المصري وحمل العديد من أفراد سبطه المدعو "لاوي" أسماء مصرية. وتزوج "سليمان" من ابنة فرعون وشيد لها معبدا في "القدس" حوى كما هو بديهي فيضًا من الكهنة وخدام المعبد من المصريين. وعندما فر "يربعام" من "إسرائيل" هربًا من غضب "سليمان" لجأ إلى "مصر" قبل أن يقود "إسرائيل" للانفصال عن "يهوذا".

وتاريخيًا كان لـ"مصر" تأثير قوي على "كنعان" من قبل زمن "الخروج" وحتى أواخر الألفية الأولى قبل الميلاد. لقد عُثر على سبيل المثال على ختم من القرن الثامن قبل الميلاد يعود لأحد المسؤولين العبرانيين من داخل بلاط الملك "هوشياع" (King Hoshea of Israel الإسرائيلي عام 730 ق. م يظهره مرتديًا المئزرة المصرية وفوقه الأيقونة المصرية المجنحة التي تحمل دلالة واضحة على قوة التأثير المصري على البلاط في مملكة "إسرائيل".

وفيما نتصفح قصص "الخلق" وآباء "إسرائيل" المؤسسين نرى أيضًا كيف هيمنت الأساطير المصرية على التفسيرات والمعتقدات العبرانية في تاريخها المبكر. تلك التأثيرات تعود بنا للتساؤل عن أصول المعتقدات التوحيدية لدى العبرانيين. فكيف ومتى وأين نشأت تلك المعتقدات؟

يظهر لنا أن الإيمان بإله واحد، حسب ما ورد بالعهد القديم، مر خلال مراحل من التطور. ففي المراحل المبكرة صور العبرانيون الإله الخالق بصفته الرب الواحد القادر، فيما ظهرت دلائل على وجود آلهة وثنية أخرى طمست بشكل واضح في صورة الملائكة. تلك الصورة ظلت المنشأ الرئيسي للديانة العبرانية الموحدة التي استمرت إلى الآن. إذ إن الديانات التوحيدية الكبرى المتمثلة في اليهودية والمسيحية والإسلام لم تزل تؤيد وجود تلك الوجودات الماورائية بخاصة الملائكة والشياطين. والتي تفسر على أنها مخلوقات من صنع الرب الخالق القادر كما هو حال الآلهة المصرية المتعددة بصفتها نتاج عمل إله الخلق "الواحد".

إن فكرة الرب الخالق القادر الذي صنع تلك الموجودات الخارقة ذات جذور مصرية قديمة. فهناك في "مصر" ساد الاعتقاد الجوهري بأن ثمة إلهاً خالقاً واحداً مسؤولاً عن خلق

كل الموجودات بما فيها وجود الآلهة الأخرى، ذلك الاعتقاد لم يكن له وجود في أي ديانة أخرى من ديانات الشرق الأدنى، فلقد كان اللاهوت المصري، مبدئيًا، هو المسؤول عن مثل هذه المعتقدات المنسوبة للعبرانيين في العصور المبكرة، كما سنرى من خلال العديد من أساطير الخلق المصرية التي تبنتها العقيدة التوراتية على مدى تاريخها.

لكن بمرور الوقت تغير هذا الطابع اللاهوتي، فبينما عبد المصريون العديد من الآلهة الأخرى بجانب الرب الخالق، زاد التشديد على عبادة هذا الرب الخالق بلا منازع، بحلول زمن موسى، ولم يعبد أحد ملائكة الرب. ولقد انعكس هذا على الأمر التوراتي القائل بأن "لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي". وهو الأمر الذي يعكس وجود نوع من العبادة المتعددة الألوهية "Henotheism" وليس على العبادة التوحيدية "Monotheism".

لزمن قصير خلال منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد، خبرت مصر نوعاً من الديانة التوحيدية الشمولية تحت حكم الفرعون المدعو "إخناتون". هذا اللاهوت الإخناتوني لم يدرس بما فيه الكفاية حتى الآن، إلا أن وجود مثل هذا الإعتقاد–حينما كان بنو إسرائيل ما زالوا مقيمين في مصر– كاف لطرح التساؤلات حول تأثير تلك الأفكار في النخبة العبرانية المتعلمة هناك. ولئن اعوج السبيل بعلماء اللاهوت والمصريات لنصب حائط لا يُخترق بين إخناتون وموسى، يظل صرحهم هذا واهيًا في الواقع، إذ لا يرتكن إلى أي واقع مادي صلب.

في كتابي السابق "لغز موسى: الأصل الإفريقي للشعب اليهودي" The Moses Mystery: The African Origins of the Jewish People" الذي أعيد طبعه تحت عنوان "أسطورة التوراة The Bible Mith"، حاولت بحث الأدلة والبراهين على أن "موسى" عمل ككاهن من كهنة ديانة إخناتون، وأن الخروج كان نتيجة للصراعات التي قامت بين خلفاء "إخناتون" الذين حاولوا ربط جماح تلك المعتقدات وما لها من أتباع، الذين هم بدورهم فقدوا سلطانهم بعد مماته.

وبغض النظر عن آرائي الشخصية، فإن العبرانيين المصورين في التوراة لم يستطيعوا قط تبني الوحدانية الخالصة، بل إن ديانتهم لم تكن قط ذات ملامح واحدة أو شمولية، فالعديد من الأسماء التوراتية في زمن ما قبل "الخروج" كـ"بعل" (Baal) كان إسم لأحد أكبر آلهة "كنعان". أما "جدعون (Gideon) الذي كانن من أشهر قضاة إسرائيل الأوائل، كان

يعُرف أيضًا بإسم "يربعل "(Jerub-Baal) كما كان لـ"شاول" أول ملوك إسرائيل ابن يدعى "اشبعل" (Esh-Baal) لقد كان هذا الابن خليفته على العرش. ولقد صارت هذه الأسماء المقترنة بالإله "بعل" مثار إحراج لمنقحي أسفار "التوراة" الذين إما أضافوا بعض التعقيبات على النص المكتوب لشرح هذا التضارب الواضح في النص أو غيروا الإسم "بعل" إلى الإسم "بوشث Bosheth وهي كلمة تعي المهانة أو العار بالعبرانية.

إن الإيمان بالآلهة الأخرى يتعدى التفسيرات الحالية. فعلى سبيل المثال كان لـ"سليمان" العديد من الأزواج الغير عبرانيات وقد شيد لهن العديد من الأقداس لكي يمارسن طقوسهن الدينية الغير عبرانية. ولقد أرجع الكتبة اللاحقون إنقسام مملكة "سليمان" لغضب الرب منه على كفره. إلا أن "يربعام" أول ملوك "إسرائيل" بعد إنفصالها عن "يهوذا" لم يكتفي بتنصيب العجول الذهبية في المراكز الدينية لمملكته بل تجاوز ذلك لنصب العديد من المعابد المنافسة لمثيلاتها داخل "القدس". وكما يخبرنا كتبة "التوراة" فقد داوم العبرانيون خلال العصر الملكي علي تبني التأثيرات الدينية الكنعانية والفلسطينية.

تحت حكم الملك يوشيع (640 – 609 ق. م.) أقرت العديد من الإصلاحات الدينية القاسية التي شملت التشدد في معارضة عبادة الأوثان. مع ذلك يظل من غير المؤكد ما إذا كانت الوحدانية الصرفة جزء من الديانة العبرانية في ذلك الوقت. لكن من المؤكد أن التقاليد المبكرة بطنت التراث العبراني وكتاباته في ذلك الزمان. في النهاية استطاع منقح وحيد أو لربما مدرسة وحيدة من المنقحين في زمن ما بعد القرن الخامس قبل الميلاد من تجميع التراث ومعظم المصادر الرئيسية لـ"التوراة" وإصدار أول نسخة من التاريخ التوراتي على هيئته الحالية، محررينه بأفضل الطرق الممكنة ومتخلصين فية من التضاربات الناتجة عن طابعه التوحيدي الحالي وطابعه الوثني السابق.

وكما هو حال الأساطير دائمًا، من حيث البناء الخيالي والمغلوط، يظل الناتج مصنوع صنعًا. وكما هو حال المشغولات اليدوية التي يُعثر عليها في أماكن التنقيب الأثري من طبقات مختلفة من التربة التي تدلنا على العصور الزمنية المختلفة بما في ذلك التطور التاريخي والحضاري لأصحابها، تدلنا الطبقات الأسطورية داخل نسيج "التوراة" وطبقاته عن هوية البشر الذين آمنوا بها. لذلك فإننا سنفحص في كتاب "101 أسطورة توراتية" تلك الطبقات من المشغولات الأسطورية لنرى ما تكشفه لنا كل طبقة عن كيفية وصول التاريخ التوراتي وحضارته لشكلهما الحالي.

ولتسهيل الأمر على القراء، حاولت ترتيب القصص التوراتية بحيث يتبع ظهورها ترتيب النص التوراتي. كما قسمت تلك القصص لثلاثة مجموعات تحت عناوين "أساطير الخلق" و"أساطير آباء إسرائيل" و"أساطير أبطال إسرائيل". وذلك لأن العديد من البشر يؤمنون بأن كتبة "التوراة" العديدين كانوا يكتبونه بوحي من السماء وبما أن هذا الكتاب يبحث في المصادر المتعددة لقصص "التوراة"، فضلت أن أفكر في هذه المجموعات كإعادة للهوامش التي وضعها الرب لـ"التوراة" لأعيد بذلك الإقتباسات التي محاها الكتبة لمصادرهم في الكتابة.

مقدمة

يلجأ البشر لقراءة "الكتاب المقدس" (The Bible) لأسباب شتى. فبعضهم يبحث عن الهدى والرشاد في حكمه المبطنة. وبعضهم يسعى لتذوق فنه الأدبي الذي يعد من أجمل ما كتب في السرد والشعر المرسل. و لم يزل البعض الآخر يرى فيه صورة من صور التاريخ المكتوب عن أصل جذورنا الحضارية. فيما يرنو له الكثيرون لتبصر أحوال حضارات غابرة ومطالعة حياة شعوبها.

لكن الكتاب المقدس، يظل بالنسبة للملايين، كلمة الرب المعصومة من الخطأ، التي يجب إطاعة وصاياها بكل تقوى والتي لابد لتعاليمها أن ترشدنا لتنظيم مجتمعنا. مع ذلك فهناك من يدرسون علوم "الكتاب المقدس" لأهداف بحثية ترمي لتحديد شخصيات كتبة وعصور كتابته وما فيه من وقائع حقيقية وكيفية تحولها للشكل الحالي. بالنسبة لهؤلاء تبدو تلك المهمة كأنها مجموعة معقدة من الأحاجي التي يبقى معظمها مستغلق على الحل.

هذا البحث العلمي ينصب شطر كبير منه على دراسة تطور أول خمسة أسفار من "العهد القديم":

"التكوين" (Genesis) و"الخروج" (Exodus) و"اللاويين" (Leviticus) و"العدد" (Numbers) و"التثنية" (Deuteronomy)، هؤلاء الذين يطلق على مجموعهم "أسفار موسى الخمسة" أو "بنتاتوك" "Pentateuch" (وهي كلمة إغريقية تعني "الصحاف الخمس" Five scrolls) أو "التوراة" (Torah) (وهي كلمة عبرية تعني "التعاليم"). معاً تتلو هذه الأسفار قصة "بني إسرائيل" التاريخية منذ بداية الخلق (creation) وحتى التيه في الصحراء بعد الخروج (Exodus) من "مصر" (Egypt). تكمن أهمية هذه الأسفار في أنها ترصد كيفية تطور علاقة الرب بـ"بني أسرائيل" (Israel). ففي البداية انصب التركيز على العهد المقطوع بين الرب و"آباء إسرائيل" (Patriarchs): "إبراهيم" (Abraham) و"إسحق" (Isaac) و"يعقوب" (Jacob) و"يوسف" (Joseph)، ثم لاحقا اتجه الاهتمام نحو علاقة

الرب بـ"موسى" (Moses). وفي النهاية تمت هذه الأسفار بموت "موسى" فيما تابع "بنو إسرائيل" عبورهم نحو الأرض الموعودة.

ورغم أن هذه الأسفار لا تدّعي بأي حال أن من كتبها هو "موسى"، فإنها على مدى الألفي عام منذ بداية تداولها وحتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا، كاد أن يجمع كل علماء اللاهوت على أن "موسى" هو مؤلفها الأوحد. لهذا فنحن ما زلنا ندعو هذه الأجزاء بـ"أسفار موسى" (Five Books of Moses).

على مدى بضعة قرون ورغم المعارضة الشرسة التي شنتها الكنائس، استطاع حفنة من العلماء إبراز عدد من المتناقضات المنطقية في الفكرة التي ترجع هذه الكتابات لـ"موسى". فمثلاً، هناك ما جاء في تلك الآية من (سفر التثنية 34:6) التي تقول: "وَدَفَنَهُ (يعني موسى) فِي الجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا اليَوْمِ."

فالآية لا تقتصر على وصف دفن "موسى" وإنما تزيد وتصرح بأن موقع قبره مجهول ليومنا هذا، ما يعني أن هذا الأصحاح قد كتب بعد موت "موسى" بقسط من الزمان وبالتالي يستحيل أن يكون هو نفسه من كتبه.

مع بداية القرن الثامن عشر شرع العديد من العلماء في الاهتمام أكثر فأكثر بمشكلة "الازدواجية" (doublets)، وهو المسمى الذي يطلق على وجود روايتين متعارضتين لحدث ما بداخل النص التوراتي. حتى لقد صار بإمكان القارئ العادي ملاحظة العديد من هذه الأمثلة، منها: وجود روايتين مختلفتين لقصة "الخلق" (creation)، وادعاءين مختلفين عن عدد الحيوانات التي حملت على ظهر سفينة "نوح" (Noah's Ark)، ووجود تفسيرين مختلفين لسبب تحويل "يعقوب" اسمه إلى "إسرائيل"، وحدوث موقفين متباينين حيث فاض بهما الصخر ماءً لـ"موسى" في "مَرِيبة" (Meribah)، وما إلى ذلك..

حينما خضعت هذه الازدواجية للتدقيق، لاحظ العلماء وجود بعض الخصائص الغير معتادة. كان أهمها، أنه في العديد من هذه الازدواجيات كانت إحدى مجموعات القصص تستخدم اللفظ العبري "يهوه" "Jahweh" وهو كنية الرب في العبرية في حين تستخدم المجموعة الأخرى اسم "الله/ الوهيم" "Elohim" [1]. عندما تم تصنيف هذه القصص وفقًا

(1) استعملت الترجمة الحرفية للكلمة الانجليزية الوهيم عند الحديث عن مصادر التوراة الاربعة أو اذا كان الأصل الانجليزي يتحدث عن الوهيم بمضمونه التوراتي وليس كمرجع لمفهوم الرب بشكل عام.

للاسم المستخدم بها ظهر أن القصص التي اجتمعت على إطلاق اسم ما على الرب كانت لها موضوعات وطرق سرد أدبية مختلفة عن تلك التي اجتمعت على استخدام الإسم الآخر.

هذا الانقسام في الاسلوب، وفي الموضوع، وفي اسم الرب المستخدم، قاد لنظرية تفيد بأن هناك على أقل تقدير صنفان منفصلان من الكتابة الأدبية تم دمجهما معًا في وثيقة واحدة، أحدهما على الأقل كتبه آخر غير "موسى" وفي زمن متأخر عنه.

الفرضية الوثائقية

قاد هذا الفرع البحثي العلماء لكشف أكثر إبهارًا. فمع بدايات القرن التاسع عشر أظهرت تحليلات الجداول الزمنية، وتسلسلات القصص، وأساليب السرد الأدبي، والموضوعات الدينية المتناولة، أن هناك ما لا يقل عن أربعة وثائق لها مرجعية منفصلة أدمجت داخل "أسفار موسى"، لكل منها نظرتها الضمنية الخاصة التي تمت كتابتها خلال عصور مختلفة. طبعًا كان من المنطقي القول بوجود شخص آخر مزج هذه المراجع في رواية واحدة.

خلال القرن التاسع عشر، ظهر مناصرين لهذا الرأي من أمثال "يوليوس ويلهاوسين" "Julius Wellhausen" (1844 – 1918)، وهو العالم الأكثر تأثيرًا بين العلماء الذين عقدوا العزم على استكشاف طبقات وتسلسلات تلك المراجع الأربعة. وهكذا فبنهاية القرن كان قد تم إرساء نظام عام لدراسة "أسفار موسى". اطلق على هذا الطرح المتعدد المرجعية اسم "الفرضية الوثائقية" (The Documentary Hypothesis). ونادرًا ما تجد الآن باحث في عاوم اللاهوت ممن لا يقبلون بشكل من أشكال تلك الفرضية.

يشير مصطلح "الفرضية الوثائقية" في عمومه الي وجود أربعة مصادر مرجعية كبرى لأسفار "العهد القديم" [1]، هذه المصادر مرت بعدة مراحل من التطور سبقت تحولها إلى قصة واحدة. أطلق على هذه المراجع الأربعة اسماء: "الياء" (J) و"الألف"(E) و"الكاف" (P) و"التاء" (D).

عندما نأتي للحديث عن مؤلفي هذه المراجع، يجب أن نذكر أنها لربما كانت نتاج تعاون مشترك في التأليف تعاقبت على كتابته أعداد غفيرة من الأدباء أو المدارس الأدبية. أما ما يلي من وصف لهذه المراجع، فيجب أن نعده مجرد تعريف بها، فحتى نوفي الموضوع حقه يجب أن نفرد له أجزاء ضخمة تبحث فيما يتعلق بهذه المراجع من صفات وما يتصل بها من موضوعات مختلفة.

---

(1) تعليقا للمراجع
وفقا للمؤلف: المصادر المرجعية الكبري لأسفار العهد القدم:

- مرجع/ مصدر الياء أو اليهوي (J source) (نسبة الي الاسم العربي للرب يهوه "Yahweh")
- مرجع/ مصدر الألف (E source) أو الالوهيمي (نسبة الي اسم اخر للرب في اللغة العبرية وهو الوهيم "Elohim") – استعمل اسم الوهيم بدلا من الله للحفاظ علي السياق والتزاما بالاسماء التي استعملها المؤلف
- مرجع/ مصدر الكاف (P source) أو الكهنوتي (نسبة الي الاسم باللغة الانجليزية وهو Priestly) وهو ليس مصدرا قائما بذاته بل يعتبر جزء داخل مرجع الالف)
- مرجع/ مصدر "التاء" (D source) أو التثنوي (نسبة الي سفر التثنية Deuteronomy)

مرجع "اليـاء"

يشي اسم مرجع "الياء" (J source) بالوثائق التي تتناول الاسم العبري للرب "يهوه" "Jahweh". يعرف هذا المرجع أيضا بمرجع اليهوية نسبة للنطق الألماني لإسم "يهوه" "Yahweh". يقدم مرجع "الياء" في الأساس سردًا موضوعيًا لتاريخ "بني إسرائيل" ابتداء من قصة "الخلق" وقصة "آدم" (Adam) و"حواء" (Eve) حتى قصة "الطوفان" (The flood) متابعًا لرواية عصور الآباء (Patriarchal period)، منذ الخروج من "مصر" وإلى زمن التيه في الصحراء. اقتنع بعضًا من العلماء بأن تاريخ مرجع "الياء" استمر في الأصل حتى أزمنة الملكين "داود" (David) و"سليمان"(Solomon) وأن أجزاء من هذا المرجع تعدت ذلك لتطال أسفار أخرى من "العهد القديم" فيما يزيد عن "أسفار موسى " منها مثلاً: أسفار "يشوع " (Joshua) و"صموئيل الأول والثاني "(1 and 2 Samuel) و"الملوك الاول" (1 kings).

تظهر آلهة مرجع "الياء" بعض الصفات الأدمية فهي تتفاعل ماديا مع البشر وتبدي مشاعر وردود أفعال إزاء ما يجري من الأحداث. يقل اهتمام مرجع "الياء" بالتواريخ الصحيحة والترتيب الزمني، كما يركز على الأحداث والمواقع المهمة بالنسبة لمملكة "يهوذا" (Kingdom of Judah) أثناء حكم الملك "داود" ومن خلفوه. فيه يؤول ميثاق الرب مع آل اسرائيل لـ"يهوذا" (Judah) رابع أبناء "يعقوب" البكر ومؤسس سبط "يهوذا " الذي انتمى له "داود". في هذا المرجع يزداد التركيز على آباء "اسرائيل" المؤسسين خلاف "موسى".

من الجائز أن نشأة مرجع "الياء" تعود لزمن الملك "داود" (بدايات القرن العاشر قبل الميلاد) لكن امتلائه بروايات تتناول خلافات مملكتا "يهوذا" و"اسرائيل" التي بدأت بعد موت "سليمان"، ترجح أن الأقرب للتصور هو أنه نشأ في وقت لاحق على انفصال مملكتي "يهوذا" و"إسرائيل" (أواخر القرن العاشر قبل الميلاد) وذلك قبل الغزو الآشوري (Assyrian conquest) وتدمير "اسرائيل" عام 722 ق. م.

مرجعي "الألف" و"الكاف"

خلال المراحل الأولية للبحث في نشأة الوثائق المرجعية المكونة للكتاب المقدس، دار مرجع "الألف" (E source) حول القصص التي استخدمت اسم الرب المدعو "الوهيم" "Elohim" [1]. لكن التحليلات الإضافية أظهرت أن مرجع "الألف" يتكون من مصدرين مختلفين، يستخدم كلاهما اسم "الله" كلقب للرب، لكل منهما رأيه المختلف في تناول الموضوعات. فلقد اهتم المرجع الثاني المتضمن داخل مرجع "الألف" بالمعاني والطقوس الكهنوتية، كما اهتم بتحديد التواريخ الصحيحة للأحداث وأعدادها وقياساتها. لهذا اطلق عليه مرجع "الكاف"(P source) أو المرجع الكهنوتي(priestly source).

وفيما ظهرت آلهة مرجع "الألف" حاضرة متجسدة كما هو الحال في مرجع "الياء" بدت آلهة مرجع "الكاف" نائية وبمعزل عن البشر. فعلى حين تقوم الآلهة المتجسدة بالاندماج مع الانسانية في نقاشات متبادلة، تنأى آلهة مرجع "الكاف" عن الخوض في مثل هذه التفاعلات.

إنه لمن المتفق عليه أن مرجع "الألف" أقدم وجودًا من مرجع "الكاف" لكن لعل وجوده كان أحدث عهدًا من مرجع "الياء". فمن المرجح أنه يعود لزمن سابق على الغزو الآشوري. ينصب تركيز كَتبة الألوهية (عودة الى اسم الله) على الأحداث والموضوعات المبنية على أساس مملكة "إسرائيل"، كما ينهضون في معارضة ادعاءات مرجع "الياء". فمثلا ينص مرجع "الألف" على أن العهد المضروب بين الرب و"بني اسرائيل" امتد من "بني يعقوب" إلى "يوسف" وحتى "أبناء إفرايم"(Ephraim)، الذين كانت حدود ممالكهم تمثل عاصمة "إسرائيل" بعد انقسام مملكتي العبرانيين(Hebrew Kingdoms). يشتد ترويج مرجع "الألف" لـ"موسى" بوصفه بطلاً قوميًا كما يزداد تركيزه على أعماله على حساب ذكر أعمال الآباء الأوائل. في حين يقل اهتمامهُ بالموضوعات العقائدية الدينية على عكس مرجعي "الياء" و"الكاف". فإنه انطلاقًا من رواية أزمنة الآباء بعد "الطوفان" يبدأ تأريخ مرجع "الألف" ولا يأتي فيه اي ذكر لقصة "الخلق".

(1) تم استعمال "الوهيم " كترجمة حرفية للكلمة الانجليزية "Elohim" وذلك عند الحديث عن مصادر التوراة الاربعة أو اذا كان المؤلف يتحدث عن الوهيم بمضمونه التوراتي وليس بالمفهوم العام للاله الواحد. وخلاف ذلك يرمز للاله الواحد بـ"الله" أو "الرب" وهما من المرادفات الأكثر استعمالا في اللغة العربية عند التعبير عن الاله الواحد.

تعكس العديد من الازدواجيات في مرجعي "الألف" و"الكاف" حروبًا إعلامية سياسية ودينية بين مملكتي "اسرائيل" و"يهوذا" بعد انفصالهما. آمنت "يهوذا" بضرورة وجود حكومة مركزية قوية تعمل من داخل "القدس"(Jerusalem) يكون ممثل السلطة العليا فيها هو الملك. أما مرجع "الألف" فكانت الغلبة فيه لاتحاد من أمم عدة (تكونت نظريا من عشرة أسباط) فضلت نوعا من النظم الغير مركزية المتعددة الميول السياسية والدينية. لربما كان كاتب مرجع "الألف" كاهنًا لاويًا (Levite priest) من أسلاف "موسى". جاء في أغلب الأمر من مركز إحدى طوائف "شيلون" (Shiloh) التي تحالفت مع "اسرائيل" عقب انفصالها عن "يهوذا".

يبدو أنه في عصر سابق على اكتمال "أسفار موسى" قام شخص ما بدمج مرجعي "الالف" و"الكاف" في سياق واحد، ذلك بعد أن حذف ونقح أجزاء كبيرة من كليهما.

بالإضافة لما يبديه مرجع "الكاف" من نظرة مختلفة تجاه الألوهية، يتميز هذا المرجع بارتباطه الوثيق بالشق الكهنوتي التابع لـ "هارون" (Aaron). يصور الكتاب المقدس "هارون" و"موسى" بوصفهم شقيقين من عشيرة "اللاويين" وهنا تظهر إحدى الآراء المتضاربة في "العهد القديم" والتي تتعلق بما إذا كانت إناطة الوظائف الكهنوتية الرئيسية في المعبد تقتصر على أتباع "هارون" أم أنها تمتد لتشمل جميع شُعُب "اللاويين" (tribe of Levi). يميل مرجع "الكاف" لترجيح كفة "هارون" على حساب "موسى" فيفرد الحجج على أولوية أتباع "هارون" في تقلد المناصب القيادية في المعبد. يشير هذا الأمر إلى أن هذا الكاتب الكهنوتي كان تابعًا لجماعة من "اللاويين" العاملين في "القدس" ممن توفرت لديهم معرفة حميمية بجميع طقوس وملامح المعابد الواقعة بداخل "القدس".

وكما هو الحال في مرجع "الياء" يبدأ مرجع" الكاف" برواية قصة "الخلق". في حين لا يأتي على ذكر قصة "آدم" و"حواء" ولا أي مما جرى في جنة "عدن" (Garden of Eden)، لكنه مع ذلك يساهم في ذكر قصة "الطوفان".

مع سقوط "إسرائيل" عام 722 ق. م. هرب العديد من مواطنيها نحو الجنوب حاملين لـ"يهوذا" أعباء سياسية ودينية جديدة. أتى اللاجئون من الكهنة بوجهة نظر مرجع "الألف" التي روجت لـ"موسى" كبطل قومي وجميع عشائر "اللاويين" كأنداد. كان هذا تحديا لسلطان شعبة "هارون" من "اللاويين"، لذا ظهر مرجع "الكاف" لتعزيز سطوتهم وذلك

عن طريق استئناف كتابة ذلك التاريخ التقليدي. يعود تاريخ كتابة مرجع "الكاف" لزمن متأخر على الغزو "الآشوري" فيما يسبق الغزو "البابلي" (Babylonian conquest) على "يهوذا" عام 587 ق. م.

مرجع "التـاء"

يحمل هذا المرجع اسم "التاء" (D source) كناية عن "سفر التثنية" (Deuteronomy)، هذا السفر الذي لا يظهر به أي أثر للمصادر الثلاثة الأخرى، والذي بدوره لا يظهر له أي تأثير على الأسفار الأربعة الأخرى من أسفار "العهد القديم". فهو يعكس آراء الملك "يوشيا–King Josiah" الإصلاحية خلال أواخر القرن السابع قبل الميلاد ويبدأ برواية قصة "موسى". كان "يوشيا"(Josiah) (إذا وثقنا في النص التوراتي) قد بدأ إصلاحات أصولية دينية هائلة، منشئا حكومة دينية وسياسية شديدة المركزية.

يدعي سفر "الملوك الثاني"(2 Kings) أن ناموس "موسى" فُقد وأن بعض أعوان "يوشيا" وجدوه صدفة في أحد أركان المعبد القصية.

تظهر التحليلات المرجعية أن "سفر التثنية " ينتمي لمجموعة أضخم من الكتابات التي تتضمن الأسفار التوراتية: "يشوع" و"صموئيل الأول والثاني" و"الملوك الأول والثاني"، التي تعرض تاريخ العبرانيين منذ زمان "موسى" وحتى الاستعباد البابلي. عرفت هذه المجموعة الضخمة من الأسفار التوراتية بـ"تاريخ التثنية التشريعية"(Deuteronomistic history) حيث تقص تاريخ "اسرائيل" منذ عصر "موسى" (1300ق. م.) وحتى زمن الملك "يوشيا" (622 ق. م.).

كانت طاعة الرب هي الموضوع الغالب على "سفر التثنية" وما يتصل به من تأريخات. ففيه دائما ما يحاسب الملوك والشعوب وفقًا لكيفية إتباعهم للتعاليم المذكورة بداخله. وكما هو محتوم يفشل جميع ملوك "إسرائيل" في اتباعها فيما عدا حفنة صغيرة من ملوك "يهوذا" من بينهم "داود" و"يوشيا" اللذان عُدّا من الأخيار.

لوح "الطوفان" الآشوري

تتناول "الفرضية الوثائقية" منشأ "التوراة" بالفحص من زاوية واحدة فقط. فكل اهتمامها ينصب على النص المكتوب. فهي تختبر نمطه الأدبي وموضوعاته ولغته وطبقات تنقيحه بغرض تفكيكه لمصادرة الأولى. أمثال هذه التقنيات أوضحت أن العديد من أسفار "الكتاب المقدس" الأخرى خلاف أسفار" العهد القديم" قد ضمت أيضًا مصادر عدة، وهي في ذاتها تختلف تمامًا عن تلك التي كونت الأسفار الخمس الأولى.

هنا يظهرسؤال مهم يطرح نفسه: ما هي الأفكار الخارجية التي أثرت في كتبة مراجع "الياء" و"الألف" و"الكاف" و"التاء"؟ فمثلا عندما يتحدث مرجعا "الياء" و"الكاف" عن قصة "الخلق" أو "الطوفان"، أتعد هذه أفكارًا فريدة من نوعها تقتصر على كتبة اللاهوت أم أن هؤلاء الكتبة يعتمدون على أفكار مستمدة من بيئاتهم الثقافية المحيطة؟ ومع الاختلافات المرجعية في تاريخ أخبار الآباء الأوائل وقصة الخروج، هل تصف قصصهم الأساسية أحداث تاريخية حقيقية أم أنها مجرد حكايات وأساطير تم تبنيها بغرض الدعاية أو غيرها؟ فرغم كل شئ، لقد عاشت "إسرائيل" في بؤرة التقاء ثلاثة من أضخم التيارات الحضارية – حضارة "مصر"(Egypt)، "كنعان" (Canaan) و"بلاد الرافدين" (Mesopotamia) – ممن كانوا أقدم باعًا في الغنى الأدبي والعُرف التاريخي.

يدعي التاريخ التوراتي أنه في بداية تكون عشيرة "بني إسرائيل" كان أفرادها قد أقاموا فترة طويلة بـ"مصر". كما يستمر "العهد القديم" في تأنيب "بني إسرائيل" لخضوعهم لتأثير الكنعانيين. وقبل اتخاذ التوراة لشكلها النهائي كان صفوة بنو إسرائيل من المتعلمين مجبرون على العيش في المنفى بمملكة "بابل" (Babel)، وبعد ذلك بقرن من الزمان استمروا بالإقامة في ظل مملكة "فارس"(Persia) التي كانت أكثر كرمًا معهم، ذلك بعد أن انتصرت على مملكة "بابل" وحررت قادة العبرانيين.

كان من المحتم على أي محاولة من قبل الكتبة العبرانيين المثقفين لوضع تاريخ شخصي للعالم، منذ الخلق وحتى وقت كتابة الوثيقة المرجعية، أن تستعين بآراء الجيرة حول الأماكن والأزمنة، ذلك لأن آراء هؤلاء الجيران كانت متعارفة وواسعة الانتشار. فقد كانت هذه القصص هي لب قناعات مثقفي تلك الأزمنة.

في الثالث من ديسمبر عام 1872 اعتلى هذا السؤال قمة أولويات دراسات "الكتاب

المقدس". في هذا التاريخ قرأ عالم متخصص في حضارة "آشور" يدعى "جورج سميث" "George Smith" بحثًا في "لندن" أمام "مجمع الآثار الانجيلية" (Society of Biblical Archeology). كان العالم ينقب بين آلاف من الألواح والشظايا التابعة لإحدى مكتبات الملك "آشور بانيبال" (Ashurbanipal) من القرن السابع ق. م. عندما عثر على ما عرف فيما بعد بألواح "ملحمة جلجامش"(Gilgamesh Epic) الإحدى عشر، التي كانت مكتوبة باللغة الآكادية (Akkadian) وهي إحدى اللغات السامية الأقدم من "العبرية" (Hebrew)، من ضمنها كانت هناك نسخة من قصة "الطوفان" تشبه بامتياز الرواية التوراتية.

رغم أن الرواية الأكادية كانت متعددة الآلهة وتلك الموجودة في التوراة توحيدية الطابع إلا أن القصتان تطابقتا. فالآلهة قد ثارت على البشر وقررت محوهم من على وجه الأرض بواسطة "الطوفان". وحذر أحد الآلهة صديق له من الآدميين يدعى "أوتنابشتم" (Utnapishtim) وأشار عليه ببناء سفينة استعدادًا لمواجهة اليوم المشؤوم. وعندما بدأ المطر في الهطول جلب "أوتنابشتم" أهله وطائفة من الحيوان وعدد من الصناع إلى فلكه. وعندما توقف المطر وانخسفت المياه أطلق "أوتنابشتم" ثلاثة طيور على فترات زمنية متفرقة، كي يطمئن لاستقرار الأحوال في الخارج ويأمن الخروج. في النهاية استقر الفلك على قمة جبل. وكما جاء في رواية "العهد القديم" ندمت الآلهة على ما فعلت بالبشر بعد الطوفان.

تتبع بنية القصة الآشورية الخطوط العريضة للرواية التوراتية بشكل وثيق، لكن ما جاء من ذكر عن إطلاق الطيور الثلاثة، والذي تكرر ذكره في النص التوراتي، لهو من الصدف الغريبة التي لا يملك المرء أمامها سوى التساؤل بشأن ما إذا كانت هاتان الروايتان تشتركان في المصدر.

ورغم ذلك فان هناك اختلافات بين القصتين. فالوقت الذي استمر خلاله "الطوفان" يبدو أقصر بشكل ملحوظ في النسخة الآشورية، كما يختلف حجم السفينة في كلتيهما، أيضًا تتضارب أعداد ركابها من البشر والحيوانات، كما تختلف اسماء الأبطال، أما الرب الذي بعث بالطوفان فليس هو نفسه الذي حذر "أوتنابشتم" وأمره ببناء الفلك. وأهم ما في الأمر هو أن النص التوراتي لا يستعير أياً من فقرات السرد التي بداخل النسخة الآشورية.

لذا فمن جهة نجد تطابق البنية، والذي يتعدى المصادفة البحتة، ومن جهة أخرى هناك التنويعات في تفاصيل القصة والتي تبدو في شدة تباينها وكأنما تأتي من مصادر مختلفة تمامًا.

مع ذلك، أطلق هذا الاكتشاف موجة محمومة من دراسة الآثار الآشورية بغرض المقارنة بـالتوراة. ومع الوقت ظهرت نسخ أخرى من قصة الطوفان نفسها داخل نصوص لحضارة "بلاد الرافدين" من مجتمعات مختلفة، بعضها سبق النص التوراتي. وفي مصادفة مميزة أخرى، ظهرت قائمة ملكية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد، كانت في الأصل نسخة فاسدة من قائمة ملكية سومرية قديمة (Sumerian) (أوائل حضارة بلاد الرافدين) يعود تاريخها لألفي عام قبل الميلاد، بها جاء ترتيب عصر"الطوفان" الدنيوي خلال فترة حكم عاشر ملوك البشر، بينما وقع ترتيب "الطوفان" في "التوراة" أثناء زمان عاشر جيل بعد "الخلق".

إذن، هل تؤيد قصص "الطوفان" التي كتبت خلال عصور حضارة "ما بين النهرين" زعم العهد القديم بحدوث "طوفان" شمل العالم أجمع أم أنه يشير إلى أن كتبة "التوراة" استعاروا واقتبسوا بعض الأساطير والخرافات التي سبق لها الوجود وفقًا لأهوائهم الشخصية؟ هذا سؤال يستلزم الطرح مرارا وتكرارا فيما يخص أجزاء "الكتاب المقدس" الأخرى فيما نستمر في اكتشاف نصوص أثرية أخرى تحمل قصص موازية.

الحواشي التوراتية

في حين يؤمن العديدون بأن "الكتاب المقدس" نتاج وحي من السماء، يستشهد العديد من كتبة "التوراة" بأعمال مرجعية محددة ممن اعتمدوا عليها في كتابة أعمالهم، كما يستشهد العديد منهم بآيات من أسفار "التوراة" الأخرى. لذا ففي الإمكان اعتبار هذه الإشارات نوع من الحواشي (footnotes). للأسف لم نتمكن حتى الآن من إيجاد أي نسخ من تلك الكتب الغير- توراتية المشار إليها، لذلك فليس بوسعنا تقدير مدى جودة البحث فيها ومقدار التعويل عليها. تتضمن هذه القائمة الجزئية بعضًا من المراجع المذكورة من جانب كتبة "العهد القديم":

1- Book of the Generations of Adam (Gen. 5:1)	كتاب مواليد آدم (تكوين 5:1)
2- Book of the covenant (Exod. 24:7)	كتاب العهد (خروج 7:24)
3-Book of the wars of the LORD (Num. 21:14)	كتاب حروب الرب (عدد 14:21)
4- Book of Jasher (Josh 10:13, 2 Sam. 1:18)	سفر ياشر (يشوع 10:13، صموئيل الثاني 18:1)
5-Book of the Law of god (Josh. 24:26)	سفر شريعة الله (يشوع 26:24)
6- Book of the acts of Solomon (1 kings 11:41)	سفر أمور سليمان (الملوك الأول 11: 41)
7- Book of the chronicles of the Kings of Israel (1 kings 19:14 and nine other citations)	سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل (الملوك الأول 14: 19 وتسعة استشهادات أخرى)
8- Book of the chronicles of the kings of Judah (1 kings 14:29 and fourteen other citations)	سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا (الملوك الأول 14: 29 وأربعة عشر استشهاد آخر)
9- book of the kings of Israel and Judah (1 Chron. 9:1 and three other citations)	سفر ملوك إسرائيل (أخبار الأيام الأول 9: 1 وثلاثة إستشهادات أخرى)
10- Book of Samuel the seer (1 Chron. 29:29)	أخبار صموئيل الرائي (أخبار الأيام الأول 29:29)
11- book of Nathan the prophet (1 Chron. 29:29, 2 Chron. 29:9)	أخبار ناثان النبي (أخبار الأيام الأول 29:29، أخبار الأيام الثاني 9:29)
12- Prophesy of Ahijah the shilohnite (2 Chron. 29:9)	نبوة أخيا الشيلوني (أخبار الأيام الثاني 9:29)
13- Visions of Iddo the seer (2 Chron. 29:9)	رؤى يعدو الرائي (أخبار الأيام الثاني 9:29)
14- Book of Gad the seer (1 Chron. 29:29)	أخبار جاد الرائي (أخبار الأيام الأول 29:29)
15- Book of Shemiah the prophet (2 Chron. 15:12)	أخبار شمعيا النبي (أخبار الأيام الثاني 12: 15)
16-Story of the prophet Iddo (2 Chron. 22:13)	مِدْرَس النبي عِدّو (أخبار الأيام الثاني 13: 22)

توفر لنا معاينة بعض هذه الإستشهادات فكرة ما عن الكيفية التي تمت بها كتابة العديد من أجزاء "الكتاب المقدس".

سفر ياشر

جاءت في "التوراة" إشارتان لـ"سفر ياشر"، إحداهما في "سفر يشوع" والأخرى في "سفر صموئيل الثاني". كانت الأولى تصف كيف أمر "يشوع" الشمس والقمر بأن يقفا. وفي الثاني عرض لمرثاة "داود" لموت الملك "شاول" (Saul) وقوله بأن يتعلم "بنو يهوذا" نشيد القوس. كان يفصل هذان الحدثان ثلاثة قرون من الزمن.

يخبرنا هذا بأن "سفر ياشر" كان قد كتب في وقت مبكر على زمان الملك "داود"، ومع ذلك فهو يضم وصفًا لأحداث قام بها الملك "يشوع" في زمن يسبقه بثلاثة قرون. إذن فمن أين جاء كاتب "سفر ياشر" بمثل هذه المعلومات؟ هل توفرت للكاتب المراجع الصحيحة اللازمة أم أنه قد جمع روايات وخرافات عن حقب سابقة؟ أكانت هذه أعمال تاريخية أم مجرد مجموعة من الأشعار؟ بما أننا لم نستطع الوقوف بعد على نسخة من هذا العمل، فليس لنا أن نتأكد حقا من أن "يشوع" و"داود" قد جاء ذكرهما حقًا في النص الأصلي؛ فلربما استبدل كاتب أو كُتّاب تلك الأعمال التي بها إشارة لـ"سفر ياشر" شخصيات العمل الأصلي بهذان البطلان التوراتيان.

(سفر) أمور داود

تظهر قصة "داود" أساسًا في سفري "صموئيل الأول والثاني" بالإضافة لبعض المعلومات في سفر "أخبار الأيام الأول"، التي أكثرها إعادة والبعض الآخر استرسال في تاريخ "داود". مع ذلك فكاتب سفر "أخبار الأيام الأول" يستشهد بثلاثة مراجع هي "أخبار صموئيل الرائي" و"أخبار ناثان النبي" و"أخبار جاد الرائي".

يعود اسم "صموئيل الرائي" بكل تأكيد على "صموئيل" الذي دعيت بإسمه أسفار "صموئيل الأول والثاني" ومن المرجح أن "ناثان النبي" هو "ناثان" الذي عمل في بطانة الملك "داود" والذي اعترض على "داود" لتخطيطه قتل زوج "بثشبع" (Bathsheba) بهدف إخفاء علاقته الجنسية بها. ومما لا شك فيه أن "جاد الرائي" هو نفسه الذي قدم

للملك "سليمان" العديد من النصائح في شتى الأمور.

يرجح اجتماع تلك المراجع الثلاثة أن سفري "صموئيل" في الأصل تُشابة عده كتب مبكرة، تم الاستشهاد بثلاثة منها في هذين السفرين وقد بقيت هذه الكتب حتى عصر كاتب سفرا "أخبار الايام" ولربما استمر وجودها حتى القرن الرابع قبل الميلاد أو بعده.

أول هذه المصادر المذكورة هو " أخبار صموئيل الرائي". أما بالنسبة للإسم "صموئيل" فيبدو أن شخصيته قد بنيت على أساس شخصيتا فردين مختلفين. أحدهما هو "صموئيل" القاضي، الذي تابع تقاليد "اسرائيل" في إرساء القضاء وتوفير التوجيهات الدينية والحربية لمواطنيها. كان "صموئيل" هذا من معارضي النظام الملكي للحكم. أما "صموئيل" الآخر فهو النبي أو الرائي، الذي أيد العرش الملكي والذي عمل على تثبيت عرش "داود" سليل "يهوذا" أمام غريمه "شاول" ابن عشيرة "بنيامين" (Benjamin)، مما جعل هذان التصوران لتلك الشخصية لا يتجانسان.

من المحتمل أن الإستشهاد بكتاب "أخبار صموئيل الرائي" هو إستشهاد بجسم سفري "صموئيل الأول والثاني" كما هما أو لعلّه كان إشارة لعمل مرجعي آخر ألهم بكتابة هذا الجزء الذي اختص بتأييد الحكم الملكي. حتى أن كاتب سفري "أخبار الأيام" استشهد بمصدرين آخرين حول "داود" فيهما إشارة لهذا الترجيح الأخير.

يعد "ناثان النبي" شخصية مهمة في قصة "داود" حيث يلعب دورا حيويا في تقديم "سليمان" كوريث لعرش "داود". وبينما يضم سفر "صموئيل" العديد من المعلومات حول "ناثان"، يظل من واجبنا استرجاع السفر الذي اطلق عليه "أخبارناثان النبي". أقرب الظن هو أن من كتب سفر "صموئيل" قد اعتمد جزئيًا على سفر "أخبار ناثان النبي" بينما استمر هذا المرجع في التداول حتى بعد أن ظهر سفر "صموئيل".

أخيرًا هناكُ سفر آخر مفقود. فنحن لا نملك أي نسخ من سفر "أخبار جاد الرائي"، ما يجعلنا غير قادرين على القول بمقدار تأثيره على التاريخ التوراتي. مع ذلك فقد كان هذا الكتاب من الأهمية بمكان بحيث استشهد به كاتب سفر "أخبار الأيام".

تظهر هذه المجموعة من الأعمال أن بعض الروايات التي تدور حول الملك "داود" قد تداولتها الأيدي بكثرة بحيث لجأ لها الكتبة فيما بعد لتأييد وجهات نظرهم. أما بشأن ما تم من تقديس لسفري "صموئيل" وما تم من تجاهل لسفري "أخبار ناثان النبي" و"أخبار جاد

الرائي" فهذا لا يعدو كونه حظًا عاثرًا، لا شأن للوحي الإلهي به.

الفُرقة بين مملكتي إسرائيل ويهوذا

تعد الفُرقة التي وقعت بين مملكتي "إسرائيل" و"يهوذا" عند موت "سليمان" إحدى أهم الأحداث السياسية التاريخية المذكورة في أسفار "العهد القديم"، فقد كانت الحروب الإعلامية التي دارت بينهما من أكثرما أثر في طريقة تدوين تاريخ الشعب العبراني. وكما رأينا في أطروحة "الفرضية الوثائقية" فإن معظم الوثائق المرجعية التي استخدمت لكتابة "أسفار موسى" تعكس وجهات نظر سياسة ودينية متعددة كنتيجة لهذا الانقسام.

وكما هو الحال مع "داود" يبدو أن هناك عدة اشكال مختلفة لتاريخ الملك "سليمان" وللأحداث التي أدت للحرب التي تلت موته. فعلى سبيل المثال يستشهد كاتب سفر "الملوك الأول" بـ"سفر أمور سليمان". بينما يستشهد كاتب سفر"أخبار الأيام الثاني" – وهو الكاتب الذي ربما كتب سفر "أخبار الأيام الأول" أيضًا – بعدة مراجع عن تاريخ حكم الملك "سليمان" والشقاق الذي تبع موته. ذلك بالإضافة للاستشهاد بسفر "أخبار ناثان النبي" وأسفار "نبوة أخيا الشيلوني" و"رؤى يعدو الرائي" و"أخبار شمعيا النبي".

وكما هو الحال مع الأسفار الغير توراتية الأخرى المستشهد بها، لم يتم العثور على أي منها، لكن تردد ذكر "أخيا" نبي "شيلون" في سفر "الملوك الأول" وفيها يصرح "أخا" بإحدى النبوءات والتي يشجع فيها "يربعام" على تزعم "إسرائيل" بهدف الإنفصال عن "يهوذا". وبسبب هذه الرؤيا سعى "سليمان" لقتل "يربعام" (Jeroboam) الذي هرب من مطارديه بشق الأنفس إلى "مصر". وعند موت "سليمان" عاد "يربعام" ليتابع حركته الانفصالية بنجاح حيث تنقسم "اسرائيل" على "يهوذا".

إن الحفاظ طويلاً على نصوص مثل "نبوة أخيا الشيلوني" بعد اختفاء مملكة "إسرائيل" لهو دليل على قدر الصعاب التي واجهتها مملكة "يهوذا" لكبح جماح هذا التاريخ السلبي لحكمها. فيبدو أن هذا هو السبب الرئيسي وراء استمرار وجود هذا القدر من المعارضة الشديدة لحكم مملكة "يهوذا" في "التوراة".

الحوليـات

بالإضافة لتلك الكتب التي تدور حول شخصيات مثل "ناثان" و"جاد" و"أخيا" و"يعدو"، اعتمد بعض كتبــة "التوراة" على السجلات الرسمية للممالك الحاكمة. تلك المدونات المستشهد بها من أمثال: سفر "أخبار الأيام لملوك إسرائيل" وسفر "أخبار الأيام لملوك يهوذا" على وجود حوليات ملكية (Annals) على شاكلة تلك السجلات الرسمية التي استخدمت في الحضارات الشرقية لتدوين أخبار الأسر الحاكمة في شكل تقويم سنوي.

تشرح تلك "الحواشي" التوراتية مدى تنوع المادة الأدبية التى اعتمد عليها كتبة "التوراة" وكيف أنهم عدلوها وفقًا لأهوائهم الشخصية. إضافة لتلك المجموعة من الاستشهادات التي بداخل "العهد القديم" يمكن اللجوء للوثائق التي وفرتها خرافات وأساطير الحضارات الشرقية المجاورة، تلك التي ذاعت في ذلك الحين والتي ألفها الكتبة العبرانيون.

لنا أن نرى كم كان تأثير تلك المصادر الخارجية على كتبة "التوراة" فهؤلاء القدماء لم يروا هذه القصص كأساطير وخرافات، بل كانوا يؤمنون بأنها حقائق تاريخية، فبغض النظر عن الإيمان بالرب المسئول عنها تبقى أحداثها مقنعة لهم.

ترسم الأساطير التي تدور حول كيفية اكتساب الأماكن لأسمائها صورة عن كيفية تكون تلك القصص التاريخية الزائفة وكما يظهر لنا فالعهد القديم يعج بأمثالها. مثلما ألفنا من قصص الآباء الأوائل الذين كانوا دائمًا ما يحملون اسماء الأماكن التي عاشوا بها، ما يجعلهم مؤسسي السلالة التي تستمر في الإقامة هناك. مثال آخر على تلك القصص هو الإستعانة بإحدى الصفات المميزة لمكان ما، لنقل مثلاً تكوينات صخرية مميزة الشكل أو ينبوع ماء فريد، تؤلف على أساسها قصة تصف كيفية اكتساب هذا المكان لهيئته المميزة. تلك القصص يتم تداولها جيل بعد جيل حتى تصير القصة المسلية واقعًا تاريخيًا.

الجدول الزمني لتاريخ "الكتاب المقدس"

(جميع التواريخ تعود لما قبل ميلاد المسيح وفقا لنسخة الملك "جيمس" من أسفار "العهد القديم")

عصر الـ "تكوين" (الخلق)

عام 4004، يوم الأحد 23 أكتوبر (وفقا للأسقف "أشر")

عام 3960 (وفقا لـ"مارتن لوثر")

عام 3761 (وفقا للتقاليد اليهودية)

عصر طوفان "نوح"

بين عامي 2348 – 2105 (بحسب المدى الزمني المحتمل لبداية)

عصر الآباء الأوائل (العصر البطريركي)

من سنة 2000 – 1500

تاريخ الخروج من "مصر"

بين عامي 1315–1548 (وفقا لترجيحات سفر الـ"تكوين" 15:13)

عام 1497 (وفقا لترجيحات سفر "الملوك الأول" 6:1)

عام 1315 (وفقا لتحليلات المؤلف في كتاب "أساطير الانجيل")

عام 1270 – 1250 (وفقا لمعظم علماء اللاهوت)

تاريخ الدخول إلى "كنعان"

بعد أربعون عام من الخروج من "مصر"

عصر حكم القضاة

ينتهي في عام 1081 (وفقا لترجيح سفري "الملوك الأول والثاني")

ينتهي في عام 1020 (وفقا لمعظم علماء اللاهوت)

عصر الملك "شاوول"

عام 1081 (وفقا لترجيح سفري "الملوك الأول والثاني")

عام 1020 (وفقا لمعظم علماء اللاهوت)

عصر الملك "داوود"

1061 (وفقا لترجيح سفري "الملوك الأول والثاني")

1000 (وفقا لمعظم علماء اللاهوت)

عصر الملك "سليمان"

عام 1021 (وفقا لترجيح سفري "الملوك الأول والثاني")

عام 960 (وفقا لمعظم علماء اللاهوت)

تاريخ الانتهاء من تشييد المعبد (معبد أورشاليم)

بعد حكم الملك "سليمان" بأحد عشر عام

انقسام "إسرائيل" و"يهوذا" إلى مملكتين

عند موت الملك "سليمان"، بعد أربعين عام من تتويجه

تاريخ كتابة مرجع "الياء"

لعله كُتِبَ بين عاميّ 960 و722 ،

لكن في فترة سابقة على كتابة مراجع "الألف" و"الكاف" و"التاء"

تاريخ كتابة مرجع "الألف"

لعله كُتِبَ بين عاميّ 960 و722،

لكن في فترة متأخرة على كتابة مرجع "الياء" وفيما سبق كتابة مراجع "الكاف" و"التاء"

تدمير الآشوريون لإسرائيل

عام 722

تاريخ كتابة مرجع "الكاف"

لعله كُتِبَ بين عاميّ 722 و640 ،

لكن في فترة متأخرة على كتابة مرجعا "الياء" و"الألف" وفيما سبق كتابة مرجع "التاء"

عثور الملك "يوشيا" على ناموس "موسى"

عام 622

تاريخ كتابة مرجع "التاء"

لعله كُتِبَ بين عاميّ 622 و609 ،

لكن في فترة متأخرة على كتابة مراجع "الياء" و"الألف" و"الكاف"

تاريخ إقتياد "دانيال" إلى "بابل"

عام 605

تاريخ هزيمة "يهوذا" على يد كلداني "بابل"

عام 587

عصر المنفى البابلي

بين عامي 587 و539

تاريخ انتصار "كورش" ملك الفرس على "بابل" وتحريره لليهود البابليين

عام 539

تاريخ انقاذ "أستير" لليهود الفرس

عام 475

تاريخ رحيل "عزرا" عن "بابل" وإعادته لتطبيق ناموس "موسى" في "القدس"

عام 458

تاريخ كتابة أسفار "أخبار الأيام" و"نحميا" و"عزرا"

عام 458 أو بعده بقليل– ومن المرجح أن كاتبهم هو "نحميا" أو بعض أتباعه

الجزء الأول

أساطير الخلق

أساطيــر الخلــق: نظــرة عــامــة

تروي الإصحاحات الإحدى عشرة الأولى من سفر "التكوين" (Genesis) (أول أسفار "الكتاب المقدس") تاريخ العالم منذ بداية الخلق وحتى عصور الطوفان. ففي البداية خلق الرب الدنيا في ستة أيام ثم استوى في اليوم السابع، وفي رواية أخرى خلق "آدم" و"حواء" اللذان سقطا من جنة "عدن". ثم ذكر فيه "قابيل = قايين" (Cain) [1]، و"هابيل" (Abel)، وما جرى من أحداث طوفان "نوح"، وتعمير الأرض، ثم قيام أممها الأولى. هذه القصص وكما يتراءى للعيان تنافي المنطق العلمي، لهذا وبسبب هذا الشطط حظت هذه الموضوعات بجدل واسع بين باحثي أسفار "العهد القديم" المشككين في صحة نصه.

يعرض بنيان سفر "التكوين" من إصحاحه الأول وحتى الحادي عشر فكرة خلابة عن الكيفية التي تطور بها نص "العهد القديم" من مجرد حفنة من الأساطير والخرافات الإشراكية المتعددة الآلهة المقتبسة من عدة ثقافات إلى شكله التوحيدي في تاريخ "إسرائيل". داخل لب هذا السفر يقبع اثنان من الوثائق المرجعية، هما المرجع "الكهنوتي" والمرجع "اليهوي". هذان المرجعان لهما تعليلات مختلفة لروايات "الخلق" والنشأة ووجهات نظر متباينة نحو مفهوم الربانية. لكن ربما لجهالة بعض من منقحي نص "العهد لقديم" بأصول روايتا "الخلق" و"الطوفان" المستمدتان من هذين المرجعين، حاول هؤلاء ضم الروايتين في سياق واحد. لكن حقيقة الأمر أنهما لا تتفقان، فأصولهما ترجع لشكلين من أشكال العقائد المصرية القديمة التي لا تربط إحداهما بالأخرى أية علاقة.

كبداية، تضرب جذور مرجع "الياء" قديمًا في تعاليم مدينة "هليوبوليس" (Heliopolis) المصرية، تلك التي عرفت باسم "أون" (On) في أسفار "العهد القديم". كانت "هليوبوليس" هذه إحدى أقدم مدن "مصر" وأكثر مراكزها الدينية تأثيرًا على الإطلاق. يبرهن لنا نص "العهد القديم" على اقترانها الوثيق بتاريخ "إسرائيل". فـ"يوسف" (وريث العهد القائم بين

(1) قايين هو الترجمة التوراتية لـ(Cain) وقد ذكر في النص التوراتي فقط، اما قابيل فقد أستعمل فى الجزء المخصص لمناقشة النص التوراتي. وكلا منهما، أي قايين وقابيل، يرمزان لنفس الشخص– وهو أخو هابيل.

الرب و"يعقوب") تزوج إبنة الكاهن الأعلى لمدينة "هليوبوليس" في حين أن إبنه المصري "إفرايم" (Ephraim) – الذي تلقى تعليمه في "هليوبوليس" وفقًا للتقاليد المصرية– قد توج خلفًا لـه على يد "يعقوب". وفي وقت ليس ببعيد عن زمن "الخروج من مصر"، ازدهرت ديانة توحيدية في مدينة "هليوبوليس". تحدّت هذه الديانة الأعراف العقائدية المصرية القائمة وأثارت موجة من الصراعات الدينية والضغائن السياسية المريرة.

على الجانب الآخر تبني مرجع "الكاف" مفهوم الخلق من وجهة نظر عقيدة مدينة "طيبة" (Thebes). كان ذلك في زمن لعبت فيه "طيبة" دور العاصمة السياسية والدينية لـ"مصر". أثناء تلك الفترة أقام "بنو إسرائيل" هناك. كانت هذ النظرة العقائدية في ذاتها محاولة لتوفيق عدة قناعات دينية متضاربة تجاه موضوع الخلق، بما فيها معتقدات مدينة "هليوبوليس".

بوجه عام، اشترك المصريون في نظرة واحدة لقصة "الخلق"، فكانوا يؤمنون بوجود يم هيولي أول يدعى "نون" (Nun) أو "نو" (Nu) خرج منه بفضل أحد الآلهة جبل مستعر، على ظهره بدأت عملية الخلق. وقد إختلفت قناعات الديانات الرئيسية في "مصر" حول شخصية الرب الذي خلق وكيفية شروعه في عملية الخلق. لذا كانت لتلك الديانات الرئيسية أربعة مراكز أساسية هي: "هليوبوليس" (Heliopolis) و"هيرموبوليس" (Hermopolis) و"ممفيس" (Memphis و"طيبة" (Thebes). إختص كلٌ منها بإله محلي له قصة مختلفة في خلق العالم.

أما في "هليوبوليس" فكان الإله الخالق هو إله الشمس "آتوم" (Atum)، الذي كان هو نفسه الجبل المستعر أو ربما حية نارية ظهرت فوق قمته. كان "آتوم" ذكر يتحلى بخصائص أنثوية، وضع بواسطتها ولدًا وبنتًا، هما "شو" (Shu) و"تيفنوت" (Tefnut)، الأول إله الجو والثانية إلهة الرطوبة، هذان الربان أنجبا ولدًا وبنتًا، هما "جب" (Geb) و"نوت" (Nut)، رمزا الأرض والسماوات على التوالي. هذا النسل الرباعي مَثل عناصر الكون الأساسية. فيما بعد أنجب "جب" و"نوت" أربعة أبناء أطلق عليهم اسماء، "أوزوريس" (Osiris) و"إيزيس" (Isis) و"ست" (Seth) و"نفتيس" (Nephthys)، لقب هذا الجمع الربوبي (بما فيهم "آتوم") بـ"التاسوع" (Ennead) (أو مجموعة التسعة).

داخل مدينة "ممفيس" أولى عواصم "مصر" على مدار ألف سنة أو يزيد (3100 ق. م. – 2100 ق. م.) كان الإله الأكبر هو "بتاح" (Petah)، إله الحرف اليدوية. فقد آمن أهالي

"ممفيس" أقرب جيران "هليوبوليس" بأنه بدأ الخلق بكلمة، استدعى بها "آتوم" من اليم "نون" فقام. وفيما عدا هذا تتفق هذه الرواية مع رواية "الخلق" في ديانة "هليوبوليس".

داخل مدينة "هيرموبوليس" العتيقة ساد تقليد مختلف قليلاً. آمن الكهنة هناك بأن في بداية الكون، كان هناك ثمانية آلهة، أربعة ذكور وأربع إناث، خرجوا من اليم "نون" ومعًا أنجبوا مملكة "رع" (Re) الشمسية، الذي تجسد أولاً كطفل يطفو فوق زهرة اللوتس. ثم شرع بعدها "رع" في استكمال عملية الخلق، بما في ذلك "تاسوع هليوبوليس". وفي واحدة من تلك المفاهيم الغريبة التي تبرز في المعتقدات الاسطورية، يتجسد "رع" في صورة إبن هذه الآلهة الثماني الأولى وفي ذات الوقت خالقهم.

كان ثامون آلهة "هيرموبوليس" هؤلاء يعرفون بـ"أجدود" (Ogdoad) (أي مجموعة الثمانية) وقد مثلت المجموعات الأربعة للذكور والإناث ما اعتبره الكهنة العناصر الأربعة الأساسية للكون البدائي. هذه الآلهة وما ترمز له هي: الإله"نون" (Nun) والإلهة "نونه" (Naunet)، الفيضان الكوني؛ الإله"حوح" (Huh) والإلهة "حوحه" (Hauhet)، الفراغ والديمومة؛ الإله "كوك" (Kuk) والإلهة"كوكة" (Kauket)، الظلمة؛ الإله "آمون" (Amen) والإلهة "آمونة" (Amenet)، شفافية الرياح.

تأخر ظهور مدينة "طيبة" على الساحة السياسية، فقد وصلت إلى الحكم عام 2040 ق. م. وكان إلهها المحلي هو "آمون"، وبما أن العقائد الدينية الثلاثة الأخرى كانت قد ترسخت في وجدان المصريين منذ زمن، فقد بلور كهنة "آمون" فكرة تحوى كل هذه الآلهة ذلك عن طريق القول بأن "آمون" قد تجسد في تلك الهيئات الإلهية الأخرى. لذا فوفقًا للاهوت "طيبة" تجسد "آمون" أولاً في هيئة "ثامون هيرموبوليس" ثم في شكل إله "ممفيس" "بتاح" ثم من بعده في شكل "آتوم" إله الشمس في"هليوبوليس" وأخيرًا تجسد في شخص الإله "رع" الذي صار حينئذ أهم إله شمسي في "مصر". تطلبت هذا التحولات بعض التعديلات في أساطير "الخلق" التي اقترنت بتلك الآلهة، لكن هذا التصور كان من المرونة بحيث أتاح لكهنة "طيبة" الترويج للإله "آمون" من دون استبعاد التقاليد الدينية للآلهة الأخرى.

من هنا أنتج العبرانيون لاهوتًا جديدًا. فلقد درس العبرانيون هذه الأساطير والمعتقدات بداخل "مصر". تلك المعتقدات التي استمرت وامتدت بل وذاع صيتها ليبلغ مملكة "كنعان" حتى بعد أن تأسست وقويت مملكة "أسرائيل" بداخلها ولأن الفكر الديني "العبراني"

توحيدي الاتجاه في حين أن الفكر المصري إشراكي تعددي الألوهية، وقع على عاتق كتبة اللاهوت إعادة صياغة تلك القصص لتعكس وجهة نظرهم الدينية التي من خلالها تجلت لنا عبقريتهم.

كان غرض العبرانيين الأساسي من تعديل تلك القصص هو استخلاص مفهوم خاص بهم عن "الخلق" والنشأة الأولى. فبرغم تعدد آلهة المصريين، كانت الأساطير المصرية تحمل طابعًا فلسفيًا وعلميًا أصيلاً. فقد حاول المصريون تفسير الوجود المادي وإقتفاء أثره خلال عملية تطور الكون. وفي دراساتهم لبيئتهم المحيطة لاحظوا اثنان من أضخم الظواهر الطبيعية، هما فيضان نهر "النيل" (Nile) السنوي (المُسبب الرئيسي للخصب) ودورة الشمس (اليومية والسنوية). وبسبب تلازم هاتان الظاهرتان وحدوثهما بشكل دوري، ارتبطتا في وجدان المصريين بأفكار الحياة، والموت، والبعث، والخلود. هذا الارتباط جعل من جميع آلهة المصريين حتى المعنيين منهم بعملية الخلق رموزًا لظواهر بيئية محيطة.

راقب فلاسفة العبرانيون الآلهة المصرية عن كثب وحددوا الصفات البيئية التي مثلها كل إله بعينه. عندئذ وبنفس الترتيب الذي كتبت بها قصصهم، قام الكتبة العبرانيون القدماء بفصل كل ظاهرة عن الإله الممثل لها، ثم أعادوا كتابتها على أنها ظاهرة طبيعية ليس غير. فمثلاً عندما تقول الديانة المصرية في قصة "الخلق" بأن الإله "آتون" كان قد تجسد في شكل حية مشتعلة على ظهر جبل تبدى من اليم "نون" يقول العبرانيون ببساطة أنه كان نورًا خرج من غمرٍ مظلم وأن الرب خلق إهابًا (غطاءًا) في وسط المياه، ودعا الله الإهاب سماءًا... وهكذا. لكن الكتبة العبرانيون تبنوا العديد من المعتقدات التي اختلفت في بعض الأحيان مع الديانة المصرية مما ترتب عليه نشوء تضاربات في رواية سفر "التكوين".

لكن حقيقة الأمر أن هذا مجرد جزء من القصة، فبعد أن انتقل "بنو اسرائيل" إلى "كنعان"، تعرض الكتبة العبرانيين لتأثير تيارات الحضارة البابلية، تلك التي كانت إحدى أقوى حضارات "الشرق الأدنى". وفي عام 587 ق. م. اعتقل البابليون كل من بقي من أهالي المملكة العبرية. ورحلوا نخبة المتعلمين قسرًا إلى معاقلهم، هناك انغمست هذه النخبة في الثقافة المحلية. واحترم العبرانيون حكمة حضارة "بابل"، فأحسوا بضرورة تصحيح أفكارهم الأولى تلك التي كانت قد انسلخت تماما عن أصولها المصرية في ذلك الحين.

كانت قصص "الطوفان" من أصعب المشاكل التي واجهت الكتبة العبرانيون،

فقصة "الطوفان". التوراتية كانت إحدى قصص "الخلق" التي شيدت على أساس ثامون "هيرموبوليس" (المكون من أربعة ذكور وأربع إناث) الذين خرجوا من اليم الهيولي. وقد سبقت في ترتيبها قصة "آدم" و"حواء" وخروجهما من جنة "عدن". لكن في "بابل" قرأ العبرانيون اسطورة عن طوفان آخر، دهم العالم في عصر الجيل العاشر من البشر وليس في عصر "الخلق". وفي محاولة لضبط تاريخهم حسبما يتفق مع معتقدات مثقفي "بابل"، قام العبرانيون بنقل قصة "الطوفان" من عصر "الخلق" إلى زمن الجيل العاشر من ملوك "التوراة"، كما قاموا بتعديل القصة لتلائم النسخة المحلية لـ"الطوفان".

كنتيجة لذلك ضمّن الكتبة، لهذه الأعمال التأريخية العظيمة، جميع التقاليد العبرانية. لكن بالرغم من التدقيق في حياكة خيوط هذا التاريخ، فإن هذا المجهود أعطبت ثماره عيوبٌ ملحوظة. فقد تخللت هذه القصص بعضًا من آثار الديانات الإشراكية التعددية الآلهة والتي أخطأتها أعين المنقحين. بعض هذه التضاربات يمكن بالكاد ملاحظتها ولكن كان أغلبها ظاهرًا جليًا. وفيما انقطعت صلة العبرانيين بأصولهم المصرية تفاقم جهلهم بجذور تلك التضاربات في روايات وثائقهم المرجعية وعلى مر الزمن تزايد اعتماد النصوص المكتوبة على الروايات الشفهية. وبالتالي أدت هذه القناعات والتصحيحات الجديدة لمزيد من التشوهات في المفاهيم المكتوبة.

سنقوم في الفصل الأول (أساطير "الخلق") من هذا الكتاب بتفنيد الروايات اللاهوتية، عارضين للأساطير المصرية المتضمنة بها، مبينين كيف طُعِمَتْ واستبدلت من آنٍ لآخر بأساطير الحضارة البابلية.

يبدأ سفر "التكوين" بروايتين متباينتين عن قصة "الخلق". استمدت الرواية الأولى (تكوين 1 – 3:2) من المرجع الكهنوتي الملقب بمرجع "الكاف". فيها جاءت القصة المعروفة للخلق في سبعة أيام وما تبعها من خلق للسماء والأرض، ثم إنبات ثمر الأرض، وخروج أجناسها ودوابها. لكن على عكس القناعة السائدة لم تشر تلك الرواية لخلق "أدم" و"حواء". وإنما كما تتلو الآيات خُلقَ البشر في اليوم السادس: "**فَخَلَقَ اللهُ الإنسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وأُنثَى خَلَقَهُم.** " (تكوين 1:27).

جاءت الرواية الثانية لـ"الخلق" في الإصحاح الثاني لسفر "التكوين". هذه الرواية المستقاة من المرجع اليهوي الملقب بمرجع "الياء" كانت مجرد تقدمة لقصة "آدم" و"حواء" ونسلهما.

حيث بدت في عرضها مقتضبة ومنقوصة بالمقارنة مع الرواية الأخرى المنسوبة للمرجع "الكهنوتي".

تختلف تفاصيل القصتان بشكل كبير. فكل واحدة تعرض ترتيب وتفسير مختلف لنشأة عناصر الكون. لكن ما أوضح الفارق بينهما هو الوعظ المستخلص منهما. فالرواية الأولى لا تحمل أية مواعظ في طياتها. بينما تعج الثانية بتلك العظات الأخلاقية وذلك كما يظهر لنا من قصص "آدم"، و"حواء"، و"قابيل"، و"هابيل"، وما فيها من وصايا إلهية بالطاعة وحكايات عن العقاب الإلهي للآثمين والخطاة. كما يتناهى لنا ذكر شجرة المعرفة بالخير والشر. تلك القصص الموجودة في ثاني إصحاحات سفر "التكوين" كان لها أشد الأثر في تكوين الأفكار الأخلاقية للغرب من أمثال فكرة "الخطية الأولى"، و"تحمل الشخص لتبعات أفعاله"، وصيانة الأخوة، وأهمية دور مؤسسة الزواج في المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك تواجهنا الروايتان بصورتان مختلفتان للرب. فرب مرجع "الكاف" كيانًا روحيًا غير متجسد يكفيه أن يقول كلمة أو يومئ أو يشير فتتداعى له عناصر الكون طوعًا. بينما يتمثل رب مرجع "الياء" كيانًا متجسدًا يروق له التنزه في الجنة ونحت تماثيل صغيرة من الطين، كما يمكنه صنع الحلوى والتسكع هنا وهناك ومتابعة أعمال الخدم كأنه فنان هاوٍ يشرف على ممتلكاته وأطيانه.

كان من المفترض أن ينصب اهتمام علماء اللاهوت على الوازع الأخلاقي والانسجام الفكري للنص الديني لكنهم ببساطة يتغاضون عن تلك الاختلافات ويقبلون بهاتين الروايتين كجزئين لحلقة واحدة، يهتم جزئها الأول بقصة "الخلق" عامة ويهتم الثاني ببعدها الإنساني. على الجانب الآخر يبدي الباحثون في علوم اللاهوت استعدادًا لتقبل وجود تلك التناقضات ويرجعونها لوجود أصلان كتابيان لها حاول بعض المنقحون دمجهما في سياق واحد. لكن علماء اللاهوت والباحثون كلاهما يغفلان حقيقة أن هذان المصدران مستمدان في الاساس من عقيدتين منفصلتين من عقائد الديانة المصرية القديمة.

تسير قصة المرجع الكهنوتي للخلق على خطى أسطورة "الخلق" في ديانة "طيبة". فتبسط لنا نفس تسلسل الأحداث ابتداءًا بهيأة العالم قبل الخلق في شكل ثامون "طيبة" الإلهي الذي كان تجسيدًا "لآمون" في اسطورة "الخلق" وحتى الإله "بتاح" الذي خلق الكون بكلمة، مرورًا بصعود النور الأول للإله "آتوم". ثم خروج الجبل المستعر من مياة اليم البدائي

وانفصال الأرض عن السماء، ومن ثم تجَمُّع مياة "النيل" وانبات ثمار الأرض.

تم الخلق في ستة أيام وفرغ الله من عمله في اليوم السابع فاستراح. وفي اليوم السادس خلق الإنسان على صورة الرب وكان يدعى بالـ"آدم" (The Adam) كما جاء في الإصحاح الخامس. لكن تظهر لنا القراءات أنه عند نسخ مرجع "الكاف" حدثت بعض الأخطاء الاختزالية، فاكتمال خلق"آدم" يتم في اليوم السابع ما يعني أن الرب استراح في اليوم الثامن (هذا إذا كان قد استراح يومًا).

تبدأ رواية مرجع "الياء" أو قصة "الخلق" الثانية بداية غريبة نوعًا ما فتقول،بأن "قصتها تدور حول أبناء السماوات والأرض"، أغلب الظن أنها إشارة لبعض الآلهة الوثنية. فتشير تفاصيل هذه الرواية إلى أنها تجري خلال ثاني أيام الخلق وأن قصتها قد استمدت جذورها من ديانة "هليوبوليس" التي خرج فيها الإله "آتوم" من اليم البدائي.

في هذه الأسطورة، وضع كتبة اللاهوت "آدم" و"حواء" مكان إلها الديانة المصرية "جب" و"نوت" رمزا السماوات والأرض وكما يتضح لنا فقد اشترك هذان الإلهان مع نظيريهما التوراتيان في العديد من الصفات.

فأدى ذلك الخلط الذي حدث بين شخصية الـ"آدم" الذي قدمه مرجع "الكاف" و"آدم" و"حواء" اللذان قدمهما مرجع "الياء" لذيوع فكرة خاطئة تقول بأن "آدم" و"حواء" هما أول البشر وأنهما قد خلقا على صورة الرب في اليوم السادس.

بقيت قصص "الخلق" المأخوذة عن المرجع "الكهنوتي" على صلة بأصولها المصرية، فيما تخلصت القصص المستندة إلى المرجع اليهوي من جميع تلك الأصول عدا جوهرها ثم راكمت فوقها عناصر من الثقافة البابلية. دارت القصة التي تتناول جنة "عدن" حول أبناء "جب" و"نوت". علمًا بأن جنة "عدن" هذه كانت على ضفة "النيل". وشجرة "معرفة الخير والشر" وشجرة "الحياة الأبدية" كانتا رمزين مقترنين بالإله "شو" والإلهة "تفنوت". قابل أبناء الإلهين "جب" و"نوت" – "أوزوريس" و"ست" و"حورس"– في الديانة المصرية أبناء "آدم" و"حواء" – "قابيل" و"هابيل" و"شيث" وكانت أصداء العداوات التي نمت بين آل "آدم" والحية ممثل الشيطان والعداوات التي نشأت بين "هابيل" و"قابيل" إنعكاس للعلاقة العدائية التي ربطت عائلة "أوزوريس" بـ "ست" الإله الشيطاني الماكر.

ولأن رواية المرجع "اليهوي" كانت تحوي العديد من الشخصيات والكثير من التفاعلات

بينها، لاقى الكتبة العبرانيون سهولة في إيجاد أساطير موازية لها في ثقافات اخرى، أكثر مما أتاحت لهم رواية المرجع "الكهنوتي" الذي كانت رواياتها بسيطة ومباشرة ومقتصرة على الرب بحيث لم يعد في الإمكان خلطها بأي قصص أخرى. لهذا اكتسب مرجع "الياء" العديد من الإضافات معظمها من أصل بابلي.

في قصة "هابيل" و"قابيل"، على سبيل المثال، يقتل "قابيل" الذي يعمل في الزراعة، أخيه الأصغر"هابيل" الذي يعمل في الرعي. وفي الرواية المصرية يقتل الاخ الأصغر أخاه الأكبر الذي كان زارعًا. ولسبب ما كما يبدو عُكست الأدوار. وحسب الروايات البابلية التي تعرض عداءًا أزليًا بين الزراع والرعاة والتي يُقتل فيها الراعي بشكل مأساوي تحل هذه الروايات محل القصة المصرية. أدى هذا بدوره إلى الحيلولة دون تمييز تلك الجذور المصرية التي بداخلها. وقد بلغ الأمر حده بإبدال أماكن وقوع الأحداث، فجنة "عدن" التي كانت على ضفة "النيل" ذات يوم، أستأصلت برعونة من قبَل كتبة "التوراة" لتوضع في "بلاد الرافدين" (Mesopotamia) فتختلط ذهنيًا بجنة "دِلمون" (Dilmun) السومرية.

تغص روايات مرجع "الياء" بقصص إنسانية (منذ بدء الخليقة وأخبار جنة "عدن" وخروج "آدم" و"حواء" منها مرورًا بقصة "قابيل" و"هابيل") حتى ما قبل قصة "طوفان نوح"، في حين تقفز رواية مرجع "الكاف" من قصة "الخلق" إلى قصة "الطوفان" مباشرة من دون أية قصص بشرية تتخللهما سوى تلك التي ذكر فيها رصد للأنساب منذ "آدم" وحتى "نوح" (Noah). وعلى العكس من قصص "الخلق" التي دونت كل منها على حده، تمتزج قصتا "الطوفان" في نص واحد. فأحيانا تبدأ آية بأحد المرجعين ثم تنتهي بآخر.

كنا قد بينّا فيما سبق كيف أن قصتا "الطوفان" المنتميان لمرجعا "الكاف" و"الياء" قد بنيتا على أساس أسطورة "الخلق" في ديانة "هيرموبوليس" وكيف أنها أدمجت داخل الكتابات العبرانية ثم بعد ذلك أضيفت لتلك الكتابات أفكار الأساطير البابلية عن "الطوفان" مما دفع بزمن حدوثه للتأخر حتى عصر عاشر جيل من البشر. وبرغم الروافد المشتركة لروايتا "الطوفان" في العقيدة المصرية إلا انهما تظلان مختلفتان في منابعهما وتقاليدهما. يحمل مرجعا "الياء" و"الكاف" آثار تأريخات التتابع الزمني للفيضان داخل رواية "الطوفان". فمصدر "الياء" يدور حول البنية الموسمية للتقويم الشمسي، يخبرنا هذا بأن منشأ هذه القصة كان زراعيًا، ما يتلاءم مع الجانب الزراعي في قصة "آدم" و"حواء". على الجانب الآخر يدور مرجع "الكاف"

حول التقويم الشمسي- القمري المصري، وهو تقويم دورته خمس وعشرون عامًا يستخدم في الاحتفالات الدينية، ما يعكس طبيعة هذا المصدر الكهنوتية والطقسية.

بعد قصة "الطوفان" يخبرنا سفر "التكوين" بإعادة إعمار الارض وبقيام الأمم الاولى. يعكس رصد تاريخ الانساب هذا نوعًا من الأحداث السياسية التي جرت خلال الألفية الاولى قبل الميلاد والتي كانت هذه القصص مجرد روايات زائفة عنها أو حكايات متأخرة عليها يرجع تاريخها لما بعد وصول "بنو إسرائيل" إلى أرض "كنعان".

ومجددًا تعرض هذه القصص عبقرية الكتبة العبرانيين الذين استطاعوا أخذ الأساطير والخرافات من مختلف المصادر ومختلف الأزمنة فيدمجونها معًا- بلا أدني خطأ تقريبًا- داخل سياق طويل متصل. لكن المهمة لم تكن هينة إذ تراكمت الأخطاء بسرعة حتى أننا نرى مثل هذه العيوب في الكتابات المستنسخة.

الأسطورة رقم 1

في البدء كان خرابًا وخلاء

الأسطورة: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ. وكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. " (تكوين1:1 – 2)

الواقع: استعان سفر "التكوين" بعقيدة "هيرموبوليس"في قصة "الخلق" لوصف شكل الكون قبل بدء الخليقة، لكن بعد أن حُذِفَ الآلهة الذكور الأربعة من القصة وأبقِيَ على صفاتهم الرئيسية.

تصف أول آيتان من سفر "التكوين" حال الكون قبل أن شرع الرب العبراني في خلقه. ففي بداية الآيات يقال أن الرب خلق السماوات والأرض، لكننا نرى في الفقرات اللاحقة أن السماوات والأرض كانت مطمورة في "الغمر" خلال المراحل الأولى في انتظار من ينتشلها ويحولها لشكلها المادي الحالي.

جاء في النص كلمتا "خراب" و"خلاء" وهما ترجمة لكلمتا "توهو" (tohu) و"بوهو"

(bohu) اللتا وردتا في النص العبراني، كانت هاتان الكلمتان متداولتان في بعض الكتابات كمصطلح يصف الهيولي أو الفوضوى، بمعنى أن في إمكانك القول أن "في البدء كان كل شئ [توهو] و[بوهو]". تلك الكلمتان عند استخدامهما سويًا تعنيان: مساحة شاسعة خالية (فراغ)، أو مساحة نائية. وكما في داخل النص التوراتي نجدهما تعنيان مساحة غير محددة في شكل فقاعة بداخل "الغمر" البدائي.

الكلمة التي ترجمت بمعنى "روح" في الآية القائلة "روح الله" هي في العبرانية كلمة "روخ" (ruach) وهي لا تعني "روح" وإنما تعني "الريح" أو "الزفير القوي"، لكن بإعطاء كلمة "روخ" معنى "روح" حاول مترجمو "العهد القديم" اتمام عملهم وفق فهمهم اللاهوتي للنص بغض النظر عن المعنى الحقيقي أو النص الأصلي. لذا فلو أننا وضعنا كلمة "رياح" بدلا من كلمة "روح" سنجد معنى النص العبراني كالتالي:

تصف الآيات الابتدائية أربعة أشياء:

1 – أرض وسماء احتلا مساحة لكن من دون أن يكون لهما فحوى أو معنى.

2 – الظلمة.

3 – غمر مائي، بداخله يوجد الفراغ الغير متجسد، و

4 – ريح (ما ترجمت: روح الله) ترف على وجه المياه.

كونت تلك العناصر الأربعة قناعة كتبة اللاهوت حول عناصر الكون قبل الخليقة، إحدى هذه العناصر ("الريح" تحديدًا)، كانت رمز للرب العبراني. كل هذا يتطابق تمامًا مع قناعات كهنة "هيرموبوليس" و"طيبة" حول العناصر الأساسية للكون قبل بدء الخلق، لكن المصريين رمزوا لكل ظاهرة بزوجين من الآلهة (ذكر وأنثى)، هذا الشئ كان محرمًا في اللاهوت العبراني. ومما يلي، يمكننا أن نرى كيف تبنى العبرانيون الحبكة المصرية لعناصر الكون الأولية.

الشرح لمجموعة الآلهة المصرية ورموزها وعناصرها:

1 – الإله "حوح" والإلهة "حوحه" – الفراغ الغير متشكل، بمعنى: الفقاعة الغير متشكلة المطمورة داخل الغمر، كما وصفت بداخل سفر "التكوين" بكلمتي "توهو" و"بوهو".

2 – الإله "كوك" والإلهة "كوكه" – الظلمة التي على وجه الغمر.

3 – الإله "نون" والإلهة "نونه" – الفيضان البدائي، "الغمر" تمامًا مثل "الغمر" اللاهوتي.

4 – الإله آمون" والإلهة "آمونه" – الرياح الشفافة، أو "الريح" اللاهوتية التي رفت على وجه الغمر.

ومع أن الكهنة العبرانيين تبنوا وجهة النظر المصرية حول عناصر الكون الأولية إلا أن لاهوتهم التوحيدي دفع بهم للفصل بين العناصر الأولية وما يوازيها من آلهة مصرية. لكن ما زاد على ذلك هو أن كاتب هذه الرواية في سفر "التكوين" قبل ما جاء في عقيدة "طيبه" من أن رمز الرب الخالق كان الريح. فقد غير فقط اسم الإله المصري "آمون" إلى الإسم العبراني "الوهيم" (Elohim) ووصفه بـ"الروخ" (ruach) بمعنى الريح. وبتتبع

نص سفر "التكوين" نرى كيف استمر الكاتب العبراني في احتذاء خطى الأساطير المصرية.

الأسطورة رقم 2

في البدء قال الله كلمة

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ..... " (تكوين 1:3)

الواقع: ترجع أصول فكرة الخلق بالكلمة لأساطير "الخلق" المصرية.

يبدأ الخلق اللاهوتي بأمر الرب "ليكن نور". لا توجد هذه الفكرة داخل أساطير "الخلق" لحضارة "ما بين النهرين" (Mesopotamia). لكن في أساطير "الخلق" المصرية تلعب الكلمة دورًا أساسيًا.

آمن المصريون بقوة الكلمة في الخلق وفي التحكم في مجريات الأمور ففي العديد من الكتابات المصرية تقترن الكلمة المنطوقة بالخلق إقترانًا وثيقًا. إحدى هذه الكتابات تقول بأن "آمون" "هو من قال كلمة فجاء للوجود بها". وأخرى وصفت الإله "بتاح" بالمثل في القول بأنه " هكذا أراد وصرح بإرادته [فجاء للوجود بكلمته]" وفي وصف لأعمال "آتوم" في عملية الخلق قيل بأنه " أخذ في الخلق بكلمة من فمه".

في معرض الكلام عن خطة الخلق الطيبية قيل بأن "آمون" (رمز الريح) تجسد في شكل العناصر الاولية الأربعة للكون بعد أن شرع في عملية الخلق، فظهر في شكل إله الخلق"بتاح" من أساطير "ممفيس"، الذي بدأ الخلق بكلمة. يتطابق هذا مع تسلسل سفر "التكوين" في عملية الخلق حيث شرعت "الريح" في الخلق بالأمر الإلهي، لكن الكاتب اللاهوتي ألغي أيه إشارة للإله "بتاح" بصفته الآمر بها وأدمجه في شخص "آمون" رب "طيبة" الخالق. وحقيقة الأمر أن كل هذا مجرد إختلاف صوري إذ أن عقيدة "طيبة" تقول أن "آمون رمز الريح" و"بتاح قائل الكلمة" هما تجسدان لنفس الرب.

الأسطورة رقم 3

في البدء كان نور

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ لِيَكُن نُورٌ فَكَانَ نُورٌ." (تكوين 1:3)

الواقع: يتبع سفر "التكوين" مذهب "طيبة" في "الخلق" عندما يشير إلى بدء الخلق بخروج النور.

في سفر "التكوين" يأتي أمر الرب بخروج النور كنذير لبدء الخلق. وهذا مذهب غير متبع في أساطير حضارة "ما بين النهرين" إلا أنه موجود في العديد من الأساطير المصرية. فبعد أن يقول الإله المصري كلمة يخرج النور. وفي إحدى ترانيم "آمون" يظهر لنا مدى التصاق هذا الترتيب اللاهوتي بالنسخة المصرية:

[الواحد (يعني "آمون") الذي وجد قبل أن يوجد (أي) إله، عندما يا (آمون–رع) فتحت عيناك لتراهم وبنظرتك أنرت كل شئ، فلم يكن للنهار وجود بعد.]

المُشوِق في هذا النص هو أنه لا يقتصر على وصف بداية الخلق بمجيء النور وإنما ايضًا لأنه يقول بأن النهار لم يكن له وجود، وهذا هو نفس زعم سفر "التكوين". فبعد ظهور النور مباشرة يقول سفر "التكوين":

ورَأى اللهُ النُّورَ أنَّهُ حَسَنٌ. وفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ والظُّلْمَةِ. ودَعَا اللهُ النُّورَ نَهارًا والظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً.

وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا. (تكوين 1:4 – 5)

في أسطورتا خلق "طيبة" و"ممفيس" يقال أنه بعد ظهور "بتاح"، أَمَرَ "آتوم" بالوجود، فجاء إله أسطورة "هليوبوليس" هذا إلى الوجود في شكل حية مشتعلة كانت هي النور الأول.

في سفر "التكوين" وأسطورة "الخلق" المصرية كلاهما، يأمر الرب بظهور النور، حيث يرمز الإله "آتوم" لهذا النور، لكن الكتبة العبرانيين يلغون كل إشارة لهذا الإله ويقولون بظهور النور فقط.

الأسطورة رقم 4

وفصل الله بين النور والظلمة في اليوم الأول

الأسطورة: **"وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا."** (تكوين 1:4 – 5)

"فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ. النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ. وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ. وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا." (تكوين 1:16 – 19)

الواقع: لسفر "التكوين" تفسيران متعارضان لسبب وكيفية الفصل بين النور والظلمة. نشأ هذا الخلط بسبب حدوث القصة الأولى قبل خلق الشمس والقمر. إذ لم يعد في إمكان منقحي النص التوراتي تذكر السبب الأساسي لظهور الليل والنهار قبل خلق الشمس والقمر في الرواية الاصلية للاسطورة المصرية، مما حدا بهم لإضافة هذا الشق الثاني بعد ظهور هذان الجرمان السماويان.

بعد خروج النور في اليوم الأول، يقول سفر "التكوين" أن الرب فصل بين النور والظلمة، فدعا النور نهارًا والظلمة ليلاً، مع ذلك في اليوم الرابع فصل الرب مجددًا بين النور والظلمة وجعلهما ليلاً ونهارًا. لماذا إذًا حدث ذلك مرتان؟

تبدو طبيعة النور الذي ظهر في اليوم الأول محيرة. ففي سفر "التكوين" يخلق الشمس والقمر والنجوم في اليوم الرابع. كيف إذًا يكون هناك نور في اليوم الأول يتبعه ظهور ليل ونهار ثم يتبعه ظهور ليل ونهار ثان قبل وجود الشمس؟ وكيف يستلزم الأمر فصلاً ثانيًا بين الليل والنهار لخلق الشمس بعد أن كان فصل الليل عن النهار سابقًا؟

هذا الخلط نتج عن تتبع سفر "التكوين" للحبكة المصرية لأسطورة "الخلق"، التي بها يظهر النور في بداية الخلق. لكن هذا النور الأول كان الإله "آتوم" إله الشمس، الذي لم يكن هو نفسه قرص الشمس. ففي الفكر المصري توجد العديد من الهيئات الشمسية والآلهة المتنوعة التي تمثل الشمس في أطوار مختلفة. فخلال رحلة الشمس اليومية عبر السماء –على سبيل المثال– يمثل العديد من الآلهة أطوارها المختلفة. فإله الصباح هو "خبري" (khepra) الذي يرمز له بالجعران ثم هناك إله بعد الظهيرة "رع"، في حين كان رمز قرص الشمس هو "آتون" (Aten) الذي أصبح إلهًا فيما بعد وكان يرمز للتجسد المرئي للشمس، و لم تكن هذه هي كل هيئات الشمس المادية كما لم تكن هذه الهيئات موجودة عند بدء الخلق.

كان لدى المصريين أيضًا نظرة فلسفية في الليل والنهار، فوفقًا لإحدى فقرات "كتاب الموتى" (The book of the dead) جاء قول: "(الخلود) هذا هو النهار، (الديمومة) هذه هى الليل" وهذه الفكرة تعكس إعتقاد المصرين في أبدية الحياة ففلسفتها ترتكز حول دورة الشمس اليومية التي عدها المصريون شكلاً يوميء للحياة (البعث) والموت. كانت الشمس في النهار صبي وفي الغروب شيخ. فتلازم "الخلود" و"الديمومة" مع شروق الشمس في بداية الخلق. لذا فقد أدرك المصريون "النهار/ الخلود" و"الليل/ الديمومة" على أنها خاصية من خصائص ضوء الشمس.

تظهر نفس الفكرة في سفر "التكوين". فالخلق الأول لليل والنهار كان معادلاً للفكرة المصرية عن "الخلود" و"الديمومة" التي اختلفت عن تلك الممثلة لظاهرتي الليل والنهار المقترنتان بقرص الشمس والقمر والنجوم.

ومع ذلك، فبالنسبة للعبرانيين الموحدين الذين بدأوا كتاباتهم بعد ذلك بقرون، اقتصرت فكرة الشمس لديهم على شكلها المادي. فلم يكن لها إله أو مجموعة من الآلهة لتمثلها. كانت كل معرفتهم بالشمس تتلخص في كونها جرم سماوي تفصل حركته بين الليل والنهار. فبالنسبة لهم كان الليل والنهار نتاج عملية الشروق والغروب التي تقوم بها الشمس كما

ذكر في رابع يوم من "الخلق" بداخل سفر "التكوين". لم يكن "الخلود" أو "الديمومة" جزءًا من العقيدة العبرانية، لذلك لم يعد في إمكان كهنة العبرانيين تذكر أو فهم فلسفة تلك الليالي والنهارات الأولى، إذ ظهر الليل والنهار في أول يوم من الخلق، وكان لابد لذلك الخلق أن يكون نتيجة لشروق وغروب الشمس. لكن كتبة سفر "التكوين" ذكروا وجود الليل والنهار وفقًا للعادة متجاهلين أو غير مدركين للتضاربات المترتبة على هذا الأمر.

الأسطورة رقم 5
وليكن جلد في وسط المياه

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ لِيَكُن جَلَدٌ فِي وَسَطِ المِيَاه. ولِيَكُن فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاه ومِيَاه. فَعَمِلَ اللهُ الجَلَدَ وفَصَلَ بَيْنَ المِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الجَلَدِ والمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الجَلَدِ. وكَانَ كَذَلِكَ." (تكوين 6:7)

الواقع: الجلد (الإهاب) الذي خرج من بين المياه هو الجبل البدائي في الأساطير المصرية.

بعد استدعاء الضوء الاول والتفرقة بين النور والظلمة، يخبرنا سفر "التكوين" أن الله أخرج الإهاب (قبة السماء) من بين المياه، وأن هذا الإهاب فصل بين المياه والمياه. وكما يبدو جليًا من القول المذكور أعلاه "بين المياه والمياه" فإن الإهاب قد فصل بين المياه التي فوقه والتي تحته.

تشترك الأساطير المصرية جميعًا في أن ما تلى النور في الخلق (الذي يمثله الإله "آتوم" عادة) كان الجبل الذي خرج من اليم الهيولي. هذا الجبل بطبيعته المادية صلدًا، لذا ففي الفكر المصري فصل هذا الإهاب بين المياه أعلاه وأسفله فكانت قناعة المصريين تتمثل في أن السماء مجرى مائي يبحر خلاله إله الشمس "رع" على ظهر "مركب شمسي" (solar barque). لهذا غدا الإهاب هو الجبل البدائي الذي يفصل بين المياه التي بالأعلى والتي بالأسفل وكان هذا لصلابته. لا يمكن التفرقة بين الإهاب (الجلد) الذي خرج من المياه في سفر "التكوين" والجبل البدائي الذي خرج من اليم "نون" أو المياه الأولية، ففي كلتا النسختان المصرية والتوراتية، يتم الخلق بنفس الترتيب، فيخرج الإهاب بعد استدعاء النور بقوة الكلمة.

الأسطورة رقم 6

ودعا الله الجلد سماء

الأسطورة: "وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وكَانَ مساءٌ وكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا." (تكوين 1:8)

الواقع: عُرف الإهاب (الجلد) بالسماء لخطأ ارتكبه المنقحين اللاهوتيين اللاحقين في الترجمة.

يصف سفر "التكوين" وقوع حدث واحد في اليوم الثاني لـ"الخلق" وهو ظهور الإهاب. (فيما بعد سنرى أن اليوم الثاني من "الخلق" تضمن احداث أخرى). وبالرغم من الرواية تقول أن المياه كانت فوقه وتحته، ما يجعله مرادفًا للسماء (sky) وليس السماوات (Heaven). إلا أن أحد الكتبة العبرانيين أطلق عليها اسم "السماوات" نتيجة لعدم دراية بالأصل المصري لهذه الرواية التي كان بها الإهاب جبلاً تبدى ففصل بين المياه أعلاه والمياه أسفله.

كانت قصص "الخلق" في كل مكان في "الشرق الأدني"، بداخل "مصر" كما في "بلاد الرافدين" و"الشام" (Levant) تقول بأن السماوات كانت على قنطرة فوق السماء. كانت تلك القنطرة شفافة وصلبة، وكانت ضرورية للحيلولة دون سقوط السماوات. في "مصر"، كانت السماء التي تفصل بين السماوات والأرض هي نفسها الإهاب الذي خرج من اليم. والذي اقترن بالإله "شو" ابن السماوات والأرض الذي صوره المصريون حاملاً السماوات على ظهره.

اقتنع العبرانيون بحتمية وجود سطح صلب في السماء يحمل السماوات، لكن بوصفهم موحدين لم يستطيعوا تقبل وجود إله آخر للسماء مختلف عن الإله العبراني لذلك فصلوا مجددًا الإله المصري عن الظاهرة الطبيعية التي يمثلها وحولوا الإله المصري الذي حمل السماوات إلى السماوات ذاتها.

الأسطورة رقم 7
وقال الله لتجتمع المياه

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ. وَكَانَ كَذلِكَ. وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا. وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ." (تكوين 1:9 – 10)

الواقع: اجتماع المياه هو إحالة لعملية خلق نهر "النيل".

بدأ اليوم الثالث من أيام "الخلق" بتجمع المياه في مكان واحد. ثم دعا الرب مجتمع المياه بـ"البحار"، ولقد جاءت الكلمة في الجمع لتدلل على وجود عدة مسطحات مائية. ومما لا شك فيه أن لكل بحر مكان يحده. إذًا فالسؤال هو، هل اجتمعت المياه في مكان واحد أم في عدة أماكن؟

نشأت المشكلة من التأثيرات التي جاءت من الكتبة العبرانيين الذين عاشوا في "بابل" خلال نهاية الألفية الأولى قبل الميلاد، فتأثرهم ببيئتها وثقافتها جعلهم يضيفون معلوماتهم الجغرافية الجديدة إلى النص الذي حمل تفاصيل جغرافية أخرى. كان أهالي "بلاد الرافدين" و"الشام" على علم بالعديد من المسطحات المائية منها البحر المتوسط (Mediterranean)، والبحر الأحمر (Red sea)، ونهر دجله (Tigris)، ونهر الفرات (Euphrates)، ونهر الأردن (Jordan river)، والبحر الميت (Dead sea)، ونهر العاصي (Orontes) في سوريا (Syria).

لكن المصريين رغم معرفتهم بالكثير من المسطحات المائية لم يهتموا سوى بنهر "النيل". لقد قيل على لسان "هيرودوت" (Herodotus) أن "مصر هبة النيل". ولقد كانت أضخم خصائص "النيل" فيضانه السنوي، الذي زود أرض "مصر" بوفرة من الطمي الخصب. بالإضافة إلى ذلك، لازم النهر الأسماك والحيوانات والطيور، بذلك أصبح مصدرًا غذائيًا ثانيًا بعد الأرض، ثم في النهاية عمل كمجرى ملاحي أتاح للمصريين معرفة المدن الكبرى على ضفاف "النيل".

لعب نهر "النيل" دورًا حيويًا في حياة المصريين بحيث إستحق الأساطير المنسوجة حوله. الأفكار الأسطورية التي دارت حول الفيضان الكوني في بداية الخلق والجبل الذي خرج من اليم، كانت كلها صور مستلهمة من نهر "النيل". وكما أعطى فيضان "النيل" الحياة، تخيل

المصريون فيضان كوني مماثل بدأت به الحياة. وبينما عادت مياة الفيضان لحوض النهر خلفت كومات من الطمي الاسود الخصب، تخيل المصرين بروز تل بدائي من بين مياه الفيضان التي تجمعت مياهه في مجرى واحد.

إحدى أساطير "الخلق" المصرية [حفظت في وثيقة معروفة بإسم "نص تابوت 67" (Coffin text 67)] تصف إنفصال السماوات عن الأرض فتقول بأن "شو" (السماء) ابن "آتوم" (النور الأول) كان يُجمّع المياه: "هذا الرب (شو) يربط اليابسة معًا من أجل أبيه "آتوم"، ويلملم له الفيضان العظيم. "

ترمز لملمة الفيضان إلى خلق "النيل" ويتابع النص قائلاً أن الحدث وقع في نفس اليوم الذي ظهر فيه "آتوم" على ظهر الجبل البدائي. وإذا ما جردنا هذه الاسطورة من خصائصها الإشراكية المتعددة الألوهية كما كان سيفعل كتبة العبرانيون، سنجد تطابقًا شديدًا بينها وبين ما جرى في اليوم الثاني والثالث من "الخلق" في سفر "التكوين".

"شو" رمز السماء الذي هو ابن "آتوم"، النور الاول الذي قرنه المصريون بظهور الجبل البدائي، جاء إلى الوجود في نفس اليوم الذي ظهر فيه "آتوم" فيما تلى خروج الجبل من اليم "نون" (الفيضان العظيم). ثم أنه هو (السماء) من فصل "نوت" (Nut) "السماوات" و"جب" (Geb) "الأرض" عن بعضهما وربط اليابسة معًا، ولملم مياه الفيضان في مكانٍ واحد (وهكذا خلق "النيل")، هذه الأحداث جرت جميعًا على نفس هذا النحو في سفرِ "التكوين".

من هنا نرى أن تسلسل "الخلق" التوراتي تبع الحبكة المصرية، فلملمة المياه التي قام بها "شو" في وصف نشأة نهر "النيل" يقابلها عملية تجمع المياه في مكان واحد داخل "الكتاب المقدس".

أما بالنسبة لوصف السماوات، فلقد أساء أحد كتبة "التوراة" في فهم الوصف الأول للمياه لأنه لم يعد في إمكانه فهم الأحداث كما هي في سياقها المصري. إذ حدث التنقيح النهائي بعد أن أسرتْ النخبة الثقافية للعبرانين ونُقلَت إلى "بابل"، و"بابل" بوصفها مركز حضاري قوي، أثرت بشدة في منقحي "الكتاب المقدس" اللاحقين. وبما أن النظرة البابلية إهتمت بالعديد من المسطحات المائية، فلقد أخذ الكتبة العبرانيون ما كان في الاصل وصفًا "للنيل" من القول بتجمع المياه في مكان واحد ثم ألحقوا به القول بأن هذه المياه كونت بحارًا عدة. ومرة أخرى حدث هذا عن جهالة أو تجاهلاً للتناقض الناتج عن هذا التحريف.

الأسطورة رقم 8

ظهور النباتات قبل الشمس

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ. وَكَانَ كَذَلِكَ. فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. " (تكوين 1:11 – 12)

الواقع: يقتدي سفر "التكوين" بتسلسل الخلق في الأساطير المصرية فيجعل خلق النبات سابق على خلق الشمس.

ينتهي اليوم الثالث من "الخلق" بظهور النباتات: العشب والبذور والثمر. وعلى هامش الحديث، يظهر هذا الطرح تعارضًا مع المنطق العلمي، حيث تحتاج الحياة النباتية إلى ضوء الشمس كي تنمو بينما لم تُخلق الشمس بعد. لكننا هنا نقصر اهتمامنا على مناقشة المنطق الأسطوري للنص.

والآن دعنا نتمعن في هذا المقتطف من "كتاب الموتي" تابوت 79، واضعين نصب أعيننا سفر "التكوين":

المجد لآتوم!

الذي صنع السماء، التي خَلقَت كل ما وُجِد؛

الذي خرج في شكل اليابسة، التي خَلقَت البذرة.

تعرض هذه القطعة نفس تتابع مراحل "الخلق" في سفر "التكوين"، فتخرج السماء إلى الوجود أولاً، تتبعها اليابسة ثم النبات. يتردد هذا التتابع في نصوص مصرية أخرى تصف عملية "الخلق". كمثال، كان الابن البكر للسماوات والأرض هو "إيزيس" الذي رُمز له بالحبة، ما يعود بنا ثانية لفكرة أن خلق النباتات قد تبع خلق السماوات والأرض بشكل مباشر.

كما نجد أنه في كل عقائد الخلق المصرية، كان خلق النبات يأتي مباشرة بعد إنفصال الأرض عن السماوات وبعد تجمع المياه. وعلى ذلك فإن نفس هذا التسلسل المتبع في سفر "التكوين" يشهد على إلتزام القصة اللاهوتية بتفاصيل أساطير الخلق المصرية حَرْفيًا.

الأسطورة رقم 9
وخلق الرب الأجرام السماوية

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ. وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. وَتَكُنَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ. وَكَانَ كَذلِكَ. فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ. النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ. وَالنُّجُومَ. وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا." (تكوين 1:14 – 19)

الواقع: في البداية، إلتزم منقحوا "التوراة" الدرب الذي سلكته أسطورة الخلق في "طيبة"، لكنهم عادوا ليعدلوا منه كي يتبع أسطورة الخلق البابلية القائلة بظهور الأجرام السماوية.

ينبئنا رابع أيام "الخلق" بصنع الشمس والقمر والنجوم. فيصف لنا أولاً أن النور خلق في داخل الأهاب (من دون تحديد لهوية هذا النور) بغرض فصل الليل عن النهار. مما يوّرث الحيرة، فالرب سبق له فصل الليل عن النهار والنور عن الظلمة في أول ايام الخلق، هذا التناقض كنا قد أوضحناه من قبل في الأسطورة رقم 4. يقول سفر "التكوين" أن تلك الأنوار الغامضة التي تم خلقها في اليوم الرابع تخدم الكثير من أغراض التقويم، فتقسم الأيام والمواسم والسنين. بعد ذلك يصف لنا هذا السفر ماهية هذه الأنوار، فالنور الأكبر يأمر به النهار والنور الأصغر يأمر به الليل. وفيما يشبه الإستدراك يضيف قوله: " والنُّجومَ".

أما عن هذان النوران الكبيران (الشمس والقمر)، نجد أنه في عقيدة "طيبة" تظهر الشمس على هيأة طفل هو الإله "رع"، وذلك بعد فصل السماوات عن الأرض ونمو النبات (كما يتطابق مع سفر "التكوين"). لكننا لا نجد أي نصوص مصرية تقرن ظهور القمر والنجوم بخلق الشمس. كل ما نعرفه هو أن "آمون" إله "طيبة" (إله الخلق في أساطير "طيبة") تجسد في شكل "رع" (إله الخلق في أساطير "هيرموبوليس") والذي تابع خلق كل الموجودات بما فيها القمر والنجوم.

في بعض النصوص المصرية تظهر الشمس كعين "حورس" (Horus) والقمر كالعين الأخرى (وهو ابن الإله "رع" أو "أوزوريس")، لكن لا توجد رواية محددة لبداية خلق القمر. وقد اعتبر المصريون أن النجوم هم سكان العالم السفلي، وبما أن "أوزوريس" (ابن السماوات

والأرض) كان حاكم العالم السفلي، أطلقوا على النجوم اسم "أتباع أوزوريس".

وعلى الرغم من أننا نرى تماثلاً لتسلسل الأحداث بين أسفار "طيبة" وسفر "التكوين" عند مسألة خلق الشمس، إلا أنه سيكون علينا الإعتراف بأن الإتجاه الذي يسلكه نص سفر "التكوين" في رابع أيام الخلق لا يتبع الأساطير المصرية. فدور الشمس هنا يتضاءل بشدة، فتوضع على قدم المساواة أو لربما في منزلة أرفع قليلاً من القمر والنجوم. الأمر الذي لا يتجانس والفكر المصري بتاتًا.

مع ذلك فلقد أظهرت إحدى مقاطع أسطورة "الخلق" البابلية (اللوح رقم 5) المعروفة باسم الـ"إينوما إليش" (Enuma Elish) مدى تأثير الأفكار البابلية في الوصف الذي ظهر في سفر "التكوين". ففي هذا اللوح يوجد وصف للأحداث التي وقعت فور قتل الإله "مردوك" (Marduk) للحية المتوحشة "تيمات" (Timat) وتمزيقة لجسدها الذي خلق من أشلائه الشمس والقمر والنجوم، والذان إستخدما لضبط المواقيت. ولكي ندلل على تشابه هذا التوصيف مع النص التوراتي نذكر هذه الابيات: "هو الذي دفعها (هي) القمر للتألق عاليا، هو الذي إئتمنها على الليل، لقد عيّنها، زينة الليل، لتحدد الأيام."

الآن، قارن هذا بما جاء في النص التوراتي: "فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ العَظِيمَيْنِ. النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ."

وكما هو واضح يتشارك النصان في المفاهيم الرئيسية، لكن بوجهة نظر إشراكية تعددية الآلهة في النص البابلي. فكما حدث مع الأساطير المصرية، تقبل العبرانيون المنهج العلمي البابلي بعد أن فصلوا الآلهة الوثنية عن وظائفهم العملية. مع ذلك يظل واضحًا كم إنتهج العبرانيون النهج البابلي للسرد، ماحين الآلهة ومبقين على أدوارهم كحكام لليل والنهار.

الأسطورة رقم 10

وخرج الطير من المياه الأولى

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ وَلِيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ السَّمَاءِ." (تكوين 20 :1)

الواقع: لسفر "التكوين" روايتان متباينتان عن قصة خلق الطير، الأولى تعكس وجهة نظر الأساطير المصرية والثانية وجهة نظر الأساطير البابلية.

في اليوم الخامس من الخلق، يصف سفر "التكوين" خلق الحياة البحرية وخلق الطير، فيقول أن الطير خرج من المياه. ثم يأتي فيقول على النقيض في قصة "الخلق" التي في الإصحاح الثاني (المنسوبة لمرجع "الياء"):

"وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ." (تكوين 19:2)

إذن، هل خرج الطير من المياه أم من الأرض؟ مرة أخرى يعرض "العهد القديم" روايات متضاربة لنفس الحدث يبدو منها إعتماده على نصوص كتابية متنوعة ذات وجهات نظر ثقافية مختلفة. فالروايات التي تتناول المياه بوصفها منبع الحياة تعود لحضارات مثل حضارة "مصر" الفرعونية. في حين أن الروايات التي تبجل الارض أميّل لكونها وجهة نظرٍ لمجتمع إعتمد في حياته على نتاج الارض كما هو الحال في حضارة "بابل".

أما في "مصر" فإن "النيل" هو منبع الحياة وعلى ضفتيه يسكن مختلف أنواع الطير. لذا ربطت الأساطير المصرية وجود الحياة بفيضان "النيل" كما ربطت بعض تلك الأساطير بين الطيور وعملية الخلق.

الأسطورة رقم 11

وخلق الله الذكر والانثى على صورته

الأسطورة: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وأُنْثَى خَلَقَهُم." (تكوين 27:1)

الواقع: تتبع فكرة خلق الإنسان على هيأة الرب معتقدات المصريين القدماء بشأن علاقة البشر بآلهة "الخلق".

يقول "الكتاب المقدس" أن الرب خلق الذكر والأنثى على صورته لكنه لا يشرح معنى الخلق على صورة الرب. فهل يجعلهم هذا يشتركون في نفس الصفات الجسدية أم في الميزات المادية كالخلود مثلاً؟، أم أنه مجرد تشابه روحي؟ لا يبدو أن أيًا من هذه الخيارات تنطبق هنا.

فمما يتناهى لنا من قصة "آدم" و"حواء" أن معرفة الخير والشر (الأساس الرئيسي للتشابه الروحي) والخلود (الصفة المادية) كانتا من صفات الرب والملائكة، وليستا من صفات الإنسان عند خلقة. كذلك الأمر بالنسبة لتلك التجسدات التي ظهر عليها الرب، مثل الدغل المشتعل وغمامة الدخان. فالرب والإنسان لم يتشاركا في الصفات الجسدية أيضًا.

يثير هذا النص التوراتي تساؤلاً آخر، فما هو جنس تلك الصورة؟ أكانت صورة الرب مذكرة أم مؤنثة؟ برغم أن الترجمة الإنجليزية تقول أولا بأن الرب خلق "الإنسان" (مذكر) على صورته، إلا أنها تعود بعد ذلك فتقول: "ذَكَرًا وأُنْثَى خَلَقَهُم." المشكلة في ذلك أن الترجمة الانجليزية لا تعكس الأصل العبراني للنص. فالنص العبراني لا يقول خلق "الانسان" وإنما يقول خلق (ha-adam) بما معناه "الـ – آدم"، وأنهُ خلق من "الـ آدم" الذكر والأنثى. وبما أن كلمة الإنسان في العبرية هي "ايش" (ish) فإنه لابد لنا أن نسأل ما هو هذا "الـ آدم"؟

تقف خلف هذه الترجمة قناعة بأن معنى كلمة "آدم" هو الإنسان، لكن في الحقيقة هذه القناعة مجرد حدس راود باحثي اللاهوت، نشأ كمجاز لفظي نتيجة للاعتقاد السائد بأن "آدم" قد تشكل من "أديم" الأرض (أو الطين).

في اللغة العبرانية كما في اللغات السامية تستخدم كلمة "أدمة" (adamah) بمعنى "طين"، وبما أن سفر "التكوين" يقول بأن الرب خلق الكيان الذي عرف فيما بعد بـ"آدم" من طين، فقد افترض الباحثون أن الطين مجازٌ لفظي يقصد به "الإنسان". وفي الحقيقة أن هناك بعض المراجع الغير – لاهوتية والتي قد ترجح صحة هذه الفكرة لكنها تقتصر على بعض الأسماء الشخصية التي عُثر عليها في نصوص من مكتبة "أوغاريت" (Ugarit) تعود لألف وأربعمئة عام قبل الميلاد. لذا فهذا لا ينهض دليلاً على انتشار هذا الإستخدام لكلمة "طين" بمعنى "إنسان" في اللغات السامية.

المعضلة الحقيقية هنا هي أن الكتبة العبرانيون تبنوا فكرة أن الإنسان خلق على هيئة الرب وفقًا للديانات المصرية القديمة. وهذا هو الإعتقاد الذي لازم الإسرائيليين طيلة تاريخهم، لكن لأنهم لم يؤمنوا بأي نوع من أنواع التجسد المادي للرب، فبحلول زمن الانتهاء من كتابة سفر "التكوين" وإكتماله، لم يعد لفكرة "صورة الرب" أي معنىً في هذا السياق.

لتتبع جذور هذا التصور، يمكن العودة لأفكار المصريين القدماء. فلقد آمن المصريون بأن البشرية خلقت على صورة الخالق وأن الخالق حمل الصفات الأنثوية والذكورية معًا. توضح

لنا الأمر الأول قراءة من نص قديم عرف باسم "كتاب توجيه مري كا رع" (The instruction book for Merikare) جاء فيها:

نِعمَ العناية الموجهة للبشر – قطيع الرب
لهم خلق السماء والأرض
لهم أخضع وحوش الماء
جعل الأنفاس لأنوفهم سببًا للحياة
فهم صُوَرُه، التي من جسده خرجت

لاحظ موازاة هذه الصورة للنص التوراتي، فهي لا تقتصر على ذكر خلق الإنسان على صورة الرب وإنما تدمج فيها أيضا صفات الذكورة والأنوثة.

من الواضح أن هذا النص كان له انتشار واسع في "مصر" الفرعونية. فتاريخ كتابته الأصلي يعود لعام ألفان ومئة قبل الميلاد، في حين أن النص المأخوذ عنه هذا المقتطف يعود لبردية كتبت خلال عصر الدولة الحديثة والتي تلت تاريخ كتابة النص الأصلي بعدة قرون. لذا فمن المحتوم أن الكتبة العبرانيين كانوا على دراية بهذه الفكرة.

وفيما كان للمصريين العديد من التصورات حول خلق الإنسان، يرفق أحد هذه التصورات هيئتي الذكر والأنثى بصورة الإله الخالق وبهذا المعني (التصويري) تتضح فكرة خلق الإنسان على صورة الرب. بينما تنحو عدة نصوص أخرى نحو دمج الصفات الذكورية والأنثوية في الرب الخالق نفسه وهو ما يشرح لنا الكيفية التي بها يمكن أن تخرج هاتان الصفتان من نفس المصدر الواحد. فمثلاً نجد في مخطط أسطورة خلق "هيرموبوليس" أن الرب الخالق تكون من أربعة ذكور وأربعة إناث كوحدة متكاملة. وفي عقيدتي "هليوبوليس" و"ممفيس"، قام "آتوم" من دون شريك، بوضع إلهين، الإله "شو" بأن عطسه والإلهة "تفنوت" بأن بصقها. كما قام بذلك أيضًا وفقًا لإحدى النصوص بأن "عملت كزوج لراحة يدي". بالإضافة إلى أنه كان يطلق على الإله "آتوم" لقب " ال هو–هي الأعظم" (Great He-She). أما "بتاح" إله خلق اسطورة "ممفيس" فلقد أبدى صفات ذكورية وأنثوية أيضًا. فكما تصفه إحدى النصوص، كُتِبَ:

بتاح–متوج–على العرش–العظيم
بتاح–نون، الأب الذي خلق آتوم؛

بتاح-نونة، الأم التي وضعت آتوم...

إذًا نجد أن النصوص المصرية تصف امتلاك آلهة "الخلق" لصفات ذكورية وأنثوية وتقول بخلق البشر على صورتهم. فترجمت هذه الفكرة على هذا النحو في سفر "التكوين": "فَخَلَقَ اللهُ الإِنسَانَ (الـ آدم) عَلَى صُورَتِه، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وأُنثَى خَلَقَهُم."

وأخيرًا، نأتي للسؤال عن هوية "الـ آدم"، هذا الكيان الذي خُلق ذكرًا وأنثى. وإذ يأتي منطوق"آدم" و"آتوم" بشكل شبه متطابق، فحرفي "الدال" و"التاء" متكافئان على المستوى الصوتي، يبدو من المعقول كون لفظ "آدم" في الواقع مصطلح جمعي للمخلوقات التي صنعها الإله "آتوم"، إله خلق أساطير هليوبوليس".

الأسطورة رقم 12

وخلق الرب آدم وحواء في اليوم السادس

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ نَعْمَلُ الإِنسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ. فَخَلَقَ اللهُ الإِنسَانَ عَلَى صُورَتِه. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنثَى خَلَقَهُمْ..... وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا." (تكوين 1:26 – 27، 31)

"ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً." (تكوين 6 : 2 – 7)

الواقع: ليس الذكر والأنثى اللذان خلقا في اليوم السادس بـ"آدم" و"حواء". فالأصول الفكرية لقصة "آدم" و"حواء" تعود لبعض المعتقدات الأسطورية التي تختلف عن تلك التي تصف أيام "الخلق" السبعة.

متى خلق الرب "آدم" و"حواء"؟ إسأل أي شخص على دراية بسفر "التكوين" وسيخبرك بأنه حدث في اليوم السادس. إذ عندما حرره منقحي "الكتاب المقدس" في شكله الحالي، أرادوا للقراء أن يؤمنوا بصدق هذا الزعم. مع ذلك، فمراجعة تلك الآيات التوراتية تشي بأن

الذكر والأنثى اللذان خلقا في اليوم السادس ليسا هما نفس "آدم" و"حواء" المذكوران.

تخبرنا قصة "الخلق" الأولى بأن الرب اتبع التسلسل المعتاد لعملية الخلق وتنظيم الكون بكل ما يحويه، بإنجاز مهمة محددة في كل يوم من أيام "الخلق" الست.

ففي اليوم الثالث خلق النبات وفي الرابع خلق الأجرام السماوية. أما في اليومين الخامس والسادس أنجز مايلي:

"وَقَالَ اللهُ لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ. فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا.

وَقَالَ اللهُ لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا. وَكَانَ كَذلِكَ. فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَقَالَ اللهُ نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ. فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ." (تكوين 1:20 – 28)

لاحظ الشكل الذي ظهر عليه تسلسل الأحداث فالرب خلق النبات، ثم الأجرام السماوية؛ ثم سمك البحر وطير السماء؛ ثم الوحوش والدواب وزواحف الأرض، ثم في النهاية الإنسان الذكر والأنثى. وبحكم العادة سيفترض القراء أن الذكر والأنثى هما "آدم" و"حواء"، لكن دعنا نرى ما يعنيه "الكتاب المقدس" حقًا.

يأتي ذكر قصة "آدم" و"حواء" في الرواية الثانية لقصة "الخلق" الثانية. فيظهران معًا للمرة الأولى في ثاني إصحاحات سفر "التكوين":

"هذهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. وَغَرَسَ الرَّبُّ

الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ." (تكوين 4 : 2 – 8)

وعلى حين يخبرنا النص متى تم خلق الإنسان بالتحديد، يتجاهل معظم القراء المعنى الصحيح للنص. فهذا الإنسان قد خُلق "يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ" وذلك قبل أن يكون هناك أي نبات على وجه الأرض. ولكن متى كان هذا تحديدًا؟

داخل النسخة الحالية لسفر "التكوين" تجري عملية الخلق تلك في اليوم الثالث. فوفقًا لسفر "التكوين" الإصحاح الأول آية 6 – 13، خلق الرب السماوات في اليوم الثاني، والأرض والنبات في اليوم الثالث. ما يضع خلق "آدم" في منتصف اليوم الثالث، بعد خلق السماوات والأرض وقبل خلق النبات. (وفيما بعد، خلال تحليل الأسطورة رقم 14، سنجد أن السماوات خُلقت في اليوم الثاني وأن "آدم" خلق في نفس اليوم). لذا فلو أن الكائن الملقب بـ"آدم" كان هو من خُلق في اليوم الثالث (أو الثاني) يستحيل أن يكون هو نفسه الكائن الملقب بـ"الإنسان" الذي خُلق في اليوم السادس.

لكن وماذا عن خلق "حواء"؟ بعد أن يُخلَق "آدم" ينحرف إتجاه القصة نحو جنة "عدن". فنُخبَرْ بوجود أشجار، كشجرة المعرفة (بالخير والشر) وشجرة الحياة، ثم نُعَرَفْ ببعض التفاصيل الجغرافية عن الجنة، لكن بلا أي ذكر عن وجود نساء، ثم يأتي:

"وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. " (تكوين 2:18 – 19)

لم يكن لخلق الحيوانات البرية والطيور أن تشفي وحدة "آدم". فهو لم يزل وحيدًا. لذا إحتاج "آدم" لتلبية "احتياج" آخر، ولقد باشر الرب علاج هذا الأمر.

"فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ." (تكوين 2:21 – 22)

في الرواية الأولى، خلق الرب الإنسان الذكر والأنثى في اليوم السادس، كلاهما بعد خلق النبات والحيوان. لكن في قصة "آدم" و"حواء"، خلق الرب "آدم" الذكر قبل خلق النبات والحيوان، ثم خلق "حواء" بعد هذه الأحداث.

وعلى ذلك فإننا نستنتج من تلك القراءة البسيطة والمنطقية لسفر "التكوين"، استحالة كون "آدم" و"حواء" هما ذاتهما الإنسان الذكر والأنثى المخلوقان في سادس أيام "الخلق".

لكن إذا كان الرب قد خلق "آدم" و"حواء" في اليوم الثالث (أو الثاني) والإنسان الذكر والأنثى اللذان خلقا على صورته في اليوم السادس، مَنْ منهم كان أول البشر، "آدم" و"حواء" أم الإنسان الذكر والأنثى المخلوقان في اليوم السادس؟ هذا السؤال سنجيب عليه خلال تناولنا للأسطورة رقم 16.

الأسطورة رقم 13
وسُخِّرَ للإنسان كل شيء حي

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ." ... "وَقَالَ اللهُ إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا. وَكَانَ كَذلِكَ." (تكوين 1:26... 29 – 30)

الواقع: إن إخضاع كل ما على وجه الأرض لسلطان البشر لهو من الأفكار المستقاة من الأساطير المصرية القديمة التي تتناول علاقة الإنسان بالآلهة.

يسخر الرب في قصة الخلق التي في سفر "التكوين" ما في الأرض وما في السماء من مخلوقات للإنسان. (وكنتيجة لهذا فإن لذلك لإنسان كامل الحرية في الأكل من ثمر أي شجرة يختار بلا أي قيد أو شرط على العكس مما هو الحال في قصة "آدم" و"حواء") ومن هنا نجد أن هذه الآيات تصور علاقة تقوم على الثقة والكرم والاحترام بين الآلهة والبشر.

ولذا فإن هذا المفهوم يختلف بشكل جوهري عن نظيره في أدبيات حضارة "بلاد الرافدين". فعلى حين تبدي بعض تلك الآلهة ميلاً أو تفضيلاً شخصيًا لبعض البشر فإن نظرتهم العامة تجاه الآدمية تتسم بالاحتقار إذ يرونهم كخدم أو عبيد تنحصر مهماتهم في توفير حياة رغدة وسعيدة للآلهة. فعلى سبيل المثال قررت الآلهة محو البشر من على وجه الأرض في قصة "الطوفان" لأنهم باتوا مزعجين.

وعلى العكس من ذلك، ترسم النصوص المصرية القديمة صورة غاية في الإيجابية لعلاقة

الإنسانية بالآلهة ويُطلعنا كتاب "توجيه مري كا رع" على نماذج جيدة على هذا الأمر.

نِعمَ العناية الموجهة للبشر – قطيع الرب
لهم خلق السماء والأرض
لهم أخضع وحوش الماء
جعل الأنفاس لأنوفهم سببًا للحياة
فهم صُوَرُه، التي من جسده خرجت
يسطع في السماء لأجلهم؛
إذ خلق النباتَ والدواب، الطير والأسماك طعام لهم.

أما هذه النصائح فلقد وجهها ملك من الأسرة التاسعة (عام 2200 ق. م.) لإبنه. وأمثال هذه الميول الفلسفية في تناول تلك العلاقة بين البشر والآلهه يعود لتاريخ سابق على زمن الخروج من "مصر" يدخل ضمن حقبة وجود "بني إسرائيل" في "مصر"، ما يرجح أن أمثال هذه الآراء كان لها تأثيرًا عظيمًا على مثقفي العبرانيين. حقًا، فإن السطر الأخير من تلك الوصايا ليبدوشديد الشبه بأحد آيات سفر "التكوين" التي نتناولها بالمناقشة.

الأسطورة رقم 14
وخلق الرب الأرض في اليوم الثالث

الأسطورة: "وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ..... وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا." (تكوين 1:10، 13)

الواقع: جمع الرب المياه وخلق اليابسة في اليوم الثالث من أيام "الخلق".

وفقًا لسفر "التكوين" جمع الرب المياه الأولى وخلق اليابسة في ثالث أيام "الخلق". تلك اليابسة دعاها بـ "الأرض". وكما سبق ورأينا مثلت تلك القصة جزءًا من أسطورة "الخلق" المصرية. لكن هنالك مشكلة أخرى – ففيما يضع سفر "التكوين" هذه الأحداث في اليوم الثالث تشير القراءة الدقيقة لقصة سفر "التكوين" إلى ارتكاب المنقح التوراتي لخطأ ما حيث

أن تلك الأحداث جرت في الأصل خلال اليوم الثاني.

وكحال العديد من النصوص القديمة، عادة ما يستخدم "الكتاب المقدس" صيغ ذات قالب محدد وعبارات قصيرة يضعها كاتب النص التوراتي إما بوصفها تعبير إصطلاحي أو لتوضيح شيء ما بشأن النص. تظهر تلك الصيغ المقولبة عادة كفواصل بحيث تفصل أجزاءًا من القائمة عن الآخرى، وذلك في شكل مشابه لما أتبع عادة في كتابة القوائم الملكية القديمة. تتضح تلك التقنية بجلاء في القصص الإنجيلية التي تتناول ملوك "إسرائيل" وملوك "يهوذا". ففي نهاية كل قصة كثيرًا ما يرفق الكاتب التوراتي الجملة التالية (أو إحدى نسخها المعدلة): وَبَقِيَّةُ أُمُورِ [اسم الملك] وَكُلُّ مَا صَنَعَ وَ[الصفة التي اشتهر بها] أَمَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ [المرجع المستشهد به]؟

يحتوي "الكتاب المقدس" على العديد من أمثال تلك الصيغ الأدبية المقولبة. فكمثال يستهل أحيانًا بعض فقراته بقول مثل"هذِهِ مَوَالِيدُ... " فيتبعه وصف للأحداث التي دارت حول عائلة محددة. وكما يبدو فلقد إستغل سفر "التكوين" بعضًا من تلك الصيغ أيضًا.

فبنهاية أحداث كل يوم، عدا اليوم الثاني، يراجع الرب ما صنع ثم يعلن "أَنَّهُ حَسَنٌ "، وفي اليوم السابع يستريح إذ لم يعد لديه ما يعلن عن أنه حسن. ومع ذلك تجبره الصيغة النصية المقولبة أن يبارك ويقدس ذلك اليوم الأخير. لكنه رغم ذلك يستحسن أمور في منتصف اليومين الثالث والسادس وسوف نتناول ذلك التصريح الذي جاء في اليوم الثالث خلال نقاشنا الحالي لكننا سنعود فنتناول التصريح الثاني خلال فحصنا للأسطورة رقم 15.

تعد عبارة " أَنَّهُ حَسَنٌ " إحدى تلك الصيغ الأدبية المقولبة. فبوضعها عند نهاية كل يوم من أيام "الخلق" تكون بمثابة إيذانًا بإنجاز الرب لأعمال ذلك اليوم ورضائه عنها. إذًا، لماذا لا يوجود ذلك الرضا عند نهاية اليوم الثاني بينما هناك تصريحان به في اليوم الثالث؟

يأتي استحسان الرب الذي وقع في منتصف اليوم الثالث بعد أن جمع الرب المياه وخلق اليابسة. في حين يجيء الاستحسان الثاني بعد خلق الرب للنبات. لكن ذلك الترتيب محير.

يقبل معظم باحثي "الكتاب المقدس" بالطابع الأسطوري لرواية "الخلق" لكنهم لا يمدوننا بتفسير للسبب الذي دفع بكتبة "التوراة" لحذف تلك الصيغة المقولبة من اليوم الثاني وإقحامهم لها مرتين في اليوم الثالث. يميل بعض المفسرين الأورثوذوكسين لتفسير ذلك بأن الرب إنتوى جمع المياه وخلق اليابسة في اليوم الثاني، بعد أن رفع السماء، لكن الوقت لم

يسعفه لإتمام المهمة. لذلك، احتفظ باستحسانه لحين انتهائه من عمله في اليوم التالي.

ومع أن هذا التفسير حرفي من حيث تناوله لماهية اليوم بوصفه فترة زمنية ثابتة، إلا أنه يتغاضى كذلك عن طبيعة الوجود المحيط للرب وعن كون تلك الأعمال أقل تطلبًا من خلق الشمس مثلاً او خلق أي نجم آخر، فذلك قد يستلزم طاقة أكثر من رفع السماء وجمع المياه من فوق تلك الأرض الضئيلة. لكن الرب خلق كل النجوم وكل الكواكب بالإضافة للقمر، جميعهم في يوم واحد فقط.

إن الحل الجلي لتلك المفارقة هو أن منقحي النص التوراتي أخفقوا في عملية تنسيق الجمل بعد قيامهم بقصها ولصقها. وبما أن مباركة اليوم الثاني لا تقع حتى منتصف اليوم الثالث فيبدو من المعقول استنتاج أن جمع المياه كان جزءًا من أحداث اليوم الثاني كاستئناف منطقي لخروج الأهاب من وسط المياه. وكما يبدو فلقد افترض منقح النص التوراتي أن خروج اليابسة كان ينتمي منطقيًا لظهور النبات، لذا أدخل الفاصل مبكرًا في اليوم الثاني ثم دفع بباقي أحداثه لليوم الثالث. لكنه لم يملك الحرية الكافية لإدخال المباركة عند النقطة التي انتهى بها في اليوم الثالث. فبدلاً من ذلك أبقى على المباركة في نفس المكان الذي كانت عليه في النص الأصلي، بعد جمع المياه.

بنقل قصة خروج اليابسة إلى اليوم الثاني نكون قد حللنا مشكلة المباركة المفقودة. فأمثال تلك الترميمات تعيد الصيغ النصية لأماكنها الصحيحة عند نهاية أحداث كل يوم من أيام "الخلق".

الأسطورة رقم 15

وفي اليوم السابع استراح

الأسطورة: "وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا." (تكوين 2: 3)

الواقع: في الرواية الأصلية لسفر التكوين يستريح الرب في اليوم السابع، لكنه يخلق البشر في ذلك اليوم أيضًا.

كما تبينا من مناقشة الأسطورة رقم 14 يستخدم السرد التوراتي صيغة أدبية محددة لختام أعمال كل يوم من أيام "الخلق". فلقد شاهدنا في النص الحالي لسفر "التكوين"، أن الكتبة حذفوا المباركة من نهاية اليوم الثاني في حين وضعوها في منتصف اليوم الثالث واليوم السادس. والتحليل المنطقي هنا يظهر أن حذف المباركة من اليوم الثاني وإدخالها في منتصف اليوم الثالث حدث نتيجة خطأ كتابي. وبنقل أحداث النصف الأول من اليوم الثالث لليوم الثاني يستعيد نص سفر "التكوين" منطقه وتناغمه. هذا الترتيب يؤدي لختم كل يوم من الأيام الستة الأولى من الخلق بمباركة إلهية، لكنه مع ذلك يبقي مباركة أخرى في منتصف اليوم السادس.

تلك المباركة تأتي بعد خلق الوحوش وزحافات الأرض قبل خلق البشر. فتأتي مباركة ثانية بعد خلق البشر. وباتباع نفس منطق الصيغة الأدبية المستخدمة يكون من المحتم علينا استنتاج أن الدواب والبشر قد خلقوا في يومين مختلفين من النص الأصلي لقصة "الخلق" مما يدفع بخلق البشر لليوم السابع ويجعل من اليوم الثامن يوم راحة الرب.

تمثل عطلة "السبت" (Sabbath) سابع أيام الأسبوع إحدى أكثر تقاليد الحضارة الغربية قداسة. لكن إذا كان الرب استراح في اليوم الثامن وليس السابع إذًا فتلك العادة نتجت عن خطأ كتابي.

يبدو أن فكرة عطلة "السبت" كانت ذات أصل مستحدث تاريخيًا. فالدلائل واهية على تقيد أهل "إسرائيل" القدماء بتلك العادة. فـ"الكتاب المقدس" لا يأتي على ذكر تلك الشعيرة خلال أي جزء من تاريخ "بني اسرائيل" فيما سبق الخروج من "مصر". الحقيقية أن قصة الخروج من "مصر" حوت بعض الأوامر الإلهية للإلتزام بعطلة "السبت" إلا أن هذه الآيات لربما كانت إضافات مستحدثة أيضًا. ففي الواقع إن آيات سفر "التثنية" (5: 15) التي تعكس آراء الملك "يوشيا" قبل الأسر البابلي بقليل، تقول بأن الرب أمر "بني إسرائيل" بعطلة "السبت" ليس لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب وإنما لأنه اليوم الذي خلصهم فيه من حياة العبودية في "مصر":

"وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَأَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ هُنَاكَ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ. لأَجْلِ ذلِكَ أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ تَحْفَظَ يَوْمَ السَّبْتِ."

وحتى بعد الخروج من "مصر" وصولاً للعصر الملكي المتأخر يخلو "الكتاب المقدس" من فرض الإلتزام بعطلة "السبت".

لهذه الأسباب يصبح من المرجح أن فكرة عطلة يوم "السبت" سابع أيام الأسبوع جاءت في زمن متأخر من تاريخ "بني إسرائيل". من الجائز أن نشأة هذا المفهوم جاءت من الحضارة البابلية حيث أن بعض أيام الشهر التي يأتي ترتيبها هكذا – 7، 14، 19، 21، 28 – تعد أيام نحس. فلقد آمن البابليون بتحريم العمل فيها أو بوجوب تقديم الأضاحي بها وبينما لا تمثل تلك الأعداد دورة تامة من سبعة أيام إلا أن الحضارة البابلية تدل على وجود بذور لدورة من سبعة أيام يكون اليوم السابع من كل شهر فيها يوم نحس. كذلك ومن المحتمل أن تلك العادة تم نقلها عن تقاليد "كنعان" الزراعية. على أية حال، لا يمكن لهذه العادة أن تكون نتاج تبني النص الأصلي لقصة "الخلق"، فحينئذ كان الرب ليجعل التقديس من حظ اليوم الثامن من أيام دورة "الخلق".

الأسطورة رقم 16

استراح الرب بعد أن فرغ من عمله

الأسطورة: "وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ" (تكوين 2:2)

الواقع: لم يسترح الرب يومًا.

بغض النظر عما إذا كان الرب قد قدس اليوم السابع أم الثامن، يظل من واجبنا السؤال عما إذا كان الرب قد استراح فعلاً في ذلك اليوم المبارك. ففوق كل شيئ ما الفائدة من تبطل ذلك الإله المحيط وتسكعه بلا عمل؟

تُظهر قراءة النص المقدس بتمعن ما يعارض فكرة يوم الراحة هذا. فهو يقول "وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ." ثم استراح. لكن إذا ما كان خلق الإنسان هو آخر الأعمال العظيمة الموضوعة على جدول أعمال الرب فإنه كان ولابد لـ"الكتاب المقدس" من ذكر كون أعمال الرب تمت في اليوم السادس. لكن بدلاً من ذلك يقول النص بأنه أنهى عمله في اليوم السابع.

يُلمح النص أيضًا إلى أن الرب قام بأعمال إضافية بعد خلقه للبشر فالإشارة إلى انتهاء الرب من عمله خلال اليوم السابع لهو نتيجة إهمال في تحرير النص الأصلي الذي قام فيه الرب بخلق البشر في اليوم السابع وليس السادس.

ذلك الخطأ وثيق الصلة بالجهد المبذول لجعل يوم "السبت" هو اليوم السابع. ولأجل تخصيص يوم راحة للرب كان على كتبة اللاهوت دمج أعمال اليوم السادس (خلق الحيوان) مع أعمال اليوم السابع (خلق الإنسان). وبذلك غض كتبة الإنجيل الطرف عن تلك العبارة – "وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. "– التي ظهرت بعد خلق البشر في اليوم السابع. فلقد سَهى الكَتبة عَن نقل تلكَ الكلمات إلى نهاية اليوم السادس بعد دمج أعمال اليوم السابع (خلق البشر) بأعمال اليوم السادس.

ومن المحتمل أيضًا أن الملازمة وامتزاج يوم "السبت" بيوم راحة الرب أصل في حضارات "الشرق الأدنى". وإحدى هذه الإحتمالات تأتي من"الإنوما إليش" أسطورة "الخلق" البابلية. ففيها الإله "مردوك" (Marduk)، الذي دحر اعدائه وصار كبير الآلهة، يستدعي الإله "كينجو" (Kingu) الذي كان أحد قادة معارضيه. ثم يعاقبه بتمزيقه إربًا. ومن دمائه يخلق البشر الذين يفرض عليهم خدمة الآلهة. وفي ترديد لزعم "الكتاب المقدس" بأن الرب استراح بعد خلق البشر، نجد هذه الفقرة من النص البابلي.

الذي رفع نير العبودية عن الآلهة، أعدائه؛
الذي خلق البشر ليعتقهم،
عسى أن تبقى كلماته ولا تُنسىَ
على ألسن البشر، الذين خلقتهم يداه.

بتعبير آخر لقد صارت لدى الآلهة كامل الحرية للراحة بعد أن خلق "مردوك" البشر. يتوازي ذلك التقليد البابلي مع رواية "الكتاب المقدس". فالقصتان تصوران لجوء الآلهة للراحة بعد خلق البشر. في الرواية البابلية خلق الإله "مردوك" البشر ليعملوا خدم للآلهة وليسهروا على راحتهم معفين الآلهة من أعباء أعمالهم. وفي رواية سفر "التكوين" استراح الرب بعد خلقه للبشر لكنه لم يحكم عليهم بالعبودية. وبالطبع احتفظت تقاليد "الكتاب المقدس" بالعهد الخاص القائم بين الرب و"بني إسرائيل".بما فيه إلتزام "بنو إسرائيل" بخدمة الرب.

ومع أن الحقيقة أنه في القصة البابلية لا يستريح البشر في نفس التوقيت مع الآلهة كما هو الحال بالنسبة للعبرانيين وفق أوامر الوصايا العشر، إلا أن رواية سفر "التكوين" تقتصر في ذكرها على زاحة الرب فقط ولا تذكر شيئًا محددًا بشأن تبطل البشر عن العمل. فوجوب استراحة البشر أدخلت على معتقدات "الكتاب المقدس" في وقت حديث للغاية، من المحتمل ليس قبل القرن السابع الميلادي.

الأسطورة رقم 17

كان للسماوات والأرض أبناء

الأسطورة: "هذه مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ (generations of the heavens and the earth)[1] حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ." (تكوين 2: 4 – 7)

الواقع: إن السماوات والأرض في الرواية الثانية لقصة "الخلق" في سفر "التكوين" زوجين من الآلهة، فهما زوج وزوجة قادران على الإنجاب.

تبدأ قصة "الخلق" الثانية في الإصحاح الثاني لسفر "التكوين" (2: 4) بهذه العبارة "هذه مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ". والكلمات الأولى[2] منها تستخدم كصيغة أدبية مقولبة، فلقد استخدمت عشر مرات في سفر "التكوين" ومرة واحدة خارج سفر "التكوين" في سفر "راعوث" (4: 18) (Ruth). وفي كل الحالات الأخرى التي ذكرت فيها بخلاف سفر "التكوين" (2: 4) كانت تقدمة لقصص تتناول عائلات بعينها فمثلاً جاءت في أقوال:

(1) تختلف الترجمة الإنجليزية عن الترجمة العربية لهذا المصطلح فهي في الانجليزية (The generations of the heavens and the earth) بينما هي في العربية (مبادئ السماوات والأرض)، وهنا يبني الكاتب جداله على أساس الترجمة الانجليزية للمصطلح.

(2) – يقصد بها (These are the generations of)

"وَهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْحَاقَ" و"هذِهِ مَوَالِيدُ يَعْقُوبَ "[1]. وفي تلك الحالات السالفة الذكر كانت تعقبها حكايات عن آباء وأبنائهم ومجريات حياتهم. لذا فليس هناك ما يدعو لتفسير العبارة المذكورة في سفر "التكوين" الآية (2: 4) بشكل مختلف.

وعلى هذا فالجملة الإفتتاحية هنا تعني أن ما يليها هو قصة عائلة السماوات والأرض وأبنائهم. بمعنى آخر، تعود قصة "الخلق" الثانية لرواية مبكرة عن الخلق ذات آلهة متعددة، كانت فيها السماوات والأرض آلهة قادرة على الإنجاب.

يقلق ذلك الاستنتاج علماء اللاهوت لأنه يعارض الفرضية القائلة بأن "الكتاب المقدس" ذو طرح توحيدي. فيجادلون بأن ما تلى ذلك مجرد قصص حدثت بعد اكتمال الخلق. لكن لا يقف ذلك التفسير فقط عند تسطيح المعنى الواضح والمباشر للنص بل وتقف أمامه عقبة أخرى. فتلك القصص لا تجري بعد إنتهاء الخلق وإنما تمتد خلاله، أثناء اليوم الثاني تحديدًا.

وكما يقول النص تجري قصص السماوات والأرض "يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ" وقبل خلق النبات. وفي نقاشنا للأسطورة رقم 14 بعد إعادة بنائنا لترتيب "الخلق" علمنا بأن خلق السماوات والأرض جرى في اليوم الثاني وخلق النبات في اليوم الثالث. لذا فيوم خلق الرب للسماوات والأرض كان هو اليوم الثاني.

بهذا نقيم الصلة بين روايتا "الخلق" الأولى والثانية في سفر "التكوين". ففي الرواية الأولى لقصة "الخلق" تجري أحداث الخلق في اليوم الثاني على أساس أسطورة خلق "هليوبوليس"، فـ"آتوم" يصعد في هيأة الأهاب من وسط المياه وتنفصل السماء عن الأرض وتتجمع المياه سويًا. في تلك الرواية جرد كتبة سفر "التكوين" القصة من الآلهة المصرية ثم تركوا لنا الظواهر الطبيعية التي مثلوها. لكن ما جرى في الرواية الثانية كان مختلفًا. فكما سيظهر لنا من مناقشة بعض الأساطير القادمة، أن منقحي "الكتاب المقدس" حافظوا على شخصيات الآلهة المصرية لكنهم صوروها في أشكال آدمية ماحين عنها صفاتها المقترنة بالظواهر الطبيعية مرتكبين أخطاءًا في بعض الأحيان إذ عجزوا عن تمييز تلك المتلازمات الأولى كما هو الحال في إشارتهم إلى "مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" (generations of the heavens and the earth).

(1) ترجمة العبارتين بالإنجليزية على التوالي هي: These are the generations of Isaac, These are the generations of Jacob

الأسطورة رقم 18
آدم وحواء أول البشر

الأسطورة: "هٰذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ، يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ، وَبَارَكَهُ وَدَعَا اسمهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ. وَعَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ وَلَدًا عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ وَدَعَا اسمهُ شِيثًا. وَكَانَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَ مَا وَلَدَ شِيثًا ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ آدَمَ الَّتِي عَاشَهَا تِسْعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ." (تكوين 5 : 1 – 5)

الواقع: "آدم" و"حواء" هما الإلهان المصريان "جب" (الأرض) و"نوت" (السماوات). وأبناءهم هم أبناء السماوات والأرض.

تقول بداية الرواية الثانية لقصة "الخلق" في سفر "التكوين" بأن القصة – أي قصة السماوات والأرض – هي ذكر لأخبار آل السماوات والأرض (انظر الأسطورة رقم 17) أما شخصيات هذه القصة فهم "آدم" و"حواء" وولداهما "قابيل" و"هابيل"، مما يعطي الانطباع بأن آل آدم هم آل السماوات والأرض.

بداية، يشير "الكتاب المقدس" لـ"آدم" و"حواء" بالذكر (الآدم) والأنثى (انظر الأسطورة رقم 11). ومع توالي أحداث القصة يحدث تحول هام في المصطلحات فيغدوان "آدم" و"حواء". ومع أن القصص الأولى توحي بأن "آدم" و"حواء" كانا أول البشر إلا أن أول إشارة مباشرة لذلك لا تأتي حتى الإصحاح الخامس (5: 1). وعندئذ يعرض "الكتاب المقدس" أولى سلاسل النسب العديدة التي ترجع أصل البشر لآدم، فيمر خط النسب ذاك بـ"نوح" حتى "آباء إسرائيل" الأوائل.

أما في الأسطورة رقم 12 فنعرف بأن "آدم" و"حواء" ليسا هما نفس البشر اللذان خلقا في اليوم السادس. فلقد خلقا " يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ " وكان ذلك في اليوم الثاني. إذًا، هل كانا إنسانان مختلفان عن هذين اللذان خلقا في اليوم السادس أم أنهما كانا في الأصل إلهين؟

تكونت السماوات والأرض في أسطورة "الخلق" البابلية من نصفي جسد الحية "تيمات" (Tiamat) بعد موتها. وحيث أن تلك الأشلاء ليس لها أن تنجب أي أبناء فالأسطورة البابلية لا يمكنها العمل كنموذج أولي لرواية "الكتاب المقدس". لكننا إذا نظرنا إلى أسطورة خلق

"هليوبوليس" سنجد فيها بعضًا من بذور قصة "الخلق" التوراتية.

أما الإلهان "جب" (الأرض) و"نوت" (السماوات) فوفقًا لأهل "هليوبوليس" كان لديهما ثلاثة أبناء من الذكور هم – "أوزوريس" و"ست" (Seth) و"حورس"– واثنتان من الإناث.

تلعب العلاقات ما بين أفراد تلك العائلة دورًا مهمًا في الأساطير المصرية. فتروي إحدى القصص كيف عصى "جب" و"نوت" الإله الأكبر وكيف عوقبت "نوت" بأن واجهت ولادة عسرة. وفي قصة أخرى نرى كيف خلع "شو" (السماء ابن "آتوم" وأبو "جب") "نوت" من جسد "جب" وبذلك فصلت السماوات عن الأرض. ثم هناك تلك القصة التي تروي كيف أن أحد هؤلاء الآلهة قتل أخاه فصار أخاهم الثالث مؤسسًا للسلالة الملكية التي اعتلت عرش "مصر".

تلك الحبكات لابد لها من أن تبدو مألوفة ولو قليلاً لمن كان على دراية بقصة "آدم" و"حواء". فلقد خلق الرب "حواء" من ضلع "آدم" ولقد عصيا أوامر الرب، ثم أن الرب عاقب "حواء" بأن جعل لها ولادة عسرة ونرى أيضًا في قصة "آدم" و"حواء" وأبنائهما الثلاث – "هابيل" و"قابيل" و"شيث" (Seth) – أن "قابيل" قتل أحد اخوته وهو "هابيل" فصار ثالث الأخوة "شيث" هو الوريث منذ "آدم" وحتى "إبراهيم".

يتطابق التسلسل الوراثي للقصتين لدرجة أنه لا يسعنا سوى ملاحظة تأثير النموذج المصري على سفر "التكوين". مما يعني أن الزوجان "آدم" و"حواء" كانا في الأصل تجسيدًا لشخصي الإلهين المصريين "جب" و"نوت"، كما أن أبنائهما ("قابيل" و"هابيل" و"شيث") مرادفات لأبناء "جب" و"نوت" ("أوزوريس" و"حورس" و"ست").

وقد واجه منقحي "التوراة" مع ذلك مشكلة في تقديم تلك القصص المتعلقة بالآلهة المصرية. فمن جهة، كان العبرانيين من الموحدين، فلم يؤمنوا بتلك الآلهة، ومن جهة أخرى كانت تلك القصص معروفة وواسعة الانتشار. لذا وجد المنقحين الحل في نزع الطابع الأسطوري عن تلك الآلهة وتشخيصهم في تلك الروايات كأنما هم بشر وليسوا آلهة.

ترتب على ذلك أن حاول منقحوا "التوراة" ضم قصتي "الخلق" في نص سردي واحد، فأعادوا صياغة القصص بحيث تلائم "آدم" و"حواء" أول البشر اللذان تطابقا مع الذكر والأنثي المخلوقان في اليوم السادس، الشيئ الذي صار ملازمًا ومؤثرًا على تفسير النص بين

علماء اللاهوت العبرانيين والمسيحيين على مر العصور. لكن على الرغم من براعة ونجاح المنقحين في عملهم يظل الكثير من رموز الأسطورة الأصلية ظاهرًا للعيان.

الأسطورة رقم 19
وجبل الرب آدم من طين

الأسطورة: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تكوين 2: 7)

الواقع: خلط منقحوا "التوراة" ميلاد "آتوم" (إله "الخلق" في أسطورة خلق "هليوبوليس") في الأسطورة المصرية بميلاد أول البشر.

يقول سفر "التكوين" بأن الرب خلق أول البشر من تراب الأرض ثم نفخ في أنفه. وتحفل أساطير "ما بين النهرين" بمثل هذه المزاعم لكن مع اختلافين هامين عن رواية سفر "التكوين" هما: 1 – أن الآلهة خلقت البشر من مزيج مكون من الطين ومن دماء الآلهة المقتولة. 2 – أنهم لم ينفخوا فيهم من أنفسهم. لذا فمع أن قصة "ما بين النهرين" لربما أثرت على الرواية التوراتية إلا أن تفاصيلها تشي بغير ذلك.

لكننا نجد في الأساطير المصرية ما يوازي الرواية التوراتية. ففيما يملك المصريون عدة قصص متباينة لخلق البشر نجد أن هذه القصص غير حصرية. فلقد خلقت كميات من البشر في أزمنة مختلفة بعدة طرق متباينة. معظم تلك القصص تقول بأن الإله خلق الإنسان عن طريق نحت تمثال له. كما أن إحدى تلك المعتقدات الشائعة تزعم أن الرب "خنوم" (Khnum) صنع البشر على عجلة الخزف، مما يذكرنا بفكرة "الخلق" من طين التي جاءت في سفر "التكوين". وفي نسخة أخرى يقوم إله الحِرَف "بتاح" ببناء الإنسان من دون وصف لطريقة هذا الخلق.

إضافة لعملية "الخلق" عن طريق النحت يبقى جانب مهم من القناعة المصرية حول البعث للحياة والذي يتمثل في الايمان بنفخ الرب لروحه في أنف الإنسان على شاكلة ما جاء في سفر "التكوين". فعلى سبيل المثال يذكر في نص التابوت رقم 80 أن الإله "آتوم" (إله "الخلق"

في أسطورة "هليوبوليس") أنجب "شو" (السماوات) من أنفه ووصف "شو" بأنها الحياة. كما يجيئ في ذلك النص أيضا أن "نون" (تجسيد الفيضان) أخبرت "آتوم" بأن يضع ابنته بجوار أنفه كي يبقى قلبه حيًا. وفي مكان آخر من النص تقول "شو" (الحياة):

سأرشدهم وأحييهم،

من خلال فمي، الذي هو الحياة في أنوفهم.

سأرشد أنفاسي لداخل حلوقهم...

تظهر تلك العقائد المصرية توازيات عدة مع نص سفر "التكوين" حيث يخلق الرب الإنسان من طين وينفخ في أنفه الحياة. لكن أكثر تلك التأثيرات قوة على نص سفر "التكوين" هي قصة ميلاد "آتوم". فأسطورة خلق "هليوبوليس" التي تقف خلف قصص "آدم" و"حواء" تقول بان أول من وجِدَ كان "آتوم" الذي يتطابق منطوقه الصوتي تمامًا مع "آدم". تشكل "آتوم" من الأرض التي خرجت من بين مياه اليم الأولي. فكان مخلوقًا من تراب الأرض حرفيًا. بالإضافة إلى أن أنثاه خلقت منه من دون أي علاقة زواج تمامًا كما كان الحال مع "آدم".

وكما لاحظنا في الأسطورة رقم 11 فعندما ذكر "الكتاب المقدس" أن الرب خلق الإنسان من تراب الأرض، كان معني كلمة "الآدم" هو الإنسان وكان الإسم يدل على الجمع فهو يضم الذكر والأنثى: "ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ، وَبَارَكَهُ وَدَعَا اسمهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ." (تكوين 5: 2)

يدل اسم "آتوم" على الجمع أيضًا فهو يشمل الذكر والأنثى كذلك. فمعناه: "هو الذي اكتمل بتشربه للآخرين" حيث هؤلاء "الآخرين" هم أفراد التاسوع الإلهي من الذكور والإناث.

وحيث أن قصص "آدم" و"حواء" إستقيت جزئيًا من أسطورة خلق "هليوبوليس"، فالعديد من التوازيات بين "آتوم" و"آدم" ترجح أن الكتبة العبرانيين أطلقوا اسم "آتوم" على أول البشر إقتداءًا بالأسطورة الهليوبوليسية. لكن بسبب الخلط الذي وقع جراء تشابه كلمة "آتوم" بكلمة (Adamah) التي تعني "أديم" في اللغة السامية تحول اسم أول البشر إلى "آدم".

الأسطورة رقم 20
أنبت الرب شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر

الأسطورة: "وَغَرَسَ الرَّبُّ الإلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ." (تكوين 2: 8 – 9)

الواقع: ترمز هاتان الشجرتان المميزتان للإلهين المصريين "شو" و"تفنوت".

أنبت الرب شجرتان في جنة "عدن" هما شجرة "معرفة الخير والشر" وشجرة "الحياة". كما وضع الإنسان في تلك الجنة ليعتني بالنباتات لكن حرم عليه الأكل من شجرة "المعرفة" (التي ستكسبه المعرفة الأخلاقية). أما بالنسبة لشجرة "الحياة" فلم يذكر الرب شيئًا بشأنها. "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2: 17).

ويأتي بعد ذلك قول الحية الشريرة لـ"حواء" بأنه تهديد أجوف.

"وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا. فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (تكوين 3: 1 – 5)

في الواقع لم يمت "آدم" و"حواء" بعد أن أكلا من الشجرة. بل لقد خشي الرب من أن يأكلا بعد ذلك من شجرة الحياة فيصبحا خالدين.

"وَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ" (تكوين 3: 22)

لماذا خشي الرب من معرفة "آدم" و"حواء" بالأخلاق فيصبحا كمثله؟ ولماذا خشي أن يصبحا خالدين؟ فالأحري بإله قادر يمتلك إمكانية عكس الأسباب والنتائج أن يعيد كل شيئ لسابقه فى حال خروج أمر عن سياقه المرسوم سلفًا. (ثم مابال الرب يستخدم كلمة "نحن"؟ إجابة ذلك السؤال في بحث الأسطورة رقم 25). أما تلك الأسئلة فإجاباتها في النصوص والعقائد المصرية.

يحتوي نص التابوت رقم 80 على شرح فلسفي مسهب لأسطورة "الخلق" الهليوبوليسية كما يضم أيضًا بعض الفقرات المهملة المشوقة التي تتناول موضوعات الأخلاق والحياة. وأكثر تلك الفقرات تميزًا هي تلك المتعلقة بأبناء "آتوم" إله "الخلق" في "هليوبوليس".

إبنا "آتوم" هما "شو" و"تفنوت" وفي ذلك النص يوصف "شو" بأنه مبدأ الحياة وتوصف "تفنوت" بأنها مبدأ المعرفة الأخلاقية، هذا المصطلح كان يشار له باسم "ماعت" (Ma'at). وهكذا فهذان هما المبدآن المقترنان بشجرتي جنة "عدن"، شجرة "الحياة" وشجرة "معرفة الخير والشر".

ليس ذلك فقط بل إن النص المصري يعرف نفس المبدآن بأنهما أبناء الإله الخالق، فيمضي النص قائلاً بأن "آتوم" (الذي اختلط بـ"آدم" لدى منقحي الانجيل، انظر الأسطورة رقم 19) أُمِرَ بأن يأكل من ثمر ابنته التي ترمز للمبادئ الأخلاقية.

إنه لمن ابنتك أُمِرتَ بأن تأكل. (نص تابوت رقم 80، سطر 63)

يطلعنا ذلك على علاقة تبادل غريبة. فالنصان، نص الأسطورة المصرية ونص سفر "التكوين" يقولان بأن الرب الأكبر وضع مبدآن أساسيان هما الحياة والمبادئ الأخلاقية. في الأسطورة المصرية يؤمر "آتوم" بأن يأكل من المبادئ الأخلاقية لكن في سفر "التكوين" يحرم على "آدم" الأكل من المبادئ الأخلاقية. أما بالنسبة للسبب الذي حدا بالرب تحريم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فسوف يتم شرحه في الأسطورة رقم 21.

أيضًا مما يسترعي الانتباه هو أن تلك الحية التي تلازم قصة "آدم" و"حواء" تأتي من الفن المصري مباشرة. فلقد آمن المصريون بأن الإله "رع"، إله الشمس الذي يقوم في دورته اليومية حول الأرض بمحاربة الثعبان "أبوفيس" (Aphophis) في الليل وينتصر عليه كل ليلة. كما تعرض لنا الرسوم المصرية مناظر يتجسد فيها "رع" في شكل "ماو (Mau) قط هليوبوليس الأعظم" وهو يقف أمام شجرة في حين يلتف "أبوفيس" حول جزعها. يتناظر ذلك المشهد مع الرسوم التي تصور العداء ما بين "حواء" والحية في جنة "عدن". وفي الوقت الذي سكن "بنو إسرائيل" "مصر" كانت صورة الإله "رع" قد لازمت الإله "آتوم". فلقد أدمج الإلهان في شخص "آتوم رع" (Atum-Re). فحل "آتوم" محل "رع" في شكل "الحية التي تسكن الشجرة" وهي في ذلك أقرب شبهًا للرواية الإنجيلية من تلك التي اختلط فيها اسم "آدم" بـ"آتوم".

الأسطورة رقم 21
إذا أكل آدم من شجرة المعرفة سيموت

الأسطورة: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2: 17)

الواقع: إن الهدف من هذه القصة هو إدانة الفكرة المصرية القائلة باستحقاق الحياة الأبدية عند معرفة المبادئ الأخلاقية، والتي تتعارض مع التعاليم العبرانية التوحيدية.

رأينا في الأسطورة السابقة العلاقة القائمة بين النسق الأخلاقي والحياة الأبدية في الفكر المصري التي تقف خلف قصة "الكتاب المقدس" حول قصة شجرة "معرفة الخير والشر" وشجرة "الحياة". مع ذلك يبقى تضاد واضح بين القصتان على الرغم من توازيهما. ففي النص المصري يحث "نون" (تجسد الفيضان) "آتوم" (إله "الخلق" في "هليوبوليس") على أكل إبنته "تفنوت" كي يعرف المبادئ الأخلاقية. أما في سفر "التكوين" فيحرم الرب على "أدم" أن يأكل من شجرة معرفة "الخير والشر" حارمًا إياه من تذوق المعرفة الأخلاقية.

يظهر أمام ذلك التناقض في رواية "الكتاب المقدس" نوع من المعضلات الأخلاقية. فكما يتراءى لنا لقد كذب الرب وصدقت الحية. فلقد أمر الرب "آدم" ألا يأكل من ثمر شجرة معرفة "الخير والشر"، قائلاً أنه سيموت يوم يأكل منها. لكن "آدم" بعد أن أكل من ثمر تلك الشجرة لم يحيا فقط (لما يداني التسعة قرون) بل وخشي الرب من أن يخلد إذا ما أكل من ثمر شجرة "الحياة" مما دفعه لطرده من الجنة.

إذا ما كان نص سفر "التكوين" قد رسم على أساس العقيدة المصرية لماذا إذًا تتخذ قصة "الكتاب المقدس" ذلك الموقف المتطرف من الأكل من ثمر شحرة "المعرفة"؟ يبدو أن ذلك الاختلاف بين القصتين يرجع للإختلافات الجذرية بين معتقدات المصريين والعبرانيين حول الحياة الآخرة.

فلقد آمن المصريون بأنهم إذا التزموا بالمبادئ الأخلاقية فإن الإله "أوزوريس" رب الآخرة كان سيمنحهم الحياة الأبدية. فتلك كانت الصلة الفلسفية التي ربطت ما بين الحياة والأخلاق كما كان ذلك هو السبب في تصور أنفسهم كأبناء للإله الخالق، لذا كانت المعرفة بالمبادئ الأخلاقية هي الخطوة الأولى نحو الخلود والألوهية. ولقد شكلت تلك النقطة بالتحديد جوهر المشكلة بالنسبة لسفر "التكوين".

فعندما أكل "آدم" من شجرة "معرفة الخير والشر" أعلن الرب بأنه لو أكل "آدم" من شجرة "الحياة" لأصبح كالرب نفسه. لكن بما أن العبرانيون كانوا موحدين فلقد تعارضت فكرة أن يصبح البشر كالآلهة مع المفاهيم الأساسية لديانة "الكتاب المقدس"، فلم يكن ولن يكون هناك سوى رب واحد. لذا فلا يمكن بأي حال أن يصبح البشر أندادًا للآلهة.

في الحقيقة إن القصة العبرانية تمثل هجومًا منمقًا على العقيدة المصرية القائلة بأن المبادئ الأخلاقية تؤدي إلى الحياة الأبدية. فتبدأ أولاً بتحويل الحياة والمبادئ الأخلاقية من صورها الإلهية المتجسدة في هيئة بشرية إلى هيئة أشجار ماحية بذلك الصور التي توحي بأكل لحوم البشر والتي قد تبدو في أكل "آتوم" لابنته. ثم تشتد بعد ذلك في تحريم أكل ثمر المعرفة الأخلاقية على "آدم". كما يُخَبرَ فيما بعد بأنه لن يخلد بعد أكل ثمر "المعرفة" الأخلاقية وإنما سيموت. وفي النهاية يطرد "آدم" من الجنة قبل أن يتمكن من أكل ثمر شجرة "الحياة" فيحيا للأبد.

لاحظ تشديد نص "الكتاب المقدس" على "المعرفة" الأخلاقية وليس على "الحياة" الأبدية. فالرب هو من سيخبرك بما يتوجب عليك معرفته وكيفية تصرفك حياله وفي ذلك ستطيعه لأنه أمرك بذلك ليس لأنك ستحيا للأبد.

عندما قال الرب لـ"آدم" بأنه سيموت يوم يأكل من شجرة "المعرفة" كان المقصود من التهديد هو تحريم محاولة البشر لأن يصبحوا أشباه للآلهة. فالرب لم يعني أن "آدم" سيقسط ميتًا إذا أكل من الفاكهة المحرمة؛ إنما قصد أنه يوم يخالف "آدم" أمره سيفقد "الحياة" الأبدية. فلنا أن ننتبه فالرب لم يمنع "آدم" في البدء من الأكل من ثمر شجرة "الحياة". (فالمفترض أن القضمة الواحدة من فاكهتها لا تكسب الخلود. وإنما على المرء أن يأكل منها باستمرار لتجديد حياته) لذا فحالما عصى "آدم" الأمر الإلهي فقد حقه في الوصول لشجرة "الحياة" فلم يعد بالإمكان الحيلولة دونه والموت.

الأسطورة رقم 22
جعل الرب بعض الفاكهة محرمة على آدم

الأسطورة: "وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا" (تكوين 3: 3)

الواقع: أتت فكرة الفاكهة المحرمة من الأساطير السومرية حول الجنة.

رأينا في الأسطورة رقم 20 كيف استبدل العبرانيون الآلهة المصرية المصاحِبة للأخلاق والحياة بشجرتين، إحداهما أثمرت الفاكهة المحرمة التي حملت التهديد بالموت عند أكلها. وقد أتت فكرة تلك الفاكهة المحرمة من أساطير حضارة "ما بين النهرين" حيث تبناها العبرانيون بعد وقوعهم تحت تأثير الحضارة البابلية.

أشهر تلك القصص هي أسطورة "إنكي" (Enki) و"ننخرساج" (Ninhursag) التي تحكي عن الإلهين "إنكي" و"ننخرساج" الأخ وأخته اللذان سكنا الجنة الأرضية المدعوة "دلمون". وذات مرة استطاعت "ننخرساج" أن تحصل على مني أخاها فاستخدمته في صنع ثماني نباتات مجهولة ظلت من دون أن يمسها شخص. لكن فضول أخاها دفعه لتذوقها جميعًا. وعندما رأت أخته ما صنع لعنت أخاها قائلة "حتى يموت لن أنظر إليه بعين الحياة. "

وسرعان ما شرع "إنكي" في الاحتضار، لكن جاء ثعلب ورتب لعودة "ننخرساج". وعندما عادت "ننخرساج" سألت أخاها أي أعضاء جسده كانت تزعجه، فسمى لها مواضع ألمه فكانت ثمانية. ولكل مرض جاء ذكره أعلنت أخته عن ميلاد إله ،عالج كل إله مرض منهم. (لم يذكر النص الشخصيات التي أنجبت هؤلاء)

نجد في تلك الاسطورة العظيمة التي كانت معروفة لدي الكتبة العبرانيين خلال العصر البابلي، أن نمط الفاكهة المحرمة الموجودة في الجنة الأرضية اقترن بلعنة الموت عند أكلها كما هو في قصة سفر "التكوين". فلعنة "ننخرساج" الملقاة على "إنكي" وفرت الفكرة المعارضة للطرح المصري في "أكل المبادئ الأخلاقية"، ما قاد لتبني مسألة "الفاكهة المحرمة" في النص التوراتي.

الأسطورة رقم 23
خلقت حواء من ضلع آدم

الأسطورة: "فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ. لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا." (تكوين 2: 21 – 24)

الواقع: تتلاحم قصة خلق "حواء" بقصة فصل السماوات عن الأرض في الأساطير المصرية بالإضافة لبعض التداخلات مع الأسطورة السومرية لـ "إنكي" و"ننخرساج".

تذكرنا شخصية "حواء" ببعض الأساطير المصرية والسومرية. فوفق ما جاء في سفر "التكوين" خلق الرب "حواء" من ضلع "آدم". وعلى أساس تلك العلاقة بنى الرب مفهوم الزواج.

"لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا." (تكوين 2: 24)

كانت زوجة "آدم" في البداية "تُدْعَى امْرَأَةً، لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ." لكن بعد أن طردا من جنة "عدن" أصبح اسمها "حواء". وعن سبب إعطائها هذا الإسم يقول "آدم" "لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ".

لقد رأينا في الأسطورة رقم 17 أن "آدم" و"حواء" يوازيان الإلهان المصريان "جب" (الأرض) و"نوت" (السماوات). ووفقًا لنص التابوت رقم 80 يقول "آتوم" بأنه خلق "نوت" لكي " تتعلق فوق رأسي ويتزوجها جب. "بعبارة أخرى رأى المصريون في إتحاد السماوات والأرض أساسًا للزواج ولقد امتد ذلك التصور لداخل قصة "آدم" و"حواء" في سفر "التكوين".

وفي حين ظل "آدم" والد "حواء" الأوحد كما كان "آتوم" (إله "الخلق" في "هليوبوليس") لأبنائه، جاءت فكرة خلق "حواء" من ضلع "آدم" نتيجة تورية لفظية باللغة السومرية القديمة، أقدم لغات حضارة "ما بين النهرين"، فأصلها يعود لأسطورة "إنكي" و"ننخرساج" (انظر الأسطورة رقم 22).

في تلك الأسطورة يعاني "إنكي" من ثمانية آلام – إحداها في ضلعه.
اخي ماذا يؤلمك؟
ضلعي يؤلمني
(نصوص الشرق الأدنى ذات الصلة بكتاب العهد القديم، نص 14)

أما اسم الإلهة التي شفت ضلع "إنكي" فلقد كان "نينتي" (Ninti) وهذا الاسم له معنيان في اللغة السومرية، فالجزء الأول "نين" (Nin) يعني "إمراة الـ.. " لكن الجزء الثاني "تاي" (Ti) (الذي ينطق "تي") فله معنيان هما "ضلع" و"يصنع الحياة". لذا فالاسم "نينتي" يعني "إمرأة الضلع" و"المرأة التي تصنع الحياة".

أما "حواء" فإسمها يضم المعنيان أيضًا. فحقيقة هي "امرأة الضلع" فلقد خلقت من ضلع "آدم"، كما أنها وفقًا لإسمها الأول "أُمُّ كُلِّ حَيٍّ" مما يعني أنها "المرأة التي تصنع الحياة".

الأسطورة رقم 24
إكتسب آدم الحكمة من دون خلود

الأسطورة: "وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ" (تكوين 3: 22)

الواقع: إن قصة فقدان "آدم" للحياة الأبدية وتوريث العقاب للبشر هى إستعارة من أسطورة "أدابا" (Adapa) السومرية.

عندما قام الرب بطرد "أدم" من الجنة كان "آدم" قد اكتسب الحكمه لكنه فقد الأبدية وصار على ذريته أن تتحمل وزر ذنبه. هذا الجزء من القصة تم استعارته من أسطورة تدور حول شخص بإسم "أدابا" في حضارات "ما بين النهرين".

وفق هذه القصة، خلق الإله "إيا" (Ea) "أدابا" ليصبح قائدًا للبشر فأعطاه الحكمة وليس الخلود. فقام "أدابا" بعمله على أكمل وجه لكنه ذات يوم بينما كان مبحرًا ضربت الرياح الجنوبية قاربه فقلبته ورمته في المياه. فلعن "أدابا" الرياح في فورة غضبه وكسر جناحيها. فعلم

"آنو" (Anu) الإله الأكبر بفعلته وأمر بإحضاره.

وقد كان "إيا" (Ea) أحد الآلهة الرئيسية في حضارات "ما بين النهرين". صادق "إيا" "أدابا" وأعده للقاء المرتقب، فأمده ببعض النصائح من ضمنها:

عندما يُقَدمون لك خبز الموت

سوف لا تأكله

عندما يقدمون لك ماء الموت

سوف لا تشربه

عندما يقدمون لك كسوةً تلبسه،

وعندما يعطونك زيتًا، تدهن به جسدك

في تلك التوجيهات يصف "إيا" الأضاحي بأنها "خبز الموت" و"ماء الموت" لكن عندما يظهر "أدابا" أمام حاشية "آنو"، يصف الإله تلك الأضاحي بـ"خبز الحياة" و"ماء الحياة". وإطاعة لأوامر "إيا" رفض "أدابا" حسن ضيافة "آنو" وبذلك نال رضا الرب. وكمكافأة له، حرر "آنو" "أدابا" من عبوديته، لكن بسبب حتمية فرض عقوبة ما على تلك المعصية، يجعل الإله "آنو" المرض والسقم من حظ البشر.

كان "أدابا" يملك الحكمة في تلك القصة لكنه لم يكن خالدًا؛ فهو أذنب في حق الآلهة فحل عليه العقاب؛ وكنتيجة لذلك خسر الفرصة التي منحت له بأكل الطعام الذي كان سيكسبه الحياة الأبدية.

عُثِرَ على شذرات من تلك الأسطورة في مكتبة مصرية تعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد (فترة ما قبل الخروج من "مصر") وفي مكتبة آشورية تعود للقرن السابع قبل الميلاد، مما يعد شاهد على استمرار تأثيرها وانتشاره. فلابد وأن تلك الأسطورة كانت مألوفة لدى الكتبة العبرانيين. كما أن التشابه بين اتجاه قصة سفر "التكوين" وأسطورة "أدابا" يشير إلى أن الأسطورة كانت لها يد في تشكيل النص التوراتي.

الأسطورة رقم 25

وجد آخرون في جنة عدن قبل آدم وحواء

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا... وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا " (تكوين 1: 26، 3: 22)

الواقع: يبقي نص سفر "التكوين" على بعض آثار الحوارات التي دارت بين "آتوم" و"نون" في أسطورة خلق "هليوبوليس".

يخاطب الرب كائنان غير آدميان أو أكثر في مناسبتين مختلفتين. فقبل أن يخلق "آدم" قال "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" وفيما بعد ،عندما أكل "آدم" و"حواء" من الفاكهة المحرمة قال " هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا " إذًا من هؤلاء الـ"نحن"؟

وثانية نرى مؤشر واضح على وجود آلهة أخرى في قصة "الخلق". وبما أن قصة "الخلق" الثانية تتبع الأساطير الهليوبوليسية فيزودنا نص التابوت رقم 80 بفكرة عن شخص هؤلاء الذين كان يتحدث الرب عنهم. يدور حوار في ذلك النص بين "آتوم" (إله "الخلق" في "هليوبوليس") و"نون" (تجسد المياه الأولى).

ثم قال آتوم للمياه (يعني نون): "إنني أطفو ،تَعِبٌ، السكان متكاسلون... "

فقالت المياه (يعني نون): "قبّل حكم ابنتك (يعني تفنوت التي رمزت للحكم الأخلاقي)"

كانت في الأصل كلمة "نحن" عائدة على الإلهين "آتوم" و"نون". وحين حل الرب العبراني محل الإله "آتوم" في عملية "الخلق" مرت القصة بمراحل من التغيير. والاحتفاظ بكلمة "نحن" في النص التوراتي يبقي على أثر المصدر الهليوبوليسي المتعدد الآلهة.

الأسطورة رقم 26
أنبت الرب جنة شرق جنة عدن

الأسطورة: "وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ اسم الْوَاحِدِ فِيشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ الْفُرَاتُ." (تكوين 2: 8 – 14)

الواقع: رمزت جنة "عدن" في الأصل لجزيرة اللهب، أولى الأراضي في أسطورة "الخلق" المصرية. ووفقًا للعقيدة الهليوبوليسية لابد وأنه جعل موقع "عدن" في "هليوبوليس".

أين أنبت الرب إذًا جنة "عدن"؟ لقد كتب الكثير حول ذلك الموضوع لكن من دون رأي قاطع. يوفر النص بعض الدلائل. فسفر "التكوين" يضعها شرقًا حيث تشرق الشمس كما يقول أيضًا بأنها تقع غرب "نود" (Nod) لكن للأسف لا أحد يدري أين هي "نود".

إن أدلتنا الرئيسية على مكان جنة "عدن" تكمن في الأربعة أنهار المذكورة في "الكتاب المقدس": "فيشون" (Pison) و"جيحون" (Gihon) و"حدّاقل" (Hiddekel) و"الفرات" (Euphrates) اللذين يتفرعون من النهر الذي يجري في جنة "عدن" والذي لم يذكر اسمه.

النهر الأول يحيط بجميع أرضٍ "الحويلة" (Havilah) التي تمتلئ بالثروات الطبيعية كالذهب والأحجار الكريمة مثل "المُقل" (Bdellium) و"العقيق" (Onyx). أما مكان "الحويلة" فهو مجهول لكن معظم علماء اللاهوت على قناعة بأنه يرادف بلاد العرب (Arabia). مع ذلك ففي الإصحاح العاشر يصور سفر "التكوين" عدة علاقات جغرافية منها كون "الحويلة" أحد أبناء "كوش" (Cush) و"كوش" في الحقيقة هي "إثيوبيا".

أما النهر الثاني "جيحون" "هُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ." لذا فالنهران يوجدان في محيط بلاد "كوش" التي تقع جنوب "مصر".

والنهر الثالث "حداقل" يجري شرق "آشور" وكما يبدو فهو نفسه نهر "دجلة" (Tigris)

أحد أكبر أنهار "بلاد الرافدين". في حين أن آخر هذه الأنهار الأربعة هو نهر "الفرات" ثاني أعظم أنهار "ما بين النهرين".

إذًا ما الخطأ في ذلك التصور؟ فهنا نهران في "آسيا" واثنان جنوب "مصر". كيف لهذه الأنهار أن تشترك في نفس المنبع؟ ما كنه ذلك النبع المائي العظيم الذي يخرج منه أربعة أنهار؟ وأين نهر "النيل" الذي يجري خلال "مصر" بين "آسيا" و"إثيوبيا"؟ إن القصة في شكلها الحالي تدل على أنها حررت على يد شخص على دراية بالعقائد البابلية لكن من دون معرفة بجعرافية قارة "إفريقيا".

ترجح العديد من الدلائل أن النهر العظيم الذي أخرج هذه الأنهار الأربع هو نهر "النيل".

1 – فنهر "النيل" هو الوحيد المحذوف من تلك القائمة.

2 – يمكن لذلك أن يفسر لنا كيف أمكن لنهرين جنوب "مصر" من أن يتصلا بنهران بذلك البعد عن شمالها.

3 – تعود أصول قصة جنة "عدن" لأسطورة "الخلق" في "هليوبوليس". وفي تلك القصة بعد أن أُخرجت اليابسة وتجمعت المياه في نهر "النيل" إتجه الإله "شو" جنوبًا إلى "هليوبوليس" ليصبح "أوزوريس" الذي اتخذ شكل البذرة فأنبت الجنة شرق نهر "النيل".

4 – تقول العقيدة المصرية بأن شجرة الحياة كانت في "هليوبوليس".

5 – كانت الأرض الأولي في العقائد المصرية تسمى "جزيرة اللهب" (لأن الجبل المستعر خرج من وسط المياه الأولى "نون") وفي ذلك ادعت كل مدينة رئيسة في "مصر" بأنها الأرض الأولى. وكما جاء في سفر "التكوين"، بعد أن طرد الرب "آدم" و"حواء" من الجنة أغلق بوابتها بدغل مشتعل مما يعود بنا لفكرة "جزيرة اللهب".

توضح تلك النقاط أن قصة الأنهار الأربعة التي تخرج من النهر الموجود في جنة "عدن" ليس لها علاقة بالنهران الأسيويان المذكوران في سفر "التكوين". فالحقيقة أن تلك الفروع الأربعة تخرج من نهر "النيل" إثنان في الشمال حيث صنعا الدلتا المصرية وإثنان في الجنوب يفترقان عند "إثيوبيا".

ترتب على ذلك أن أبدلوا العبرانيون بعد مجيئهم إلى "بابل" اسما فرعي نهر "النيل"

اللذان يشكلان دلتا "النيل" بإسمي النهرين اللذان يشكلان دلتا "بلاد الرافدين". وأبقوا على الفرعان الجنوبيان كما هما.

وفي حين شرع العبرانيون في رؤية تاريخيهم من المنظور البابلي أخذوا في تعديل قصص "الكتاب المقدس" لتشابه الكتابات البابلية طامسين بذلك الأصول المصرية لتلك الكتابات. فتحولت الأنهر من الدلتا المصرية لنظيرتها البابلية فلم يعد لجزيرة اللهب أي معنى. وتحول اقتران اللهب من صلته بالجزيرة لصلته بالسيوف المحترقة بنيران الدغل المشتعل.

وبوجود العبرانيين في "بلاد الرافدين" تعرفوا بالجنة المدعوة "دلمون" والتي كانت معروفة هناك بأنها الجنة القديمة. وحينها آمنوا بأن جنة "عدن" وجنة "دلمون" هما نفس الشيئ.

الأسطورة رقم 27

آدم وحواء عاشا حياة بدائية بسيطة في جنة عدن

الأسطورة: "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا....

وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ.

وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ. "(تكوين 2: 15، 18 – 20، 25)

الواقع: إن صور الحياة الهادئة التي كانت في جنة "عدن" استقيت من الوصف السومري للحياة البدائية للبشر.

يعطينا سفر "التكوين" فكرة خاطفة عن الحياة في جنة "عدن". فالرب خلق "آدم" لفلاحة الجنة مما جعل هناك وفرة في الطعام. لكن الإنسان كان يشعر بالوحدة فخلق الرب الحيوان ليساعده ويؤنسه. كما خلق جميع أشكال الحياة على وجه الأرض من حيوان وطير لكنهم لم يخففوا من وحدة الإنسان. لذا خلق "حواء" لتساعده. كان الإنسان الذكر والأنثى

عاريان من دون أن يخجلا لكنهما بعد أن أكلا من الفاكهة المحرمة أدركا عريهما فصار مخجلاً بالنسبة لهما. وبجانب القصة التي تدور حول الحية وما تبعها من عقاب لم نعرف أي تفاصيل أخرى عن الحياة في الجنة.

إن الصور المذكورة في سفر "التكوين" توازي تلك المذكورة في الأساطير السومرية. ففي قصة من القرن السابع قبل الميلاد نتعرف على ما كان عليه الحال في تلك الأزمنة:

عندما نسي الألهة آثار الجنس البشري في الصحراء العليا (بمعنى: التي لا يصيبها الفيضان)،

في تلك الأيام لم تكن القنوات قد فتحت، لم يُكسح الطين عند السدود و لم تُبنى المصارف فوق السدود

والحرث والمحراث لم يُعهد به بعد للبشر المدحورين المنهزمين

فلم تزرع البلاد حقول

بشر تلك الأزمنة البعيدة منذ "شاكان" (shakan) (إله قطعان الحيوان) لم تصل بعد للأرض اليابسة، لم يعرفوا تغطية أنفسهم بالملبس البدائي، فكان البشر عراة

في تلك الأيام، لم يكن هناك ثعبان ولا عقرب ولا سبع ولا ضبع ولا ذئاب،

فلم يكن هناك خوف ولا رعب. (أبيات 1 – 15)

عندما "آنو" و"إنليل" و"إنكي" و"ننخرساج"

خلقوا ذوي الرؤوس السود (البشر–بمعنى السومريون)

خلقوا الحيوانات الصغيرة (التي خرجت) من الأرض لتتكاثر

وجعلوهم كما شاءوا ،غزال وحمير برية ووحوش ذوو أربعة في الصحراء

(أبيات 47 – 50)

يستمر النص بعد فقرة مكونة من 37 سطر بإشارة إلى أن المُلك قد ورث من السماوات وأن القائد المختار سيشرف على عمل الآخرين وسيعلمهم أن "يتبعوه بلا تأفف كالماشية!"

يظهر النص السابق تشابهات عدة مع سفر "التكوين" فكما في القصة التوراتية ينصب التركيز على الفلاحة وعري الإنسان. كما يخبرنا بالكائنات التي خرجت من الأرض. وكما يظهر بجلاء في النص السومري يجهل البشر كل شيئ عن الأخلاق. فالبشر عاشوا ليخدموا

الآلهة ويتبعون أوامرهم كالمواشي. وواجب الملك الذي يمثل الآلهة هو إرشادهم إلى ما يريدون معرفته.

لا يوجد في النص السابق روايات عن مسألة الطرد من الجنة، لكن في الفقرات الباقية من ذلك اللوح هناك ذكر لبناء أول المدن. وبهذا يكتمل التوازي مع قصة سفر "التكوين" التي تقول بأن "قابيل" ابن "آدم" و"حواء" بنى أول مدينة بعد طردهما من الجنة.

الأسطورة رقم 28

الحية أحيل جميع الحيوانات البرية

الأسطورة: "وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟" (تكوين 3: 1)

الواقع: رسم سفر "التكوين" صورة الثعبان الماكر على شاكلة الإله المصري "ست" الذي تجسد في هيئة ذلك الثعبان أيضًا تحت اسم "أبوفيس" عدو "رع".

لقد حُرِّم على "آدم" و"حواء" الأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وكما تروي القصة صادفت "حواء" تلك الشجرة ووجدت بها حية. فشجعت تلك الحية "حواء" على تذوق بعضًا من فاكهتها المحرمة فأخبرتها حواء بالتحريم الذي أوقعه الرب علي تلك الثمار وبتهديده لهما بالموت. فأجابتها الحية قائلة " لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (تكوين 3: 4 – 5)

إن الحية التي لربما أكلت من الشجرة كانت كما هو واضح على معرفة بسر تلك الثمار (المعرفية)! فهي تمثل المفهوم المصري لـ"ماعت" (بمعنى المبادئ الأخلاقية انظر الأسطورة رقم 20) والأكل منها يمنح الخلود.

لاحظنا في مناقشتنا لشجرتا "المعرفة" و"الحياة" أن المصريين كان لهم تصور أسطوري للحية التي تسكن تلك الشجرة. وفي إحدى تلك الصور رسم الفنان المصري قطة تمسك عصاة تسحق رأس الثعبان الذي يسكن شجرة برساء (Persea). كانت القطة هي "رع" إله

الشمس والثعبان هو "أبوفيس" عدو "رع" الذي يحاول ابتلاع الشمس عند نهاية كل يوم. أما عن سحق رأس الحية فيبدو أن ذلك هو تمامًا ما أخبر الرب "آدم" بفعله حيال تلك الحية ونسلها بعد طرده من الجنة.

أقرن المصريون "أبوفيس" بالإله "ست" الذي كان إلهًا ماكرًا وطموحًا لديه رغبة في اغتصاب عرش "مصر" من أخيه "أوزوريس". ولتحقيق هذا الغرض تآمر مع حلفائه على اغتيال "أوزوريس" واغتصاب المُلك.

فأولاً، عقد "ست" صداقة مزورة مع أخيه وأهداه صندوق. ثم طلب منه أن ينام بداخله ليرى إن كان يسعه. ثم ما أن نام "أوزوريس" بداخله حتى قتله "ست" وحلفاؤه فأحكموا غلق الصندوق عليه ثم تخلصوا منه. لكن "أوزوريس" تجاوز موته وأصبح ملكًا للحياة الأخرى.

بذلك نعود لقصة الحية التي سكنت شجرة "المعرفة". وكما ذكرنا سابقًا فالسبب في تحريم الأكل من شجرة "المعرفة" هو أن فاكهتها كانت تمثل "ماعت"، ولقد كان الشرط لنيل الحياة الأبدية لدى المصريين هو أن يثبت المرء لـ"أوزوريس" أنه عاش حياته واضعًا "ماعت" نصب عينيه (أي في حالة سَعَىَ نحو تحصيل المعرفة الأخلاقية). تصادم ذلك المبدأ مع الأسس العبرانية التوحيدية لذا وجب على صور "أوزوريس" أن تُمنع.

وحيث أن الحية التي تسكن الشجرة تترادف مع "ست" قاتل "أوزوريس" يصبح بإمكاننا رؤية الخاتمة التهكمية. فكعقاب له على سعيه للخلود عن طريق عبادة "أوزوريس" يفقد الآثم الخلود من خلال أفعال عدو "أوزوريس" الأبدي، الحية الخادعة اللئيمة.

الأسطورة رقم 29

الرب عاقب آدم وحواء والحية

الأسطورة: "فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ. وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ

تَلدينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلك يَكُونُ اشْتيَاقُك وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْك. وَقَالَ لآدَمَ لأَنَّكَ سَمعْتَ لقَوْل امْرَأَتكَ وَأَكَلْتَ منَ الشَّجَرَة الَّتي أَوْصَيْتُكَ قَائلاً لاَ تَأْكُلْ منْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بسَبَبكَ. بالتَّعَب تَأْكُلُ منْهَا كُلَّ أَيَّام حَيَاتكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْل. بعَرَق وَجْهكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إلَى الأَرْض الَّتي أُخذْتَ منْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإلَى تُرَاب تَعُودُ" (تكوين 3: 14 – 19)

الواقع: العقاب الموقع على "آدم" و"حواء" والحية يشابه ملحمة "أوزوريس" المصرية.

لأنهم عصوا أمر الرب حل على "آدم" و"حواء" والحية عقاب الرب. ذلك العقاب يعود في أصله لبعض عناصر ملحمة "أوزوريس" الأسطورية.

بعد أن يقتل "ست" "أوزوريس" يجيئ في القصة أن الإله المقتول "أوزوريس" ينجح في أن يجعل زوجته حبلى. ونتيجة لخشية "إيزيس" من أن يقتل "ست" إبنها "حورس" تقوم بإخفائه في مستنقع. لكن "ست" يعثر على المكان ويتخفى في هيئة حية تذهب فتقرصه في كعبه. ولو لم يكن من تدخل الآلهة لمات "حورس". لكن عندما شب "حورس" تحدى "ست" وانتصر عليه مستحقًا بذلك خلافة والده.

والآن لنفكر في الصور التي جاءت في الأساطير المصرية ولنقارنها بسفر "التكوين". لقد عاقب الرب الحية بأن جعلها تزحف على بطنها وجعل عداوة بينها وبين المرأة وبين نسل المرأة ونسلها. وحيث أن الحية تزحف على بطنها يكون من المنطقي أن تسعى لجرح الطفل في كعبه. وكما جاء في دورة "أوزوريس" زحف "ست" على بطنه نحو الطفل فلدغه في كعبيه ليصير عدوًا للأم وابنها.

في المشاهد التي تصور قط "هليوبوليس" العظيم يتخذ "رع" هيأة قط يسحق رأس حية تسكن شجرة. أما في سفر "التكوين" فيتم الايعاز إلى "آدم" بسحق رأس الحية التي سكنت الشجرة.

أما آخر العقوبات الكبرى فكانت ألم الوضع الذي يصيب المرأة. فالمعنى المبطن لذلك الأمر هو أن عملية الوضع ظلت خالية من الألم حتى ذلك الحين، وهي فكرة نجدها في الأسطورة السومرية التي تدور حول "إنكي" و"ننخرساج" حيث كان وضع الأطفال في الجنة يحدث بلا ألم. ومع ذلك فتلك الأسطورة لا تضم أي عقوبات تشمل التسبب بالألم في عملية الوضع. لكن دورة "أوزوريس" تضم قصة تتناول مصاعب الولادة تتصل بشكل ما بعصيان أوامر الرب الأكبر.

ووفق القصة المصرية كان "جب" و"نوت" عاشقان منعهم الإله "رع" من التزاوج. لكنهم خالفوا أمر "رع" فأقاما علاقة وأغضبا الإله الأكبر. لذا أمر "شو" بأن يفصلا عن بعضهما البعض (ففصلت السماوات عن الأرض) وأعلن أن "نوت" لن تلد في أي يوم من أيام السنة مما تسبب لها بأذى نفسي شديد. لكن الإله أخذته بها شفقة فجعل القمر يهبها قليلا من الضوء تمكنت بواسطته أن تخلق خمسة أيام زائدة في نهاية السنة. وحيث أن تلك الأيام الخمس ليست ضمن أيام السنة الأصلية أستطاعت "نوت" بفضل "توت" (Toth) أن تلد أطفالها الخمس في تلك الأيام.

لقد سبق لنا وقارنا "جب" و"نوت" بـ"آدم" و"حواء"، ويبقى الحال كما هو هنا. فالزوجان كلاهما خالفا أمر مباشر من الرب الأكبر وكلتا المرأتين عوقبتا بأن عانتا من صعاب في الولادة. ولأن الكتبة العبرانيين احتاجوا إلى أن يصوروا تاريخهم بشكل توحيدي، صار من المحتم تحويل العديد من الآلهة المصرية إلى بشر. وبذلك حولوا قصة صعوبة الولادة التي واجهت "نوت" إلى أسطورة عامة حول عملية الولادة لدى النساء عامة.

الأسطورة رقم 30
قابيل قتل هابيل

الأسطورة: "وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ[1]. وَقَالَتِ اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلاً فِي الأَرْضِ. وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا.

وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ. 9 فَقَالَ الرَّبُّ

(1) قايين هو الترجمة التوراتية لـ (Cain) وقد ذكر في النص التوراتي فقط، أما قابيل فقد أستعمل في الجزء المخصص لمناقشة النص التوراتي. وكل منهما، أي قايين وقابيل، يرمز لنفس الشخص– وهو أخو هابيل.

لِقَايِنَ: "أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟" فَقَالَ لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟" (تكوين 4: 1 – 9)

الواقع: كان لقصة "قابيل" و"هابيل" أصل في الخلاف الموجود بين "ست" و"أوزوريس" لكن القصة تأثرت فيما بعد بالأساطير السومرية التي تدور حول الراعي المدعو "دموزي" (Dumuzi).

أنجب "آدم" و"حواء" ثلاثة أبناء هم "قابيل" و"هابيل" و"شيث". "قابيل" قتل "هابيل" و"شيث" أسس السلالة العبرانية منذ "آدم" وحتى "إبراهيم". وفي الأسطورة رقم 17 أظهرنا التشابه بين أبناء "آدم" و"حواء" الثلاث وأبناء إلهي أسطورة "الخلق" في "هليوبوليس" "جب" و"نوت" المدعوون "أوزوريس" و"حورس" و"ست". إن قصة سفر "التكوين" لا تكتفي بالاحتفاظ بأحد تلك الأسماء المصرية (ست وشيث متساويان لغويًا) وإنما تلتزم بفكرة الأخ الذي يقتل أخاه والأخ الثالث الذي يؤسس السلالة الحاكمة. ومع ذلك يبدو أن شخصيات القصة الأصلية اختلطت على كاتب سفر "التكوين".

وإذا كان سفر "التكوين" قد اعتمد فقط على الأساطير المصرية، فقد كان لابد لشخصيتنا "أوزوريس" و"قابيل" الأخ الأكبر في القصتان أن تتطابقا وبالفعل توجد بعض التشابهات. لقد رمز "أوزوريس" للبذرة ولقد كان "قابيل" زارعًا. جاب "أوزوريس" الأرض ليعلم الناس و"قابيل" جاب الأرض ليعلم البشر أيضًا. يصف سفر "التكوين" بعض أبناء "قابيل" بأنهم مؤسسين لكثير من الفنون مثل تشكيل الحديد والموسيقى وتربية الماشية. ووفقا لقصصهم بنى "أوزوريس" و"قابيل" أول مدينة عرفها البشر.

لكن إذا كان "قابيل" مكافئ لـ"أوزوريس" كان لابد لـ"قابيل" من أن يكون القتيل وليس القاتل. لذا فمن المرجح أن هناك تأثيرات أخرى تسببت في خلط شخصية الضحية. جاء المصدر كما يبدو من الأساطير السومرية التي تدور حول الراعي المدعو "دموزي". وفي العصور التي تلت حضارة سومر. غيرت حضارات "ما بين النهرين" الاسم من "دموزي" إلى "تموز" (Tammuz)[1] الذي صار أحد شهور التقويم العبراني.

كان "قابيل" زارعًا و"هابيل" راعيًا للغنم. كلاهما سعا لنيل حظوة الرب مقدمين أضاحي من نتاج عملهم. ففضل الرب العبراني أضحية "هابيل" على أضحية "قابيل" فأصاب الزارع الغضب. بعدها بفترة قتل الزارع أخاه "هابيل" من دون سبب محدد.

(1) وهو يوليو في التقويم الغربي.

في القصة المسماة "دموزي" و"إنكيمدو" (Enkimdu) نجد أن موضوع المنافسة بين الراعي (دومزي) والزارع (إنكيمدو) هو السعي لنيل رضا الإلهة الأنثى "إنانا" (Innana) فبنت الإلهة رأيها على أساس قدر الأهمية التي مثلتها كل أضحية. ففضلت الزارع "إنكيمدو" في البداية لكن الراعي " دموزي" دافع عن قضيته حتى اختارته "إنانا" زوجاً لها. من هنا تتفق القصتان السومرية والتوراتية فالآلهة تفضل الراعي على الزارع لكن في القصة السومرية لا يُقتل أحد.

أما في القصة الثانية المعروفة بإسم "هبوط إنانا" يموت "دموزي" ميتة فظيْعة تماما مثل "هابيل". من الواضح أن موت " دموزي" استبدل موت "قابيل" لكن بسبب أن " دموزي" راعيًا وليس زارعًا عدل محرر النص التوراتي من شخصية القتيل الزارع "قابيل" ليصبح الراعي "هابيل" وذلك كي يتوافق مع الرواية البابلية.

في قصة "هبوط إنانا" تهبط الإلهة "إنانا" إلى العالم السفلي لتنتزع حكمه من أختها لكنها تفشل. وقبل أن تسمح لها أختها بالعودة إلى أرض الأحياء كان عليها أن تجد من يحل محلها. وفي رفقة شياطين يدعون بالـ"جالو" (Galla) سافرت "إنانا" من بلد إلى بلد باحثة عن بديل لها إلى أن وصلت إلى لمملكة زوجها "دموزي". ثم أغضب "دموزي" زوجته "إنانا" فرمقته بنظرة الموت. لكنه تضرع لإله الشمس "أتو" (Utu) ورجاه أن يعينه على الهروب من سرب الشياطين. وللأسف يتهالك لوح الأسطورة عند تلك النقطة، لكننا نجد في مجموعة من الألواح التي تعود لعام 1750 ق. م. روايات تتعلق بمحاولات "دموزي" لتفادي الموت. في تلك النسخة يتدخل "أتو" عدة مرات لمساعدة "دموزي" لكن من دون فائدة. فيستسلم "دموزي" في النهاية للشياطين.

ويدخل الحظيرة أول الجالو،
فيصفع خد دموزي بمسمار نافذ،
ويدخل الحظيرة ثاني جالو،
فيصفع خد دموزي بخطاف الراعي،
ويدخل ثالث جالو،
فيزيل حامل مخضة اللبن المقدسة،
ويدخل رابع جالو،

فيسقط الكأس المعلق من فوق حامله،
ويدخل خامس جالو،
المخضة ترقد (مهشمة)، فلا يُسكَب اللبن،
والكأس يرقد (مهشم)، فلا يستمر دموزي حيًا،
والحظيرة توهب للرياح.

يمكننا أن نجد التفاصيل المفقودة من الرواية التوراتية حول قتل "قابيل" لـ"هابيل" في تلك القصة التي تروي موت الراعي، باستبدالنا لـ"جالا" بـ"قابيل". تتردد أصداء الرواية التوراتية في إبتهالات "دموزي" للإله "أتو" أثناء محاولات الـ "جالا" لجره نحو العالم السفلي، ففي سفر "التكوين" يقول الرب لـ"قابيل" **فَقَالَ مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ.**" (تكوين 4: 10)

لذا يصبح في إمكاننا أن نرى أن قصة "قابيل" و"هابيل" قد بدأت كتنويعة على تلك الأساطير إلى أن إستقرت في شكلها الحالي.

الأسطورة رقم 31

وبنى قابيل مدينة عدن

الأسطورة: " **فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْن. وَعَرَفَ قَايِينُ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ حَنُوكَ. وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً، فَدَعَا اسم الْمَدِينَةِ كَاسْمِ ابْنِه حَنُوكَ. وَوُلِدَ لِحَنُوكَ عِيرَادُ. وَعِيرَادُ وَلَدَ مَحُويَائِيلَ. وَمَحُويَائِيلُ وَلَدَ مَتُوشَائِيلَ. وَمَتُوشَائِيلُ وَلَدَ لاَمَكَ.**" (تكوين 4: 16 – 18)

الواقع: إن الأماكن الأربعة المرشحة لأن تكون المدينة المعروفة بأول المدن هي "هليوبوليس" و"طيبة" في "مصر" و"عريدو" (Eridu) و"بادتيبيرا" (Badtibira) في بلاد "ما بين النهرين".

عندما علم الرب بأن "قابيل" قتل "هابيل" قال "**مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا**

وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ" (تكوين 4: 12). مع هذا يبدو أن "قابيل" بنى أول المدن بعد ذلك بفترة وجيزة مما يتنافى مع كونه تائهًا وهاربًا. ذلك التضارب يظهر تردد منقحي التوراة حول شخصية "قابيل".

كان "قابيل" في البداية بديلاً لـ"أوزوريس" (الابن البكر للسموات والأرض). ففي الأساطير المصرية كان "أوزوريس" يجوب البلاد ليعلم البشر مهارات عديدة. كما كان هو من بنى المدينة الأولى فوق التل البدائي. ولقد ادعت كل المدن المركزية في "مصر" أنها هي المدينة الأولى التي بناها "أوزوريس". أما في حضارات "ما بين النهرين" فكانت المدن تبنى بإيعاز من الآلهة للبشر الذين كانت تلقي على كاهلهم تلك المشاق. تشير العديد من النصوص إلى خمسة مدن بنيت في قديم الزمان هم: "عريدو" و"بادتيبيرا" و" لاراك" (Larak) و"سيبور" (Sippur) و"شروباك" (Shurrupak) حيث ترجع تواريخ بنائهم لبواكير الألف الثالثة قبل الميلاد.

أما كلمة "قابيل" (Cain) فتعني باللغة العبرانية "حداد" أو "من عمل في الحدادة". كان للحدادين صفة الحرفيين وصفة مُعلمي الحرفة في الوقت نفسه. لم تتناول الأساطير المصرية تلك الأمور، لكن أساطير حضارات "ما بين النهرين" فعلت. فإحدى تلك المدن الأولى تسمى "بادتيبيرا" التي تعني "قلعة عمال الحدادة" أو "حائط عمال الحدادة".

يعطينا سفر "التكوين" القليل من الإشارات على حقيقة المدينة التي بناها "قابيل". فهي تقع شرق جنة "عدن" في مكان يدعى "نود" (Nod وقد أطلق "قابيل" عليها اسم ابنه. وكان اسم ابنه "حنوك" (Enoch). لكن العادة جرت على أن يعامل الأحفاد معاملة الأبناء لذا صار في الإمكان تسمية المدينة باسم "عيراد" (Irad) حفيد "قابيل".

لكن إذا ما أخذنا في الاعتبار أن "قابيل" الشريد بنى مدينة واحدة مثل "أوزوريس" وليس خمسا كما في عقائد "ما بين النهرين" يكون من واجبنا افتراض أنه بنى المدينة في "مصر". وحيث أن تلك القصة نشأت من أسطورة خلق "هليوبوليس" يصبح من المنطقي ترجيح أن هذه المدينة كانت "هليوبوليس": "مدينة الشمس" التي تقع شرق "النيل" من حيث تشرق الشمس. ذلك أو بالأخذ بأن قصة "الخلق" الأولى كانت مستقاة من أسطورة خلق "طيبة" في حين أن الثانية مجرد إنحراف عنها، فتكون بذلك أول مدينة هي "طيبة". ولقد كان اسم "طيبة" في "الكتاب المقدس" هو "نو" (No) وهو شديد الشبة بالإسم "نود".

من جهة أخرى نجد كما ذكرنا في الأسطورة رقم 30 أن المحررين التوراتيين استبدلوا "قابيل" الممثل لـ"أوزوريس" بشخصية "دموزي" من القصص السومرية، الذي حكم "بادتيبيرا" (قلعة عمال الحدادة) وفقا للتقاويم الملكية السومرية ومما يرجح أن منقحي التوراة نقلوا عن قصد أو عن غير قصد المدينة من "مصر" إلى بلاد "ما بين النهرين". وقد كان اقتران "بادتيبيرا" بالحدادة رابط جيد بـ"قابيل" الحداد كما ظن منقحي التوراة المتأخرين.

في النهاية تبقى لدينا مدينة مرشحة لأن تكون المدينة الأولى وهي "عريدو" إحدى المدن الخمس اللاتي توجدن جنوب غرب "بابل". ولقد كانت تذكر دائما في مقدمة تلك المدن مما يدل على أن أهل "بلاد الرافدين" رأوا أنها أهمهم. وبصفتها أكثر تلك المدن أهمية ونفوذًا تصبح خيارًا جيدًا للمكان الذي بنى فية "قابيل" مدينته. ولقد كان حفيد "قابيل" يحمل اسم "عريدو" المطابق لإسم المدينة.

ذلك أيضًا بالإضافة إلى أن مدينة "عريدو" كانت مدينة الرب "إنكي" لدى أهل "ما بين النهرين". ومن المحتمل أيضًا أن هنالك صلات ما بين اسم "إنكي" (Enki) و"حنوك" (Enoch) تربطه مباشرة بابن "قابيل". هناك أيضًا بعض الكتابات القديمة التي تطلق على "إنكي" اسم "نوديمود" (Nudimud) الذي كما يتضح على صلة ببلاد "نود" وبذلك تصبح "عريدو" أرض "نود".

لكن مع ذلك يبدو أن أي علاقة تربط بين مدينة "قابيل" وحضارات "ما بين النهرين" كانت شيئًا مستحدثًا، فإنه تاريخيًا ما كانت المدينة لتقع إلا في "مصر".

الأسطورة رقم32

وبعث الرب بالطوفان ليهلك البشر

الأسطورة: "وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ.

فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ." (تكوين 6: 11 – 13)

الواقع: نشأت قصة "نوح" و"الطوفان" عن اسطورة "الخلق" الإشراكية في "هيرموبوليس"، فجاءت ضمن الرواية المفصلة للخلق في يومه الأول.

تقول أسطورة "الخلق" الهيرموبوليتية [1] بخروج أربعة ذكور وأربع إناث من "الطوفان" البدائي ثم زحفهم للأرض الأولى. هؤلاء الذكور والإناث لقبوا بالثامون (أي مجموعة الثمانية) ومعًا أنجبوا "رع" إله "الخلق" في الأسطورة الهيرموبوليتية، الذي طفا فوق نبات اللوتس فيما حلق فوقة طائر حجر "البنبن" (Benben).

كان الآلهة الذكور هم "نون" و"حوح" و"كوك" و"آمون" رموز العناصر الأولى قبل خلق الكون. استبدلوا بآلهة أخرى في بعض النصوص. فرمز الإله "نون" للطوفان البدائي حيث صوره المصريون متجسدًا في شكل رجل يقف داخل المياه الأولى مغمور حتى وسطه وهو يرفع سفينة شمسية فوق رأسه على متنها تجلس الآلهة الأخرى.

أما في قصة "نوح" فهناك أيضًا خروج لأربعة ذكور وأربع إناث من "الطوفان" الذي أصاب العالم بعد خروج جبل من بين المياه، حينها ولد طفل (انظر الأسطورة رقم 33) تدور التساؤلات حول كنه والديه. يوجد في القصة أيضًا ذكر لبعض الطيور، أحدهم بدا مختلفًا عن الآخرين (أنظر الأسطورة رقم 34). بالإضافة إلى تناظر اسم "نوح" وثلاثة من أبنائه مع الأسماء في دورة "الخلق" المصرية.

أما الإسم "نوح" (Noah) (الذي كان يجب أن يترجم إلى "نواش" (Noach) وفق اللغة العبرانية القديمة التي كتب بها الكتاب المقدس) فيتكون من حرفان هما "نون" (Nun) و"شد" (Ched). لا ندري كيف كانت تنطق الحروف المتحركة لتلك الكلمة فالكتابة العبرانية القديمة لم تحوي أي حروف متحركة. لذا فالنطق الحالي للحروف المتحركة هو مجرد تخمين. إنه لمن المشوق أن نجد كيف أن الحرف "نون" أول مقاطع الإسم العبراني لـ"نوح" مماثل للإسم المصري للطوفان البدائي. لذا فالإسم العبراني لبطل قصة "الطوفان" يتناظر مع الإسم المصري للإله الممثل للفيضان الخالق الذي كان يرشد السفينة الشمسية خلال المياه.

تطالعنا صدفة أخرى في مطابقة اسما "نوح" و"نون" بصورة الحية. فلقد صور المصريون الآلهة الأربعة

(1) نسبة الي هيرموبوليس (Hermopolis)

الذكور المنتمين لأجدود (الثامون الذي خرج من "الطوفان" بما في ذلك الإله "نون") في أشكال حيات تسعى. في حين نشأ الحرف العبراني "نون" في الكتابات العبرانية القديمة من صورة الحية.

تمتد العلاقة بأسطورة "الخلق" الهيرموبوليتية لتشمل أبناء "نوح" الثلاث – "حام" (Ham) و"سام" (Shem) و"يافث" (Japheth). فـ"سام" أكبر الثلاث له اسم غير معتاد. فهو بالعبرانية يعني "إسم". مما يعني أن "نوح" دعا إبنه بـ"إسم" وهو شئ غير منطقي. وعلى ذلك فلقد اعتاد المؤمنون من اليهود على استخدام اللفظ "إسم" (Shem) كبديل لإسم الرب، لذا يبدو من غير المرجح أن يكون الكتبة العبرانيون قد أرادوا مساواة ابن "نوح" بالرب العبراني.

لكن يبدو أن الكلمة "سام" (Shem) كانت مصدر للكلمة العبرية "شوموني" (Shemoneh) بمعنى "ثمانية". يوفر لنا هذا الطرح علاقة مباشرة بمدينة "هيرموبوليس" المصرية، فـ"هيرموبوليس" هو الإسم الاغريقي للمدينة المصرية المدعوة بـ"شمون" (Shmn) والتي تعني "مدينة–الثماني معبودات" على أساس الآلهة الهيرموبوليتية الثمانية الذين خرجوا من "الطوفان" (فالكلمة الدالة على رقم "ثمانية" هي نفسها في اللغة المصرية والعبرانية)، لذا فإسم ابن "نوح" – "سام" (Shem) – وإسم "هيوموبوليس" المصرية – "شمون" (Shmn) – يدلان على آلهة "هيرموبوليس" الثمانية الذين خرجوا من "الطوفان" الأول.

أما "حام" ثاني أبناء "نوح" فإسمة ينطق "شم" (Chem) بالعبرانية، وكان يصور كأب للمصريين والأفارقة. استقي هذا الإسم من الإسم القديم لمصر "كيمي" (Keme) والذي يعني "الأرض الداكنة أو السوداء" التي ترمز للأرض الداكنة الغنية بالطمي التي كان يخلفها فيضان النيل على ضفاف النهر.

أما ثالث أبناء "نوح" فهو "يافث" الذي حاول الكثيرون إقرانه بالإله الاغريقي "لابيتوس" (Lapetos) الذي كان ابنه "ديوكاليون" (Deucalion) بطل لأسطورة إغريقية تدور حول "الطوفان". لكن بقدر ما يغرينا هذا الطرح بافتراض وجود تأثير إغريقي على تطور نص "الكتاب المقدس" إلا أنه لا يوجد أي دليل ملموس على ذلك.

لكن ما أن نتطلع للجانب المصري حتى نعثر على الصلة مجددًا. فالإسم "يافث" (Japheth) باللغة العبرانية القديمة يتكون من ثلاثة حروف ساكنة هي "يا–ف–ث" (J-Ph-Th). وحيث أن المقطعان الثاني والثالث الـ"ف" والـ"ث" يتماثلان لفظيا مع الحرفان الـ"ب" والـ"ت"، يمكننا كتابة الإسم في شكل "يا– بت" (J-PT). وفي العبرانية عندما

يوضع اسم الرب قبل أي اسم آخر تتم نقحرته في شكل "يا" (Ja) أو "يو" (Jo). وعندما نعلم بأن الحرفان "بت" من كلمة "يا-بت" هما نفس الحروف الأولى لإسم إله "الخلق" في "ممفيس" الإله "بتاح"، يصبح الإسم "يافث" هو نفسه اسم "الإله -بتاح" (يا-بتاح). أما هذا التركيب فهو معتاد في المصرية القديمة فهناك مثلاً "آتوم-رع" (Atum-Re) و"رع-حور-أختي" (Re-Herakhte). وبالمثل يوجد تركيب عبراني يشابه ذلك وهو المصطلح المعروف بـ"الرب الإله" (LORD God).

لقد جاء في تفسيرنا لأول أيام "الخلق" (أنظر الأساطير 2 و4) أن اليوم الأول شهد ظهور آلهة "هيرموبوليس" الثمانية بالإضافة إلى "بتاح" الذي دُعي بالنور الأول. وفي ذلك رمز الإسم "الإله-بتاح" لتلك العلاقة التي تجسدت في اتحاد آلهة "هيرموبوليس" الثمانية مع "بتاح".

ومن كل ذلك يمكننا أن نرى كيف تتردد أصداء اسماء "نوح" وأبنائه الثلاث في أسطورة "الخلق" الهيرموبوليتية. فـ"نوح" يوازي "نون" "الطوفان" البدائي؛ و"حام" يرمز للأرض الأولى التي خرجت من اليم؛ و"سام" يمثل مدينة "هيرموبوليس" أو "شمون" التي بنيت على الأرض الأولى (وفق العقائد الهيرموبوليتية)؛ و"يافث" هو إله "الخلق" الرئيسي، أو التجسد الإلهي المكون من ثامون "هيرموبوليس" والإله "بتاح". وحيث أن الكتبة العبرانيين كانوا في حاجة لتقديم تاريخ توحيدي للعالم، إضطروا لإعادة توزيع أدوار القصة بحيث تُستبدَل الآلهة المصرية المعروفة بشخصيات أناس من البشر.

الأسطورة رقم 33
وكان حام أبًا لكنعان

الأسطورة: "وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ." (تكوين 9: 18)

الواقع: كان "كنعان" (Canaan) في الأصل هو الإله "رع" من أسطورة خلق "هيرموبوليس"، فكان إبن الرجال الأربعة الذين كانوا على ظهر سفينة "نوح".

أنجب الثامون (الأربع آلهة من الذكور والأربع آلهة من الإناث) الإله الشمسي وإله "الخلق" "رع" حسب أسطورة "الخلق" الهيرموبوليتية. وبالمثل تقول قصة "نوح" بولادة طفل وحيد خلال الطوفان. كان اسمه "كنعان"، تعنت كتبة "التوراة" في ذكر كُنة والداه.

تقول الآية أولاً "وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ." فتلمح إلى أن "كنعان" خرج هو الآخر من الفلك لكنها لا تصرح بذلك. ثم بعد ثلاث آيات يذكرنا الكاتب مرة أخرى بأبوة "حام" لـ"كنعان" "فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا." (تكوين 9: 22).

تلك كانت أولى المرات التي يجيئ بها ذكر "كنعان" في "الكتاب المقدس" وكلتا المرتان لمحت الآيات لمَولد "كنعان" من دون تصريح بالوقت المحدد لحدوثه. لكنها تُكرر مرتان أن "حام" هو والده. لكن سرعان ما يتبع ذلك بعض الآيات الملغزة:

"فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ. وَقَالَ مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ." (تكوين 9: 23 – 27)

وفق المشهد السابق، يرى "حام" أباه عاريًا فيذهب ويخبر أخويه بما رأى. فيذهب الأخوان فيغطيان أبيهما. لكن عندما يصحو "نوح" من غفوته يلقي بلعنته على "إبنه الأصغر" "كنعان" وليس "حام" الذي رآه عاريًا. وحيث أن تلك الأحداث جرت بعد نزول "نوح" وعائلته من الفلك بفترة وجيزة لا يملك المرء إلا أن يسأل من أين جاء ذلك الـ"كنعان" وكيف تسنى له بلوغ السن الكافي للقيام بمثل هذا العمل المشين، ذلك إلا إذا كان قد ولد على ظهر السفينة؟

وتحاشيًا لوقوع أي سوء تفاهم كالظن بأن الكاتب أخطأ واستبدل "حام" بـ "كنعان" الابن الأصغر، يجب أن ننوه إلى أن كل المرات التي ذكر فيها أبناء "نوح" الثلاثة في "الكتاب المقدس" كان ترتيب "حام" هو الثاني كل مرة وذلك كنوع من الصيغ النصية المراد منها التأكيد على أن "حام" هو الابن الأوسط من أبناء "نوح" وليس الأصغر.

مَن كان والد "كنعان": "نوح" أم "حام"؟ لابد أن نوعًا من الخلط كان يحيط بذلك

الأمر، لأنه كما يظهر كان على الكاتب التوراتي أن يؤكد كل مرة على أن "حام" هو الأب. انبثق سوء الفهم هذا من أن الطفل المذكور كان ابن لأربعة آباء في الأسطورة الهيرموبوليتية، مما أدى إلى إلتباس الأمر على العبرانيين الموحدين في العصور اللاحقة. فشخص الأب كان سؤالاً يحتاج لإجابة تتطلب إعادة في التمحيص.

من هنا كان تعريف "حام" كأب لـ"كنعان" تطورًا لاحقًا، حدث أثناء عصر المملكة العبرانية (انظر الأسطورة رقم 45). نشأ ذلك الأمر عن القناعة بأن أرض "مصر" (مرادف "حام") كانت أبًا لأرض "كنعان"، تلك القناعة انعكست على نص الإصحاح رقم 10 الذي يدعي تتبع أصول الأمم التي قامت بعد "الطوفان".

تشير هذه الدلائل إلى أن "كنعان" كان يملك في الأصل اسما مختلفًا يتصل بشكل ما بالإله الشمسي "رع" في تجسده في شكل طفل. (يملك "رع" العديد من الأسماء ففي إحدى الابتهالات يتردد ما لا يقل عن 75 اسم له) هذا لربما يفسر سبب صب "نوح" للعنته على "كنعان" وليس "حام". فـ"كنعان" كان هو الإله "رع" إله "الخلق" الهيرموبوليتي ولقد سعى رجال الدين العبرانيون لمحو تأثيرات الإله المصري "رع" عن معتقداتهم المبكرة بعد خروجهم من "مصر".

الأسطورة رقم 34
أرسل نوح الطير ليعرف إن جفت الأرض أم لا

الأسطورة: "وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجعُ إِلَيْهِ أَيْضًا." (تكوين 8: 7 – 12)

الواقع: أدمج منقحي "الكتاب المقدس" مشاهد طائر "البنبن" (Benben) من قصة ميلاد "رع" بأجزاء من قصص "الطوفان" البابلية.

يحكي جزء آخر من أسطورة "الخلق" الهيرموبوليتية بظهور طائر "البنبن" عند ميلاد "رع". ومع أننا رأينا كيف خلط المنقح التوراتي رواية مولد "كنعان" إلا أننا نرى بوضوح أنه تم خلال فترة "الطوفان". كما نستشف أيضًا من الرواية أن من خرج من الفلك كان أكبر سنًا من أن يكون رضيعًا وتلك مشكلة أخرى سنناقشها فيما بعد.

في الواقع أنه لا يمكننا الربط بين ميلاد "كنعان" وظهور طائر "البنبن"، لكن ما يمكننا إثباته هو ظهور طائر "البنبن" في القصة الأصلية لـ"الطوفان".

أطلق "نوح" غراب وحمامة بنفس هذا التتابع بعد رسوه هو عائلته فوق الجبل، وذلك حتى يرى إن كان هناك مكان جاف يمكنه الإستقرار فيه. فعادت الحمامة لكن الغراب لم يعد، فطار لإسبوعين حتى جفت الأرض. أطلق "نوح" الحمامة مرتان أخرتان فلم تعد الحمامة في المرة الأخيرة إذ كان "الطوفان" قد انحسر. والآن، لماذا لم يتمكن "نوح" من التطلع من فوق قمة الجبل لإستطلاع إن كان في إمكانه النزول من الفلك؟ و لَم أطلق "نوح" طائران في يوم واحد؟ سؤالان لا إجابة لهما.

أما قصة الطائران فتطابق بشكل مدهش أسطورة "الطوفان" في ملحمة "جلجامش" التي تعود لحضارة "بلاد الرافدين". ففي تلك القصة يُذكر أن "أوتنابشتم" (Utnapishtim) بطل قصة "الطوفان" رسا هو الآخر فوق جبل، ثم أرسل طيور على ثلاث فترات مختلفة لنفس السبب الذي أطلقها لأجله "نوح". ومثل هذا الدليل يدفع بنا للظن بأن كاتبا أسطورة "جلجامش" و"الكتاب المقدس" إشتركا في مصدر واحد لهذه القصة.

لكن الفروق بين قصتا الطيور في ملحمة "جلجامش" وقصة "نوح" مربكة بعض الشيء. ففي ملحمة "جلجامش" أطلق "أوتنابشتم" ثلاثة أنواع مختلفة من الطيور في الترتيب التالي: حمامة، ثم سنونو، ثم غراب. لكن "نوح" أطلق أربعة طيور على ثلاثة مرات. فأولاً أطلق حمامة وغراب، فعادت الحمامة لكن الغراب لم يعد وتابع تحليقه. أطلق "نوح" بعد ذلك نفس الحمامة مرتان أخرتان. لماذا أطلق الطير أربع مرات في سفر "التكوين" وثلاث مرات فقط في ملحمة "جلجامش"؟

توضح تلك التضاربات المشاكل التي واجهت المنقح التوراتي. فمن ناحية كان هناك

القصة المصرية ذات الطائر الواحد الذي حلق فوق "الطوفان"، ثم هناك القصة الأخرى من حضارة "بلاد الرافدين" التي حوت ثلاثة طيور أطلقوا فعاد إثنان منهم. بجمعهم نحصل على أربعة طيور طار إثنان وعاد إثنان.

وضع المنقح التوراتي الأربعة طيور في نسخته المنقحة لكن الغراب كون مشكلة خاصة بالنسبة له. ففي ملحمة "جلجامش" أطلقت حمامة في بداية التسلسل وأطلق غراب في نهايته؛ فعادت الحمامة و لم يعد الغراب. وفي سفر "التكوين" أطلقت حمامة مع الغراب وكما ملحمة "جلجامش" عادت الحمامة و لم يعد الغراب. لكن في ملحمة "جلجامش" يطلق طائر "سنونو" أيضًا ولا يوجد مثله في سفر "التكوين"، فعوضًا عن ذلك يطلق "نوح" الحمامة مرتان.

لابد أن المنقح التوراتي قابل أكثر من مصدر واحد للأسطورة البابلية، نسخة منهم تعرض الرواية المعتادة التي تحوي الحمامة والسنونو والغراب، وأخرى كانت فيها الطيور غير معرفة أو كانت كلها من الحمام. فكما بلغنا من كتابات القس "بيروسس" (Berossus) الذي عاش أيام "الإسكندر الأكبر" (Alexander the great) أن إحدى الروايات ذكرت إطلاق ثلاث مجموعات من طيور غير محددة الهوية.

بالنسبة للمصدر المصري كان الطائر، الذي لم يعد هو طائر "البنبن" والذي حددة المصريون كطائر البلشون، فكان تصرفه مختلفًا عن طيور الأسطورة البابلية، خصوصًا وأنه لم يكن في حاجة للبحث عن أي أرض يابسة. فلقد ظل محلقًا حتى برزت الأرض البدائية لأول مرة.

وبسبب ما تناهى للكاتب التوراتي من حتمية وجود غراب في القصة وفق إحدى الروايات البابلية وأن ذلك الغراب لن يعود، استبدل بلشون الأسطورة المصرية بالغراب البابلي تاركًا إياه محلقًا حتى عثوره على أرض يابسة يهبط عليها.

الأسطورة رقم 35
جرت أحداث الطوفان أيام الجيل العاشر للبشر

الأسطورة: "وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين 7: 6)

الواقع: دفع منقحي "الكتاب المقدس" بقصة "الطوفان" من اليوم الأول من "الخلق" حتى عصر عاشر جيل من البشر بغرض مطابقة العقائد البابلية.

جعل سفر "التكوين" "نوح" في عصر عاشر جيل منذ "آدم" وجعل "الطوفان" في العام الستمئة من عمر "نوح". وإننا لنعرف من تأريخ سفر "التكوين" (باللغة العبرانية) بأن "الطوفان" حدث عام 1,656 بعد ميلاد "آدم" ولكن بسبب تضاربات وإختلاطات المعلومات المتعلقة بالخروج من "مصر" (انظر اسطورة رقم 72) لا يمكننا تحديد العام الذي خلق فيه "آدم". مع ذلك فوفق القياسات المقبولة يرجع تاريخ ظهورة لفترة بين عامي 4004 ق. م. وعام 3761 ق. م. أما التاريخ الأخير فقد جاء من العقائد اليهودية، في حين أن التاريخ الأول نتاج لحسابات الأسقف "أوشر" (Ussher) من القرن السابع عشر. تقول بعض الترجيحات الأخرى بأن تاريخ "الطوفان" يعود للفترة ما بين 2348 ق. م. و2105 ق. م. وهي ترجيحات غير معقولة.

يعود تاريخ أول الأسر الملكية المصرية لحوالي عام 3,100 ق. م. ووفقًا لكم الكتابات الأركيولوجية من "مصر" و"الشرق الأدنى" و"الشرق الأوسط" يأتي الرهان على عدم وجود أي "طوفان" عالمي (على الأقل ليس في الشرق الأدنى الأعظم) بعد بداية عصر الأسر المصرية الأولى. لذا فعلى أساس الدلائل الأركيولوجية فقط لا يمكن للطوفان التوراتي أن يكون قد حدث في أي من التورايخ المذكورة بالنسبة لـ"نوح".

وحيث أن "الكتاب المقدس" يحدثنا عن نشأة "موسى" في كنف الأسرة الملكية المصرية كطفل متبنى، يكون من المؤكد أنه تلقى تعليم مصري ومن هنا كان لابد له من أن يكون على دراية بالتاريخ المصري من الأسرة الأولى وحتى زمانه. وإن كان لنا أن نصدق بوجود أي "طوفان" عظيم، كان سيتحتم عليه ذكره قبل الأسرة المصرية الأولى وليس في زمان "نوح".

وكما رأينا في الأسطورتين رقمي 32 و33 نشأت قصة "نوح" عن الأسطورة الهيرموبوليتية التي وقعت قبل ظهور البشر. لذا، ما الذي دفع منقحي التوراة لتغيير إطارها

الزمني؟ توجد الإجابة في إحدى القوائم الملكية السومرية المصحفّة التي سجلت تسلسل الملوك الذين حكموا "بلاد الرافدين"، من قبل ومن بعد أسطورة "الطوفان" البابلي.

يأتي في بعض قصص "الطوفان" الرافدية أن هذا الغمر حدث قبل "الخلق" بزمن طويل. إحدى الوثائق السومرية التي تعود لعام 2000 ق. م. تضع لنا قائمة بأول ثمانية ملوك لـ"سومر" (Sumer)، إمتدت فترة حكمهم طيلة 241,000 عام وخلال فترة حكم الملك الثامن وقع "الطوفان". لكن في نسخة متأخرة من تلك القائمة الملكية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد تجري أحداث "الطوفان" خلال حكم عاشر ملك وهو المدعو "زيسوثروس" (Xisouthros) وذلك بعد مرور 432,000 على بداية العصور الملكية. لا يظهر "زيسوثروس" في القوائم السومرية القديمة، لكن هذا الإسم يبدو كنطق هيلليني لإسم "زيو سيودرا" (Ziusdra) أحد أبطال قصة "الطوفان" البابلي. (إننا لم نتمكن من تحديد الوقت الذي تبدلت فيه اسماء الملوك السومريون في تلك القوائم. مع أن الثابت هو أنها حدثت خلال الفترة ما بين عامي 2000ق. م. و400 ق. م.، فلو حدث وعرفت هذه المعلومة لكان لها أكبر الأثر في تحديد تواريخ كتابة النص التوراتي.)

على حين ترجع النصوص البابلية حدوث "الطوفان" لفترة سابقة على "نوح بعشرات الآلاف من السنين، يظهر لنا إلحاق زمن حدوث "الطوفان" بالعصر الملكي العاشر توازيًا مع تموضع عصر "نوح" في الجيل العاشر من البشر. أما عدد الأعوام 432,000 من القائمة الملكية السابقة الذكر فكما سيتكشف لنا تضيف توازيًا آخر من نص "الكتاب المقدس" بتلك القائمة الملكية.

لقد استخدم البابليون في قوائمهم أزمنة هائلة بشكل يصعب تصديقة، فوضعوا عشرات الآلاف من السنين لكل ملك من الملوك الأول. وقاموا أيضًا بتقسيم تلك الأطر الزمنية لوحدات أصغر، إحداها كان يسمى بـ"سار" (Saroi) وكانت تتكون من 3,600 سنة. من هنا فإن الفترة الزمنية 432,000 سنة تساوي 120 سار. يذكرنا هذا بقول الرب "فَقَالَ الرَّبُّ لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً" (تكوين 6: 3).

ما معنى قول "وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً"؟ إحدى التفسيرات هي أن الفترة 120 عام كانت أطول عمر متاح للبشر. لكن، بعد "الطوفان" عاش العديد من الأجيال لفترات زمنية أطول من 120 عام، لذا فهذا الإحتمال غير صحيح. تفسير آخر يقول بأن هذا كان تحذير

بمجيئ "الطوفان" بعد 120 عام. كان هذا سيكون صحيحًا إذا تحولت الـ120 سنة إلى 120 سار، فحينها سيقول التحذير بقدوم "الطوفان" بأن ذلك سيحدث بعد 120 سار من عصر أول الملوك. لم يكن للتسلسل التوراتي أن يحتمل كل هذه الفترات الزمنية المهولة لذا استخدم المراجعون السنين بدلاً من السار ليتلاءم مع السرد التاريخي الموجود في سفر "التكوين".

الأسطورة رقم 36

فسدت الحياة على الأرض فوجب إهلاكها

الأسطورة: "وَفَسَدَت الأَرْضُ أَمَامَ الله، وَامْتَلأَت الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ." (تكوين 6: 11 – 13)

الواقع: تجمع فكرة فساد الأرض وإهلاكها ما بين شكل من أشكال الأسطورة المصرية المستقاة من "كتاب البقرة المقدسة" (The Book of the Divine Cow) والقصص البابلية حول إغراق البشر.

يعطي سفر "التكوين" تفسيران مختلفان لغضب الرب على الآدمية ولسبب بعثه بـ"الطوفان" على الأرض. ففي الإصحاح 6 من سفر "التكوين" يجيئ في الأيات 5 – 7 أن غضب الرب نشأ عن شرور وفساد البشر، لكن لسبب غامض قرر ألا يهلك البشر فقط وإنما الحيوان وزحافات الأرض والطيور أيضًا.

"وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ." (تكوين 6: 5 – 7)

يهتم سفر "التكوين" (6: 11 – 13) بفساد وعنف الأرض وليس بآثامها وشرورها، ثم يسقط ذلك على كل المخلوقات ولا يقصره على البشر، فيقول أن الأرض فسدت كلها وأن كل المخلوقات (ليس البشر فقط) قد أفسدوا طرق الرب.

لكن إحدى التفسيرين يشير لإصابة كل أشكال الحياة بخلل أخلاقي في حين يرجع التفسير الآخر وجود ذلك الخلل بين البشر فقط.

يعرض لنا "كتاب البقرة المقدسة" موقفًا مشابهًا للحالة الأولى. فيقول بأن البشر ثاروا على سلطان "رع" الذي كان الرب الأكبر. فوجه "رع" انتقامه للعناصر الفاسدة فقط. وبإيعاز من "نون" تجسد "الطوفان" البدائي، بعث الإله "رع" بالسماوات (في شكل الإلهة "حتحور" Hathor) لإهلاك أعدائه. وكما حدث في سفر "التكوين" ندم الإله على رده القاسي وأمر بالكف عن تدمير البشر. حوت القصة المصرية أيضًا طوفانًا متواضعًا، لكن الهدف منه كان إلهاء "حتحور" عن مهمتها الرئيسية وليس تدمير البشر. مع ذلك، فتصوير "نون" تجسد "الطوفان" البدائي في شكل المرشد لـ"حتحور" التي تمثل السماوات في تدمير الأرض يعطي صورة شاعرية قوية لإتحاد المياه العليا والمياه السفلى في تدمير البشر. تتناغم هذه الصورة مع تلك التي في "الكتاب المقدس".

"فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ." (تكوين 7: 11)

تتطابق القصة المصرية مع الجزء الذي يتناول شرور البشر؛ فلقد إزداد البشر في غيهم حتى وجب عقابهم. لكن "الكتاب المقدس" يتمادى في إدانة كل المخلوقات الحية بينما يقتصر العقاب في القصة المصرية على المذنبين فقط.

عدم التطابق هذا يرجع لمجهودات منقحي "التوراة" لإدماج الأساطير المصرية بالأساطير البابلية. ففي الإثنان يأتي ذكر زمان بعد "الخلق" غضب فيه الإله من البشر وحاول إهلاك جنسهم. لكن القصتان تختلفان.

ففي القصة المصرية كان البشر سيئوا النية في حين إنصب غضب الرب على الآثمين فقط. أما القصة البابلية فقد قرر الآلهة محو جميع اشكال الحياة من فوق كوكب الأرض. وللعجب، لا يقدم كاتب ملحمة "جلجامش" أي تفسير لهذا العمل التدميري." أيها المحارب، أيها الحكيم بين الآلهة، كيف، آه كيف دونما ترو، جلبت هذا الطوفان؟"

تزودنا نسخة قديمة من قصة "الطوفان" البابلي وتدعى "أتراحاسيس" (Atrahasis) بالسبب الغائب: فالإنسانية قد غدت مزعجة بالنسبة للآلهة وقد بعثوا الضيق في أنفسهم. وعلى ذلك أطلق الإله الأكبر الطوفان كي يمحو كل أشكال الحياة من على وجه الأرض.

ولأن قصة "الطوفان" البابلية وصفت هلاك كل الحياة الأرضية ما عدا تلك التي بقيت على ظهر الفلك، صار لزامًا على محرري "التوراة" أن يغيروا من نهاية الرواية المصرية التي يدمر بها "رع" الآثمين فقط إلى تلك التي تدمر فيها كل أشكال الحياة ما عدا هؤلاء المحمولين على ظهر سفينة "نوح". لذا ففي الصياغة النهائية لأسطورة "الطوفان" جمع منقحي "التوراة" أجزاء من كلتا القصتان المصرية والبابلية.

الأسطورة رقم 37

وتزوج بنو الله من بنات الناس

الأسطورة: "انَ في الأَرْضِ طُغَاةٌ في تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسم." (تكوين 6: 4)

الواقع: تصف تلك القصة حالة "مصر" السياسية خلال المملكة الوسطي (2300 ق. م. – 2040 ق. م.)

وضع منقحي التوراة تاريخ حدوث "الطوفان" ما بين 2348 ق. م. و2105 ق. م. وهذا الإطار الزمني يقع خلال عصر الدولة الوسطى في "مصر"، الذي كان عصر ملئ بالفوضى والفساد والحروب الأهلية. فكما جاء في إحدى البرديات:

"النشاب على أهبة الإستعداد. والآثمين في كل مكان. فرجال الأمس ذهبوا. يخرج المرء للفلاحة مرتد درعه. الأخ يقتل أخاه ابن أمه. ويتربص بالمرتحل الذي أدركه الليل رجال لينهبوا حمله. اللص مالك ثروة. وصناديق الأبانوس محطمة. وخشب الأكاسيا الثمين ممزقًا إربًا."

حينذاك كان قلب مشاكل "مصر" السياسية يكمن في السلطة المتناقصة لملوك "ممفيس" الحاكمين وصعود ثورات القادة العسكريين المحليين من مدينة "هيرقليوبوليس" (Herakleopolis). ولقد حصل المعارضين على القوة الكافية لإعلان أنفسهم ملوكا شرعيين لـ"مصر"، لكن المؤرخون المصريون اللاحقون إعتبروا الأسرة الهيرقليوبوليتية غير

شرعية، حتى أن العديد من القوائم الملكية المصرية حذفتها من سجل الملوك المصريين.

يمثل الملك في المعتقدات المصرية، تجسدًا للإله "حورس"، الإله الشمسي الذي حكم "مصر" خلفًا لوالده "أوزوريس"، لذا فأي معارضة لسلطة "حورس"/ "فرعون" تعد تحديًا للنظام الطبيعي للكون. كان المصريون من المحافظين في تقاليدهم فلم يكن من السهل عليهم تقبل التغيير. ولقد كانت "ممفيس" مقر العرش الملكي لما يقرب من ثمنمئة عام عندما حاول الهيرقليوبوليتيون تحديها في أحقيتها في الحكم. كان لابد لإدعاءات المعارضة أن تبنى على أساس حجج لاهوتية وسياسية. فلاهوتيًا كان لابد لأهل "هيرقليوبوليس" أن يثبتوا أن ملوكهم وليس ملوك "ممفيس" من تحدروا من نسل "حورس". أما سياسيًا فكان عليهم أن يجدوا صيغة منطقية لإدعاءاتهم. ولقد كانت أقصر الطرق لتوحيد الحجتين هو جمع الأسرتان الحاكمتان في "ممفيس" و"هيرقليوبوليس" في زواج ملكي. حيث يمكن أن يتوفر لنسلهما الأساس اللاهوتي والسياسي اللازم لمنافسة أي وريث آخر ممن له التفضيل في "ممفيس".

يعود بنا هذا لسفر "التكوين" الذي يضع تاريخ "الطوفان" وعصور الفساد السابقة علية خلال عصر الدولة الوسطى في "مصر" (2300 ق. م. – 2040 ق. م.) ثم يحدد في الإصحاح (6: 5) أن رغبة الرب في إهلاك البشر نبعت من شرهم. لكن قبل هذه الآية مباشرة يعرض لنا سفر "التكوين" مقدمة قصيرة حول سبب تدهور الأحوال هكذا. فلقد تزوج "أبناء الله" من "بنات الناس" فأنجبوا أطفالاً. هذا النسل صار فاسدًا وآثمًا.

من كانوا أبناء الله ومن كانت بنات الناس؟ التفسير المعتاد هو أن أبناء الله هم نسل "شيث" (ثالث أبناء "آدم" و"حواء" ومؤسس الشعب العبراني) وبنات الناس هن نسل "قابيل". لذا فالزواج تسبب باختلاط النسل المبارك بالنسل الملعون، لكن إذا نظرنا للقصة في السياق المصري سنجد تفسيرًا أكثر إقناعًا.

فأبناء الله سيكونون أبناء حكام "مصر" من الفراعنة، بمعنى أبناء "حورس". وبنات الناس سيكونن بنات العائلات الغير ملكية. خلال الدولة الوسطى الأولى تحدى أهل "هيرقليوبوليس" حق "ممفيس" في العرش. وخلف ذلك التحدي كان هناك زواج ما بين ابن من العائلة الملكية في "ممفيس" وإبنة من العائلة الملكية في "هيرقليوبوليس". وعندما مات الفرعون تنافست الشيع من "ممفيس" و"هيرقليوبوليس" على وراثة الحكم. وكنتيجة للفراغ السياسي تصاعدت المطالبات بالملك وامتدت حقبة من الفساد والفوضى والحرب الأهلية.

تلك الأحداث وجدت طريقها لسفر "التكوين" حيث أصبحت قصة أبناء الله وبنات الناس.

الأسطورة رقم 38
وأنقذ نوح إثنان من كل صنف حي

الأسطورة: "وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. " (تكوين 6: 19)

الواقع: لدى سفر "التكوين" بعض الإدعاءات المتضاربة فيما يخص عدد الحيوانات المحمولة على ظهر سفينة "نوح".

معظمنا قرأنا بأن "نوح" جلب صنفان من كل نوع إلى ظهر سفينته بغرض إنقاذهم ليتكاثروا بعد انتهاء "الطوفان" لكن سفر "التكوين" يحتفظ بزعم مخالف حول عدد الحيوانات المحمولة فوق ظهر السفينة. فيقول سفر "التكوين" (7: 2 – 3):

"مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْلٍ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. "

يلوح هذا التناقض بسبب التضاربات الدينية حول حيوانات الأضاحي. فكتبة المصدر "اليهوي" يؤمنون بالقرابين الحيوانية. في حين أن كتبة المصدر "الكهنوتي" لا يؤمنون بذلك.

لقد قام نوحُ بتقدمة الأضاحي للرب بعد انتهاء "الطوفان". ولو أنه لم يملك سوى إثنان (ذكر وأنثى) من كل صنف حيواني لكان من المستحيل على الصنف الحيواني الذي قدم منه القربان أن يتكاثر ويتناسل. لذا وجب أن يكون هناك ما يزيد عن هذا العدد. وحيث أن كتبة مصدر "الكاف" لم يؤمنوا بالقرابين الحيوانية فقد اكتفوا بالعدد الأساسي لزوج من ذكر وأنثى من كل نوع لغرض التكاثر.

على أية حال، لماذا وجب إنقاذ أي حيوان؟ فكما نعلم من الإصحاح الأول لسفر

"التكوين" الرب قادر على خلق الحيوان من الماء ومن الإصحاح الثاني، نعلم بأن في إمكانه خلق الحيوان من الأرض. وبعد "الطوفان" كان يمكن للرب أن يخلق ما يشاء من الحيوان.

الأسطورة رقم 39
واستمر المطر لأربعين يوما وأربعين ليلة

الأسطورة: "لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ.... وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً." (تكوين 7: 4 ، 12)

الواقع: يختلف المصدران "اليهوي" و"الكهنوتي" حول موعد توقف المطر. فيقول مصدر "الياء" بحدوثه بعد 40 يوم في حين يقول مصدر "الكاف" أنه بعد 150 يوم.

لقد إستعان حفظة "التوراة" بتأريخان مختلفان للطوفان، أحدهما من مصدر "الياء" والثاني من مصدر "الكاف". وفق مصدر "الياء" استمر المطر لمدة 40 يومًا. ووفق مصدر "الكاف" إستمر 150 يوم.

يقول سفر "التكوين" (7: 12) أن المطر استمر 40 يومًا ويقول سفر "التكوين" (7: 19) أن "الطوفان" لبث على الأرض 40 يومًا. ثم يقول سفر "التكوين" (8: 6) أن 40 يومًا كان قد مضى عندما فتح "نوح" نافذة على ظهر السفينة حتى يطلق الطيور. وبينما يمكن للأربعين يومًا، في القصص الثلاثة السابقة، أن يكونوا نفس الفترة المذكورة في النص، يظهر السياق أنها فترات متعاقبة. وبشكل مشوق يظهر ناتج جمعهم 120 يوم في نفس طول فترة الفيضان في التقويم الشمسي المصري.

هناك أيضًا بعض الفقرات المختلطة بتلك الآيات الثلاث التي تتحدث عن تأريخ "الطوفان" حسب التسلسل الزمني. فيقول سفر "التكوين" (7: 24) أن المياه قد سادت لمدة 150 يوم وبعدها بآيتين تقول "وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ." (تكوين 8: 2) وبقراءة القصة في ترتيب تسلسلها الزمني، الذي أراده الحفظة التوراتيين، نجد أن فترة الـ150 يوم قد مرت بينما إزداد عمق المياه ثم توقفت الأمطار.

هناك فترتان مختلفتان من المطر لأن حفظة "التوراة" استعانوا بقصتان مختلفتان. في القصة الأولى المستقاة من مصدر "الياء"، وضعت قصة "الطوفان" وفق التقويم الشمسي المصري، الذي قسمه المصريون إلى ثلاثة فصول مكونة من 120 يوم، أحدهم كان فصل الفيضان، بالإضافة لخمسة أيام تضاف لنهاية السنة. أما القصة الأخرى المستقاة من التقويم الشمسي–القمري المصري، وهو تقويم كانت دورته تستمر لمدة 25 عامًا، تحتوي على 309 شهر كامل.

يمكن للتعارض بين المصدرين أن يظهر أكثر في المزاعم الخاصة بالوقت التي جفت الأرض فيه. فسفر "التكوين" (8: 13) يقول أن الأرض جفت بعد أول يوم من أول شهر من العام 601 من عمر "نوح". وفي الآية التالية لتلك الآية يقول أن الأرض جفت في اليوم الـ27 من الشهر الثاني من العام الـ601 من عمر "نوح". حدث بعض من هذا الخلط بسبب وقوع فترة الجفاف الأولى في اليوم 309 من التأريخ حسب التسلسل الزمني لمصدر "الياء" الذي يرسم علاقته بالتقويم الشمسي–القمري لكن في نفس الوقت يسم الـ360 يوم بعد عيد ميلاد "نوح" الستمئة في التأريخ، حسب التسلسل الزمني، لمصدر "الياء" لذي يعلم صلته بالتقويم الشمسي.

الأسطورة رقم 40

وغطي الطوفان كل الأرض والجبال

الأسطورة: "خَمْسَ عَشَرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ." (تكوين 7: 20)

الواقع: إن عمق يبلغ خمسون ذراعًا يساوي خمس وعشرون قدمًا تقريبًا. هذا يكفي لغمر الأرض لكنه لا يكفي لتغطية الجبال.

مع أن سفر "التكوين" يقول أن إرتفاع مياه "الطوفان" كانت كافية لتغطية الجبال إلا أنه يقول بأن إرتفاعها كان حوالي خمسة عشر ذراعًا. والذراع يساوي خمسون سنتيمترًا وحوالي عشرون بوصة. لذا فالخمسون ذراعًا تساوي خمس وعشرون قدمًا تقريبًا، وهذا ليس إرتفاعًا كافيًا لتغطية تلة عالية فما بالنا بجبل.

إن تضارب الرؤيتان، القائلة بوجود "طوفان" عالمي غَمَر الجبال والقائلة بوجود"طوفان" ضحل يرتفع علو خمس وعشرون قدمًا، نبعث من أن إحدى هاتان القصتان الموجودتان سفر "التكوين" كتبت على أساس التقويم الموسمي الذي ينسب لموسم الفيضان السنوي الذي يغمر ضفاف نهر "النيل" في حين ترمز القصة الأخرى للإله "نون" تجسد الفيضان في الأساطير المصرية.

الأسطورة رقم 41

بعد الطوفان، قدم نوح قرابين من الحيوانات الطاهرة

الأسطورة: "وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ،" (تكوين 8: 20)

الواقع: لم يستطع "نوح" تقديم قرابين من كل أصناف الحيوانات الطاهرة لأنه كان من الضروري لبعضها أن تتناسل.

جلب "نوح" سبعة أزواج من كل أصناف الحيوانات الطاهرة على ظهر سفينته، وطاهرة هنا بمعنى أنها ملائمة للتقدمة كقرابين. يقول سفر "التكوين" في الإصحاح (8: 20) أنه بعد إنتهاء "الطوفان" قدم "نوح" كل الحيوانات الطاهرة كقرابين. وبما أن الحيوانات الطاهرة بقيت حتى الآن، لم يكن في إمكان "نوح" تقديم كل أنواعها للمذبح كقرابين.

الأسطورة رقم 42

وفنت كل المخلوقات التي لم تحمل على ظهر سفينة نوح

الأسطورة: "فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ." (تكوين 7: 23)

الواقع: نجا من "الطوفان" جنس من الجبارين يدعى "عمالقة" (Nephilim).

قبل وقوع "الطوفان" يقول "الكتاب المقدس" بوجود جنس يدعى بالجبابرة (انظر تكوين 6: 4). فترجمة الكلمة العبرانية (Nephilim) تعني "عملاق". وفي سفر "العدد" إصحاح 13: 33 يجيئ أن "بنو إسرائيل" رأوا "العمالقة" بعد خروجهم من "مصر"، وهم بنو "عناق" (Anak) الذين تحدروا من العمالقة. وثانية تأتي كلمة "عمالقة" كترجمة للكلمة (Nephilim). مما يجعل أمامنا جنس من العمالقة قبل "الطوفان" وآخر في عصر "موسى". وبما أنه لم يوجد أي "عمالقة" على ظهر سفينة "نوح" يحق لنا أن نسأل كيف تمت لهم النجاة؟ بعض الأفكار الشعبية تقول بأنهم تعلقوا بالفلك أثناء "الطوفان" فطفوا معه، لكن النص التوراتي يؤكد أن "نوح" وصحبته على ظهر السفينة كانوا كل من نجا. لذلك فلو أن "العمالقة" تمكنوا من النجاة لربما تمكن آخرون من ذلك أيضًا.

الأسطورة رقم 43

وبلبل الرب لسان البشر وبددهم على وجه الأرض

الأسطورة: "وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا. فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. وَقَالُوا هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ. فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا "بَابِلَ" لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ." (تكوين 11: 1 – 9)

الواقع: لقد سبق وتحدث أبناء "نوح" بلغات مختلفة قبل أحداث تلك الرواية، حيث عاشوا في بلاد مختلفة.

تبدأ قصة "الكتاب المقدس" حول برج "بابل" بزعم أن العالم كله كان يتكلم لسانًا واحدًا. ثم تقول "فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. " لكن من هولاء الـ"هـم" المذكورين في القصة؟

المفترض هو أن هؤلاء كانوا نفس البشر المذكورين في الفقرة السابقة. هذا سيعني أنهم كانوا "مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَ الطُّوفَانِ." (تكوين 10: 1) يقسم الإصحاح العاشر في سفر "التكوين" نسل "نوح" لثلاثة فروع، كل فرع مقترن بابن من أبنائه ووفق الرواية أسس هؤلاء الأبناء أمم عديدة تحدثت بألسن مختلفة. فمثلاً يقول "الكتاب المقدس" عن أبناء "يافث": "مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ." (تكوين 10: 5)

وبجانب سرد أنساب "نوح" الذي يزعم بـ" ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا " لا نملك أي سابقة على ذكر كنه "هـم" المذكورين. وحيث أن الإصحاح العاشر من سفر "التكوين" يسجل أن العالم قد سبق له الإنقسام في عدة أمم تكلمت بألسن مختلفة، نتوصل إلى أن قصة برج "بابل" المذكورة في (تكوين 11: 1) تتناقض مع السابق في قولها بأن العالم كله تحدث بلغة واحدة. كما يناقض سرد أنساب "نوح" الذي يقسم عائلته في عدد من الأمم، الوهم القائل بتفرق العالم لأمم بعد بناء البرج الصاعد للسماوات.

الأسطورة رقم 44

واستقر الفلك على جبال أراراط

الأسطورة: "وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ." (تكوين 8: 4)

الواقع: يرمز الجبل المذكور في قصة "الطوفان" للجبل البدائي في الأساطير المصرية. فبعد أن انتقل "بنو إسرائيل" إلى "كنعان" أبدلوا موقع الأحداث إلى جبل "أراراط" (Ararat) الذي آمنوا بأنه أعلى قمة في العالم.

وفق رواية سفر "التكوين" (8: 4) استقرت سفينة "نوح" على قمة جبل "أراراط". بالنسبة للعديدين كان موقع رسو سفينة "نوح" هو جبل "أراراط"، لكن "الكتاب المقدس" يقول أنه حدث على قمة من قمم جبال "أراراط"، فهو لا يحدد أيهم. في المنطقة التي تضم الحدود الحديثة لـ"تركيا" و"روسيا" و"إيران" و"العراق".

مع ذلك يلمح سفر "التكوين" (11: 2) إلى أن الناجون من "الطوفان" رسوا في موقع بعيد كل البعد عن هذا المكان. فوفقًا للآية رحل الناجون غرباً من موقع موجود شرق "بابل" حتى وصلوا إليها. ولقد حدث في أرض "شنعار" (Shinar) أن أثار الناجون غضب الرب بمحاولاتهم لبناء برج "بابل".

ويقع جبل "أراراط" شمال غرب "بابل". مما يعني أنه كان على الناجون أن يرحلوا نحو الجنوب الشرقي لجبل "أراراط" وليس غربه، لبلوغ "شنعار".

فإذا كنت على قمة جبل "أراراط" لا يمكنك بلوغ "شنعار" بالإتجاه غربًا وإنما يجب أن تتجه نحو الجنوب الشرقي. لذا فقدوم النازحين من الشرق تعكس أن أصول قصة "الطوفان" هو شكل من أشكال أسطورة "الخلق" الهيرموبوليتية. ففي القصة المصرية يظهر الإله "رع" في شكل طفل يطفو على نبات اللوتس. وعندما بلغ أشده بدأ عملية "الخلق". ولقد كانت صيغة تلك الأحداث تعني انتقال الطفل "رع" نحو الغرب فوق نبات اللوتس، وخلال الرحلة، يشب رع بينما الشمس تتابع رحلتها عبر السماء.

فكان الجبل الذي رسا فوقه الفلك هو الجبل البدائي المذكور في الأساطير المصرية، الذي أتم الإله الخالق خلقه من فوق قمته. وعندما كف حفظة "التوراة" عن تعريف قصة "الطوفان" بأسطورة "الخلق" المصرية نقلوا مكان الجبل لحيث المكان الذي ظنوا بأنه أعلى الأماكن على الإطلاق. وحيث أن اسم الجبل في القصة التوراتية يختلف عن الإسم المذكور في الأسطورة البابلية، فمن المرجح أن التغيير الذي دفع بالموقع من "مصر" إلى جبل "أراراط" حدث في وقت سابق على غزو "بابل" لمملكة "إسرائيل" في عام 587 ق. م.

الأسطورة رقم 45
ومن أبناء نوح خرجت كل أمم الأرض

الأسطورة: "هؤُلاَءِ قَبَائِلُ بَنِي نُوحٍ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتِ الأُمَمُ فِي الأَرْضِ بَعْدَ الطُّوفَانِ." (تكوين 10: 32)

الواقع: لقد أضيفت قائمة الأمم التي خرجت من نسل "نوح" إلى سفر "التكوين" في عصر متأخر، ويعكس هذا شكل العلاقات السياسية التي قامت خلال الألفُ سنة الأولى قبل الميلاد.

يسجل الإصحاح العاشر من سفر "التكوين" ثلاثة فروع لنسل "نوح"، لكل ابن من ابنائه الثلاث فرع منهم. ويميل "الكتاب المقدس" إلى تخصيص نسب وراثي مستقل لكل ابن من الأبناء المذكورين. فيرتبهم في قوائم تدعى بـ "ثبت الأمم" (Table of Nations) أو "شجرة الأمم" (Family of Nations).

تشير العديد من الأسماء المذكورة في تلك القوائم لشخصيات ولمناطق معروفة، لكن معظم الأسماء لم يكن في الإمكان إرجاعها لموجودات محددة. فمعظم اسماء الأماكن الغير معرفة تصنف على أنها من "بلاد العرب" (Arabia). وهذا في حد ذاته يضعنا أمام معضله فها هو "ثبت الأمم " الذي في "الكتاب المقدس" مثقلاً بأسماء قبائل عربية غامضة ليس لها أي تأثير على التاريخ التوراتي.

وبشكل أشمل ترمز تلك الفروع الثلاث لثلاثة مناطق جغرافية رئيسية. أما "حام" ونسله فيرمزون لـ"إفريقيا" و"كنعان"؛ وأما "سام" ونسله فيرمزون لـ"الشرق الأدنى"؛ في حين يرمز "يافث" ونسله للأقوام النائية في منطقة "البحر المتوسط" وبعض مناطق "أوربا".

إن إحدى الصعوبات التي قد تواجهنا كي نقبل بأن شجرة أنساب "نوح" هي "ثبت الأمم"، يكمن في تكرار بعض الأسماء في القائمة. فـ"حويلة" على سبيل المثال يذكر كإبن لـ"كوش" (بمعني إثيوبيا) من ضمن نسل "حام"، لكنه ياتي أيضًا كابن لـ "يقطان" (Joktan) الذي ينتمي لنسل "سام" مما يجعل المناطق المرادفة للإسم هي "إفريقيا" و"آسيا" في نفس الوقت.

وعلى نفس المنوال يظهر "سبا" (Seba) كحفيد لـ"كوش" وفي نفس الوقت إبن

لـ"يقطان". وكذلك لـ"كوش" أخ بإسم "سبا". إضافة إلى أن الإسم "سبا" مطابق لغويا للإسم "شبا" (Sheba).

يقع تطابق آخر في الإسمين "لود" (Lud) ابن "سام" و"لوديم" حفيد "حام". ففي اللغة العبرانية يستخدم المقطع "يم" ليدل على الجمع. وعندما يضاف إلى اسم أمة فهو دلالة على قومها. لذا فالفرق بين"لود" و"لوديم" هو الفرق بين "مصر" و"مصرايم– أو مصريون".

وفي تطابق مشابه يتشابه الإسمان "ددان" (Dedan) حفيد "كوش" و"دودانيم" (Dodanim) ابن "ياوان" (Javan) المنتمي لنسل "يافث". ولقد كانت عبرانية اللاهوت خالية من الحروف المتحركة لذا فالإسم المكتوب لـ"ددان" كان سيبدو "ددن" (Ddn) و"دودانيم" سيبدو "ددنم" (Ddnm) وهذا سيكون جمع كلمة "ددن".

إن عثورنا على هذا القدر من التطابقات في قائمة النسب تشي بأنها مصطنعة. لكن بعض الدلائل تشير أيضًا إلى أنها وضعت في عصر متأخر.

لربما أغرب ما في "ثبت الأمم" هو تناوله لـ"بابل"و"آشور". فنحن لا نجد أي ذكر لـ"بابل"، تلك القوة الكبرى التي عرفت بأنها ضمن نسل "نوح". على اليد الأخرى تظهر "آشور" كأحد أبناء "سام" (إسمه "آشور") ووفق هذه القصة قام "نمرود" (Nimrod) ابن "كوش" (أثيوبيا) بغزو أربع مدن هي " "بابل" (Babel) و"أرك" (Erech) و"أكد" (Accad) و"كلنه" (Calneh)، في أرض شنعار " (تكوين 10: 10) فهذة المدن الأربع تنتمي لمحيط "بابل" (Babylon) لكننا لا نجد في "ثبت الأمم" أي إشارة لصلتهم بأبناء "نوح". مع ذلك فالرواية تقول بأن "آشور" (مملكة آشور Assyria) خرج من أرض "شنعار" وأسس مدن "مملكة آشور" الرئيسية.

يبقى النص غامضًا بشأن ما إذا كانت "مملكة آشور" تحكمت في "بابل" أم أن "بابل" هي التي تحكمت في "مملكة آشور". لكن أغلب الظن أن هذا النص لا يحسن تصوير العلاقة التي قامت بين هاتان المملكتان طيلة آلاف السنين بعد "الطوفان". فلم يحدث قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد أن إستطاعات "آشور" أن تكون المملكة الأولى التي تخضع الأخرى لسطانها. ولكن وفي القرن السابع قبل الميلاد إستطاعت "بابل" هزيمة "آشور". إن الوصف التوراتي للموضوع مجرد غربلة للتاريخ أدت لإختلاط العديد من الحقائق التاريخية.

إن العديد من اسماء الأقوام المذكورة في القائمة كقوم "ماداي" (Madai) (الميديون Medes) و"ياوان" (الأيونيون Ionians) و"ترشيش" (Tartessos) لم يكن لهم وجود

كقوى سياسية حتى الألف سنة الأولى قبل الميلاد، مما يعني أن جميع محتويات تلك القوائم تم جمعها خلال الألفية الأولى قبل الميلاد.

وما ذكر سابقًا ليس إلا جزء ضئيل من الهنات والسقطات والإستحالات التاريخية الموجودة في "ثبتِ الأمم"، مما يظهر أن تاريخ نسل "نوح" كتب خلال الألفية الأولى قبل الميلاد على أساس إنقسامات في الأنساب والعقائد الأسطورية.

الأسطورة رقم 46
وهزم نمرود بابل

الأسطورة: "وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ، الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. لِذلِكَ يُقَالُ كَنِمْرُودَ جَبَّارُ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. 10 وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَمْلَكَتِهِ بَابِلَ وَأَرَكَ وَأَكَّدَ وَكَلْنَةَ، فِي أَرْضِ شِنْعَارَ. " (تكوين 10: 8 – 10)

الواقع: تحتفظ هذه القصة بروح الأسطورة المصرية القديمة حول الفرعون "سيسوستريس" (Sesostris) الذي حكم "مصر" خلال الأسرة الثانية عشر.

تثير حيرتنا تلك القصة المختصرة التي تدور حول "نمرود" لأنها تقدم تاريخ مشوه تمامًا للشرق الأدنى خلال الألفية الثانية قبل الميلاد. (أنظر مناقشة الأسطورة رقم 45 حول "ثبت الأمم"). فكما تقدم، تحكي القصة أن "نمرود" كان ابن "كوش" وأنه أنشأ مملكة في مدن "بابل". يمثل "كوش" بلاد "إثيوبيا" الجارة الجنوبية لـ "مصر" ويجعله "الكتاب المقدس" ابنًا لـ"حام" الذي يرمز لـ"مصر" في "ثبت الأمم". تزعم القصة بأن أحد أبناء "مصر" ممن لهم علاقة بـ"إثيوبيا" أخضع مدن "بابل" خلال الألفية الثانية قبل الميلاد. لكن الدلائل التاريخية تنفي هذا الزعم.

لكن هناك تفسير أفضل يقول بأن "ثبت الأمم" استقي من العديد من الأساطير المختلفة حول أصل الأمم. ففي الحقيقة يذكر المؤرخ الإغريقي "هيرودت" (Herodotus) الملقب بـ"أبو التاريخ" أسطورة تدور حول فرعون يدعى "سيسوستريس" تقلد الحكم عام 1897 ق. م. تقريبًا خلال الأسرة الثانية عشر. وهذه الرواية تبدو كأنما بنيت على أساس نفس

الأسطورة التي خرجت منها قصة "نمرود" ،يثبت التسلسل التاريخي أيضًا تطابق "نمرود" و"سيسوستريس" مع "ثبت الأمم"، فالفترة التي ظهر بها "نمرود" هي نفس فترة حكم الأسرة الثانية عشر في "مصر" ووفق أقوال "هيرودوت" كان "سيسوستريس" هو الفرعون الوحيد الذي غزا "إثيوبيا". وعلى ذلك فقد قاد حملة عسكرية إلى "بلاد الرافدين" وعبر "آسيا"، فقهر كل قوم في طريقه حتى بلوغه "أوربا".

يقول "هيرودوت" بانه علم بشأن "سيسوستريس" من خلال مناقشاته مع العلماء المصريون. وكما يبدو كانت القصة من الأساطير الشعبية لدى المصريون. فالقصة تتبع ملك مصري قادم من "إثيوبيا" بعتاده الحربي حيث يعبر البلاد ليقهر "بلاد الرافدين" ثم يعبر بلاد "بابل" ويتجه نحو "آشور" ليتوقف في النهاية بداخل مكان ما في "أوربا". لابد لنا هنا من إضافة أن "إثيوبيا" سقطت في يد "مصر" خلال الأسرة الثانية عشر.

تتطابق أسطورة "سيسوستريس" مع قصة "نمرود" ففي كلتا القصتين يقوم أحد أبناء "مصر" بالتغلب على "إثيوبيا" ثم يتجه صوب "بلاد الرافدين" حيث يتغلب على "بابل" و"آشور".

يبدو أن الفارق الأساسي الوحيد بين القصتين هو اسم البطل. فـ "هيرودوت" وآخرون يعرفونه باسم "سيسوستريس" بينما يدعوه "الكتاب المقدس" باسم "نمرود". على كلٍ، لم يكن "سيسوستريس" اسمًا حقيقيًا. فلقد كان تحريفًا إغريقيًا للاسم "سونسرت" (Senusret, Senwosret). يشترك الاسم "نمرود" كما يبدو مع آخر جزء من اسم "سونسرت"، فالنطق العبراني لربما يكون تحريفًا بسيطًا عن الأصل المصري، مثلما كان "سيسوستريس" تحريفًا إغريقيًا.

الأسطورة رقم 47

وكان أبناء حام هم: كوش ومصرايم وفوط وكنعان

الأسطورة: "وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ." (تكوين 10: 6)

الواقع: يتوافق تسلسل النسب هذا مع أسطورة إغريقية تدور حول أصول أهل "دانوي" (Danoi) من الاغريق الذين هاجموا "طروادة" في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

يجعل "ثبت الأمم" من "حام" أب لأربع مدن هم "كوش" و"مصرايم" (Mizraim) و"فوط" (Phut) و"كنعان". وكما ذكر سابقًا فقد كان اسم "حام" مطابقًا لأحد اسماء "مصر" وهو "كيمي". أما أبناؤه فأسماؤهم تقترن بأقوام داخل الأقطار المصرية. فـ"كوش" هو الاسم القديم لـ"إثيوبيا" و"مصرايم" هو الإسم العبراني لـ"مصر" و"كنعان" كما هو جلي إشارة لأرض "كنعان".

لكن اسم الإبن الرابع لا يمكن التعرف عليه بسهولة لكنه غالبًا ما يساوى بإسم "ليبيا" وهذا يبدو عقلانيًا. فـ"ليبيا" كان الإسم الاغريقي المستخدم للإشارة لجميع دول""إفريقيا"" غرب "مصر".

وفي تسلسل الأنساب هذا نجد تخطيط جغرافي يجعل من "حام" مرادفًا لمنطقة "مصر" ومحيطها، حيث يمثل أبنائه الأربعة أربعة أقسام مختلفة من تلك المنطقة الجغرافية، فجنوبًا هناك "إثيوبيا" وغربًا "ليبيا" و"مصر" في المنتصف و"كنعان" نحو الشمال.

يتماشى تسلسل النسب المذكور في هذه القصة مع الأسطورة الإغريقية حول أصول أهل "دانوي" الإغريق الذين كتب "هومر" عن إنتصارهم على "طروادة" خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وفق القصة الإغريقية قام الإله "بوسيدون" (Poseidon) (إله البحار) بمعاشرة إمرأة تدعى "ليبيا" (Libya) فأنجبا توأمان هما "بيلوس" (Belus) و"أجنور" (Agenor). انتقل الأخير إلى "فينيقيا" (Phoenicia) حيث أصبح ملك عليها، فقد كان الإغريق يؤمنون بأنه مؤسس الجنس الفينيقي.

أصبح "بيلوس" ملك على "مصر" وبحسب المعتقدات الأسطورية كان لديه أربعة أبناء هم، التوأمان "دانيوس" (Danaus) و"ايجيبتوس" (Aegyptus) والإبنان الآخران "فينياس" (Phineas) و"سيفيوس" (Cepheus). ووفقًا للروايات الإغريقية كان "ايجيبتوس" ملكا لمصر و"دانيوس" ملكا لليبيا. وكان "سيفيوس" ملكا لإثيوبيا من فوق عرشه في "يافا" (Joffa) في أرض "كنعان". أما الإبن الرابع "فينياس" فكان اسمه يعني "الإثيوبي".

إشترك "بيلوس" و"حام" في العديد من الخصائص:

1 – فكان "بيلوس" ابن "بوسيدن" إله البحار وكان "حام" ابن "نوح" الذي نجا من "الطوفان" والذي اقترن بالإله "نون" المرادف للإله "بوسيدن" في الأساطير المصرية.

2 – كان لكل منهما أربعة أبناء، اقترن ثلاثة منهم بـ"مصر" و"إثوبيا" و"ليبيا".

3 – كان رابع أبناء "بيلوس" "سيفيوس" يعرف أحيانًا بأنه ملك "كنعان"، وكان رابع أبناء "حام" هو "كنعان".

4 – صور "بيلوس" كأخ للملك "كنعان" في حين كان نظيره التوراتي "حام" أب لـ"كنعان". مع ذلك فترتيب الأنساب في التوراة غامض، فكما رأينا في الأسطورة رقم 33 أحيانًا يشير النص التوراتي إلى أن "كنعان" أخ لـ"حام" وليس ابنًا له.

ومع أن علاقات النسب بين العائلتين تكاد تكون متطابقة إلا أن هناك فرق وحيد واضح. وهو أن ترتيب سفر "التكوين" يتتبع تطور الجنس البشري بعد "الطوفان". بينما تظهر الأسطورة الإغريقية التفاوتات الجيوسياسية للمنطقة. مع ذلك تظهر الإعتقاد الأولي بأن بلاد "مصر" تشترك في أخوة مع بلاد "ليبيا" و"إثيوبيا" و"كنعان".

في النهاية لابد لنا من الإشارة إلى أن إغريق "دانوي" الذين اختفوا من السجلات خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، كانوا يعدون من "الشعوب البحرية" الذين كانوا من حلفاء الإغريق (مثل "الفلسطينيون" philistines) الذين غزوا "كنعان" في القرنان الثاني والثالث عشر قبل الميلاد وقت استقر بها "بنو إسرائيل" بعد خروجهم من "مصر". مما يرجح أن الإغريق جلبوا تلك الأسطورة إلى "كنعان" حيث تبناها حفظة "التوراة" وأدمجوها في تاريخهم.

الجزء الثاني

أساطير آباء إسرائيل

أساطير آباء إسرائيل: نظرة عامة

كان "إبراهيم" (Abraham) وابنه "اسحاق" (Isaac) و"يعقوب" (Jacob) ابن "اسحاق" مؤسسي "إسرائيل" وقد كانوا يدعون بـ "آباء إسرائيل". كان لـ"يعقوب" الذي غير اسمة مرتين لـ"إسرائيل" اثنى عشر إبن من الذكور، كان أهمهم "يوسف" (Joseph) و"يهوذا" (Judah). ولقد أسس كل ابن من أبناء يعقوب سبط من أسباط "إسرائيل".

تبدأ قصة آباء "إسرائيل" بدعوة الرب لـ"إبراهيم" (الذي كان يدعى "ابرام" Abram) لترك مدينة "أور الكلدانية" (Ur of the Chaldees) التي كانت في "بلاد الرافدين" كي يذهب إلى "كنعان" "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ "مصر" إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ. " (تكوين 15: 18)

كان الهدف الأساسي من تاريخ "آباء إسرائيل" هو تتبع تحولات ذلك العهد القائم مع الرب من جيل إلى جيل. وعلى حين يردد سفر "التكوين" أو يلمح إلى أن العهد انتقل من "يعقوب" إلى "يوسف"، وأنه انتقل من "يوسف" إلى "افرايم" في جزء من القصة المعروفة بـ"مباركة يعقوب"، توجد بعض الإشارات التي تقول بأنه انتقل إلى "يهوذا". هذا الضرب من عدم التناغم الذي يبدو كواحد من ضمن كثر، يبدو كدليل على الخلافات المتأخرة بين مملكة "إسرائيل" (التي تزعمها "إفرايم") ومملكة "يهوذا" التي أثرت بشدة في رواية تاريخ الآباء.

يضع التاريخ التوراتي عصر آباء "إسرائيل" في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد. لكننا لا نملك أي أدلة مباشرة على هذا السجل التاريخي لوجود "آباء إسرائيل" أو أبناء "إسرائيل" الإثنى عشر. فالعديد من الأماكن والأقارب المتصلين بـ"إبراهيم" لهم اسماء تعود للألفية الأولى قبل الميلاد وقت كتبت هذه القصص. فكل ما نعرف عن "أباء إسرائيل" وعائلاتهم يعود إما لسفر "التكوين" أو للقصص والأساطير الشعبية.

عندما بلغ "إبراهيم" سن السبعين جلب زوجته "سارة" (Sarah) (التي كانت في البداية تدعى "ساراي" Sarai) وابن أخيه "لوط" (Lot) إلى "بلاد الرافدين" في "كنعان". حيث

وجدوا البلاد تكتنفها المجاعات التي امتدت حتى أرض "مصر".

أما في "مصر" فقد خشي "ابراهيم" أن يحاول الفرعون قتله ليتخذ من "سارة" زوجة ملكية له. لذا ادعى أن "سارة" هي أخته وليست زوجته، فصارت إحدى أفراد البلاط الملكي. ومع أن الفرعون كان يجهل أن "سارة" متزوجة إلا أن الرب أنزل غضبه على "مصر" كعقاب للملك المصري على إثمه مع زوجة "إبراهيم" وعندما علم الملك بحقيقة "سارة" أعادها لزوجها معوضًا إياه بثروة ضخمة وآمرًا له ولعائلته بالرحيل عن البلاد.

ومن ثم عاد "إبراهيم" إلى "كنعان". وعندما وصل إلى هناك قرر أن الأرض لم تكن كافية لإعالته هو وابن أخيه "لوط". لذا أعطى حق انتقاء الأرض لـ"لوط" ورضي بأخذ ما بقي له من أرض بعد انتقائه. فنظر "لوط" وقرر العبور إلى "شرق الأردن" (TransJordan) التي تقع على الحدود الشرقية لنهر "الأردن" حيث أقام مدينة "سدوم" (Sodom). وبقي "إبراهيم" في الجانب الكنعاني لأرض "الأردن".

ثم صارت مدينة "سدوم" مدينة بغي وفساد فقرر الرب تدميرها. لكن "إبراهيم" تدخل في الأمر فوافق الرب على أن يبقي عليها شرط أن يوجد بها عشرة من الصالحين. فذهب ملاكان لإستطلاع المكان متخفين في مظهر البشر فاستقبلهم "لوط" بترحاب. لكن بعد أن تعرضوا لهجوم من أهالي المدينة قرر الملاكان أن "سدوم" أخفقت في الاختبار فحذروا "لوط" وأمروه بأن يرحل من دون أن يلتفت خلفه. لكن زوجة "لوط" لم تتمالك نفسها فنظرت خلفها فتحولت إلى تمثال من الملح. فصار "لوط" وابنتاه آخر الناجين في الأرض. ولكي يحافظوا على نسل البشر حبلتا من أبيهما. ومن نسليهما تحدر أهل "مؤاب" (Moab) و"عمون" (Ammon) اللذان لم يكن لهما وجود بعد عصر "آباء إسرائيل" بفترة طويلة.

وفي "كنعان" كما حدث في "مصر" واجه "إبراهيم" ملك كان يخشى من أن يقتله ليستحوذ على زوجته "سارة". لذا ادعى ثانية بأنه أخوها وأنها أخته. وبعد ذلك بسنوات شهد ابنه "اسحاق" موقف مشابه مع ملك له نفس الإسم.

عندما بلغ "ابراهيم" السابعة والثمانين من العمر سمحت "سارة" لخادمتها المصرية "هاجر" (Hagar) أن تلد طفلاً لـ"إبراهيم" كخلف له. وولدت "هاجر" ابن اسمه "إسماعيل" (Ishmael). فأحب "إبراهيم" ابنه "إسماعيل" لكن الرب أخبره بأن "سارة" ستلد صبيًا عندما تبلغ التسعين وأنه سيكون وريث عهد الرب. وكنوع من المواساة أخبره

بأن ابنه البكر سيكون مؤسسا لأمة من البشر. لذا صار "إسماعيل" مؤسس لـ"قوم اسماعيل" (Ishmeelites) الذين عرفوا بأنهم العرب الأوائل. وجد "إبراهيم" تسلية في فكرة إنجاب زوجته في ذلك السن المتأخر فضحك ملء شدقية. لذا عندما ولد الطفل أطلق عليه اسم "إسماعيل" بمعنى "الذي ضحك" بالعبرانية.

تزوج "إسحاق" من "رفقة" (Rebecca) التي ولدت له توأمان هما "يعقوب" و"عيسو" (Esau) وفي رحمها تصارع الأخوان على أولولية الميلاد. "فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ" (تكوين 25: 23)

فولد "عيسو" أولاً وحسب العادة كان سيصير العهد له لولا أن إستطاع "يعقوب" بمساعدة والدته على خداع والده وخيانة أخاه في وراثة عهد الرب. لذا صار الإبن الأصغر هو مؤسس بيت "إسرائيل" في حين صار "عيسو" "أبو عدوم" (Edomites). فبات ثائرًا من خديعة "يعقوب" وأقسم على قتله ما أن تنتهي فترة الحداد. لذا قرر "يعقوب" الهروب شمالاً نحو "سوريا" ليقيم لدى أقاربه.

وفي "سوريا" تزوج "يعقوب" من إمرأتان واتخذ أيضًا محظيتان أنجب منهن إثني عشر ولدًا وابنتان. كانت الزوجتان شقيقتان هما "ليئة" (Leah) و"راحيل" (Rachel) وكانتا المحظيتان هما "زلفة" (Zilpah) و"بلهة" (Bilhah) خادمتا الأختان. وكانت "راحيل" أحبهم إلى نفسه فأنجب منها أصغر أبنائه وأكثرهم تفضيلاً لديه وهما "يوسف" و"بنيامين". وأنجبت "ليئة" ستة أطفال منهم صبي اسمه "يهوذا" وفتاة اسمها "دينه" (Dinah). كما أنجبت كل محظية طفلان.

كل طفل من تلك الأطفال إقترن شخصه بأحد الحدود الجغرافية التي انتظمت وفق زمن الولاده والمصاهرات والعلاقات السياسية لكل شعبة قبلية مختلفة.

فاول من ولد كانوا أبناء "ليئة" الأربعة، وهؤلاء يرمزون للأسباط الجنوبية لشعوب "إسرائيل". فـ"رأوبين" (Reuben) تقع في الجزء الجنوبي للجانب الأردني و"شمعون" (Simeon) في الجزء الجنوبي للجانب الكنعاني. أما "يهوذا" فكانت شمال حدود "شمعون" ثم صارت عاصمة للمملكة الإسرائيلية أثناء وحدتها ثم فيما بعد صارت عاصمة لمملكة "يهوذا" الجنوبية. ومع أن "لاوي" (Levi) تفرقت عبر الحدود الإسرائيلية إلا أنها كانت مركز سياسي لـ"يهوذا" في "القدس" (بعد أن تمكن "يهوذا" من انتزاع "القدس" من "بنيامين").

كان لـ"راحيل" ولدان فقط هما "يوسف" و"بنيامين". أما قوم "يوسف" فقد انقسموا لشعبتين كل واحدة تنتمي لابن له هما "إفرايم" (Ephraim) و"منسي" (Manasseh). قادت مقاطعات "إفرايم" المعارضة القائمة ضد سلطان "يهوذا" على "إسرائيل" وبعد موت "سليمان" صارت عاصمة سياسية لمملكة شمال "إسرائيل". صارت "منسي" أكبر مقاطعات المملكة حيث يقع جزء منها في "كنعان" وجزء آخر في "الأردن". وصفهما "الكتاب المقدس" كشقان لقوم "منسي".

أما "بنيامين" الابن الثاني لـ"راحيل" فقد حكم مقاطعة تمتد في "يهوذا" و"إفرايم" حيث تقع "القدس" بداخلها. ولقد كان "شاؤل" (Saul) أول ملوك "إسرائيل" بعد اتحادها أحد المتحدرين من "بنيامين".

ترادفت الأسباط المنحدرة من "راحيل" جغرافيًا مع المنطقة الوسطى من أرض "إسرائيل" والجزء الجنوبي من المملكة الشمالية. حيث كانت "القدس" في بعض الأحيان عاصمة مملكة "يهوذا"، حينها كان المركز المادي لـ"بنيامين" ربما يبدو غامضًا لأن "يهوذا" كان قد نجح في القضاء عليه.

يعكس تقسيم الأسباط المنحدرة من نسل "ليئة" في المناطق الجنوبية والعشائر المنحدرة من "راحيل" في الوسط الانقسامات السياسية بين مملكتي "إسرائيل" و"يهوذا". لكن يبقى لنا خمس أوست عشائر صغيرة هم – "دانا" (Dan) و"نفتالي" (Naphtali) و"أشير" (Asher) و"يساكر" (Issachar) و"زبولون" (Zebulun) –سكنوا الجزء الشمالي لـ"كنعان" أعلى عشائر "راحيل". وكانت سادستهم الملقبة بـ"جاد" (Gad) تحتل الجزء الأوسط من "الأردن" بين "رأوبين" و"منسي".

لا يوفر لنا "الكتاب المقدس" معلومات شافية عن أبناء "يعقوب". فباستثناء "يوسف" وأبناء "ليئة" الأربعة لا نعرف سوى ترتيب ميلادهم وقليل من صفاتهم الشخصية. أما بالنسبة لأبناء "ليئة" فالقصص التي تتناولهم مختصرة وسلبية ولا تفيد سوى بوجود خلافات سياسية بين عشيرتي "يهوذا" و"إسرائيل". فلقد كان "يوسف" هو الوحيد الذي حظى بملحمة كاملة.

حظى "يوسف" بموهبة التنبؤ بالغيب فروى حلم يقول بأنه سيرأس عائلته يومًا ما. فدبت البغضاء في قلوب إخوته فباعوه عبدًا ثم أخبروا والده أن ذئبًا افترسه. مع ذلك إستطاع "يوسف" بفضل الرب أن يخرج من عبوديته ليصبح وزيرً لحاكم "مصر".

وفي خضم المجاعة التي أصابت "كنعان" بعث "يعقوب" بأبنائه إلى "مصر" ليبتاعوا حبوبًا. وعندما وصلوا إلى البلاط الملكي تعرفهم "يوسف" لكنهم لم يتعرفوه. مما سمح له بإخضاعهم لعدد من الاختبارات. وبعد أن اطمئن إلى أنهم تابوا وأنابوا كشف لهم عن حقيقته ثم سامحهم. فرح "يعقوب" بأن ولده لم يزل على قيد الحياة وانتقل هو وعائلته إلى "مصر" حيث أعطاهم الفرعون حصة من الأرض.

تزوج "يوسف" من ابنه رئيس الكهنة في "هليوبوليس"، التي كانت إحدى المراكز الدينية الرئيسية في "مصر"، وأنجب منها ولدان هما: "منسي" و"إفرايم". وتوقع "يوسف" أن يرث إبنه البكر عهد الرب لكن "يعقوب" وهبه لـ"إفرايم".

تبنى "يعقوب" الطفلان كأنما كانا ولداه وخلال الغزو الكنعاني خصصت لهم بعض الأراضي، مما يعني أنه كان لسبط "يوسف" ضعف حصص الآخرين. وفي نفس الوقت الذي تلقى فيها قوم "يوسف" حصتان، لم يمتلك قوم "لاوي" (السبط الكهنوتي) أي أراض. وبدلاً من ذلك أقاموا في أراضي الغير. كان يعني هذا أن هنالك ثلاثة عشر سبط يمتلك إثنى عشرة قطعة أرض، مما تسبب في صعوبات لتحديد كنه الأسباط التي كونت الإثنى عشرة سبط. فكما جرت العادة كان لقب "بني إسرائيل" يطلق على الإثنى عشرة سبط موحدين حيث يعد أبناء "لاوي" وأبناء "يوسف" سبط واحد.، لكن ما إذا وضعنا في حساباتنا المناطق الجغرافية سيكون علينا عدم إحتساب عشيرة "اللاوين" وإحتساب عشيرة "يوسف" مرتان.

تاريخيا لا يوجد لدينا أي إثبات على وجود "يعقوب" أو أبنائه، وفي التوراة لايأتي أي دليل إضافي على وجود تلك العشائر فيما بعد. فأفضل ما لدينا هو اسماء بعض الأماكن لكن اسماء الأماكن ليست دليلاً على وجود أشخاص مؤسسين لها.

وفقًا للتوراة محيت الحدود القبلية في عصر "سليمان" واستبدلت بإثنى عشرة مقاطعة، من المحتمل أن ذلك حدث لتخفيف تأثيرات آل "إفرايم" على حكم "سليمان". وعندما مات "سليمان" انقسمت المملكة لإثنتان. مملكة "إسرائيل" في الشمال ومملكة "يهوذا" في الجنوب. يعرض لنا "الكتاب المقدس" صورة مختلطة حول انتماء الأسباط الإثنى عشر للمملكتان حتى بات من الصعب الإقتناع بأن الإثنى عشر سبط قد وجدت فعلاً ذات يوم. فبعض أجزاء "الكتاب المقدس" خصوصًا "ترنيمة دبوره" (Song of Deborah) في سفر "القضاة" تثير الشك بشأن تحدر كل أسباط إسرائيل من جد واحد.

وهذا ليس نفيًا لوجود نوع من الكونفيدرالية الإسرائيلية أو أنه قد حدث في وقت ما أن تكونت من إثنى عشرة طائفة، وإنما كما تظهر لنا الأدلة فإن هذه الفرق السياسية مهما كان شكلها أو كننها لم تشترك في أصل نسب واحد.

لقد كان الاقتناع العالمي فيما سبق شبه متفق على أن آباء وأبناء إسرائيل شخصيات تاريخية حقيقية وأن التاريخ المذكور في سفر"التكوين" هو خلط لبعض الحقائق التاريخية ببعض الأساطير، لكن هناك عدد متزايد من العلماء ممن يقبلون بأن قصص آباء "إسرائيل" لربما لا تستند إلى أي حقائق تاريخية.

وفي نفس الوقت الذي يصبح في الإمكان الفصل بين مصادر "الياء" و"الألف" و"الكاف" يصبح من الواضح اشتراكهم في بعض العادات والموضوعات من بعض المصادر الأكثر قدمًا. وغالبًا ما تتمحور الاختلافات حول بعض أشكال التلاعب أو التوكيد على بعض التفاصيل، كأن يختلفوا بشأن مكان وقوع حدث ما. إننا سنتناول في هذا الجزء عدد من القصص التي تختص بتاريخ "آباء إسرائيل" وتاريخ أسباط "إسرائيل" حيث سنوضح المصادر الأسطورية التي تقف خلفهم. أحد تلك المصادر المهمة هي مجموعة أساطير "أوزوريس" (أو دورة حياة أوزوريس) التي توفر إطار أدبي مميز لتاريخ "آباء إسرائيل" وقصص "الخروج من مصر". وللإحاطة علمًا بهذا الموضوع بشكل مفصل يمكن الإطلاع على كتابي الأسبق "أسطورة الكتاب المقدس" (The Bible Myth).

أساطير أوزوريس

كونت مجموعة أساطير "أوزوريس" (دورة حياة أوزوريس) قلب أهم معتقدات "مصر" الدينية، خاصة ما يتعلق بالحياة بعد الموت. هذه المجموعة يمكن تقسيمها لجزءان. الأول يتناول القصص التي تصف كيف قتل الإله "ست" أخاه "أوزوريس" ليستولي على عرش "مصر". والثاني يختص بعرض مجهودات "ست" لمنع "حورس" ابن "أوزوريس" من خلافة أباه في الحكم. ومن المرجح أن هذان الجزءان نشئا كأسطورتان منفصلتان مستقلتان عن بعضهما البعض.

قام "أوزوريس" (الذي رمز للحبوب) في الجزء الأول من مجموعة الأساطير بالزواج من "ايزيس" ثم أصبح ملكا لـ"مصر" بعد أن تنحى أباه الإله "جب" (الأرض) عن عرشه ووهبه له. لكن "ست" أخو "أوزوريس" رغب في أن يصبح ملكا فخطط لقتل أخاه، ثم نجح في ذلك. وبعد أن قتله مزق جسده لأشلاء ودفنها متفرقة في أرجاء البلاد (الذي رمز لزرع الحَب). لكن "ايزيس" سعت لجمع كل أشلاء جسد زوجها (الذي رمز لجني المحصول) فعثرت على كل أشلائه ماعدا عضوه الذكري (الذي رمز للحبة التي ينبت منها كل شيء) الذي قامت بإعادة خلقه بواسطة نوع من السحر (ما رمز للبذرة الجديدة التي تكمن داخل الحبة). ومن خلال مساعدات "إيزيس" كتب لـ"أوزوريس" النجاة من موته لكن في شكل من الحياة الأخرى. وعلى الرغم من هذه الحالة استطاع أن ينجب ابنًا من "إيزيس" كان اسمه "حورس".

يجيء في الجزء الثاني من دورة حياة "أوزوريس" أن "إيزيس" أخفت "حورس" كي لا يعثر عليه "ست"، وعندما شب الطفل عاد لينتقم من قاتل والده. وبعد سلسلة من السباقات والتعارضات إستطاع "حورس" أن يهزم "ست" وحلفائه فصار ملكا على "مصر".

آمن المصريون بأن كل ملوك "مصر" كانوا تجسدًا لـ"حورس" وأنه عندما يموت الملك يتحول إلى "أوزوريس" فيصبح الملك الجديد "حورس" جديد. كان "أوزوريس" هو حاكم الحياة الأخرى فهو من يقرر من يعبر ومن لا يعبر. ونظريًا عندما يموت الملك يكون "أوزوريس" الذي يحاسبه هو الملك الأسبق، الذي كان لابد أن يكون والده البيولوجي.

لا توجد نسخة قياسية لمجموعة أساطير "أوزوريس". فمعظمها مكون من كتابات

مجمعة من العديد من النصوص والأحافير. مع ذلك هناك مجموعة قصصية تدعى "نزاعات "حورس" وست" (The Contendings of Horus and Set) يعود تاريخ كتابتها للقرن الثاني عشر قبل الميلاد. لكنها تستند إلى معتقدات قديمة. وفيها توجد تفاصيل صراعات "حورس" و"ست". توجد أيضًا نسخة إغريقية من أسطورة "أوزوريس" قدمها لنا المؤرخ "بلوتارخ" (Plutarch) في القرن الأول قبل الميلاد. ومع أنها تتخذ شكلاً هيلينيًا أدخل عليه بعض التعديلات كي يلائم الفكر الإغريقي إلا أنه يحتفظ بالعديد من التقاليد الأساسية التي تعود لأكثر من ألفي عام مضت.

يحيط بمجموعة أساطير "أوزوريس" بعض الارتباك لدى المصريين في تعريف شخصيات "حورس" و"ست". فلقد عرف المصريون على أقل تقدير ثلاثة آلهة رئيسية تحمل اسم "حورس"، لكل واحد منها صفات شخصية مستقلة، ولقد مال المصريون إلى إدماجهم جميعًا في شخصية واحدة. فـ"حورس" الذي ولدته "ايزيس" كان يعرف بأنه "حورس الطفل" و"حورس ابن ايزيس". وفي شكله الثاني، ولد ابن "ايزيس" ضعيفًا وصارع "ست" وهو في رحم أمه. أما "حورس" الثالث فقد عرف باسم "حورس الأكبر"، وكان أخًا لـ"أوزوريس" و"ست" لكنه كان قد ولد قبل "ست" وكان في صراع دائم معه. ظهرت كل شخصيات "حورس" في رواية "بلوتارخ" لكن كل صورة ظهرت في شكل شخصية مختلفة.

كان للإله "ست" شخصيتان غير متجانستان أيضًا ولقد أدمجتا في شخصية واحدة. دافع "ست" عن "رع" عندما واجه "أفوفيس" الأفعى التي أرادت أن تلتهم الشمس في نهاية الصباح؛ لكن شخصيته الأخرى كانت "أفوفيس" ذاته. كان "ست" يصور في الفن المصري القديم على شكل وحش له شكل حمار ذو شعر أحمر ولقد كانت الحمير الضاربة إلى الحمرة تستخدم في الكثير من الأحيان رمزًا للإله "ست". أما قصص "نزاعات "حورس" وست" ففيها يظهر الإله ذو الشعر الأحمر كمدافع عن "رع" وأقرب المرشحين إلى قلبه في خلافة "أوزوريس". لكن "ايزيس" تساند أحقية ابنها في العرش مستعينة في ذلك بالخديعة والسحر.

سنجد عند متابعتنا لتاريخ آباء إسرائيل ما وجدناه في أساطير "الخلق"، فحفظة "الكتاب المقدس" حولوا الآلهة إلى بشر بغرض محو صورهم المستبطنة في القصص، لكنهم كانوا يسهون أحيانًا عن حذف بعض الصفات المادية التي تنتمي للآلهة الأصلية.

الأسطورة رقم 48

وجاء إبراهيم من مدينة أور الكلدانية

الأسطورة: "وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِه، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِه، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ." (تكوين 11: 31)

الواقع: لم يكن لمدينة "أور" الكلدانية أي وجود حتى القرن الثامن قبل الميلاد، حوالي ألف سنة بعد عصر "ابراهيم".

لمدينة "أور" في حضارة "بلاد الرافدين" تاريخ يعود لثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، لكن اقتران اسم المدينة بالكلدانيين يعود فقط للقرن الثامن قبل الميلاد. يشير لقب الكلدانيين إلى "أرض قوم كلدان" الموجودة جنوب "بابل" في جنوبي "بلاد الرافدين". ولا يعرف سوى القليل عن أرض "كلدان" فيما سبق القرن الثامن ق. م. ففي ذلك الوقت استولت على "بابل" وحكمت المنطقة بكاملها بما في ذلك "أور". ومنذ ذلك الوقت ومع أنها لم تبقى دائما ضمن حضارة "بابل"، ظل اسمها ملازمًا لجنوب "بلاد الرافدين". وفي عام 587 ق. م. هزم الكلدانيوم مملكة "يهوذا" ونقلوا النخبة العبرانية إلى "بابل".

ومما يعقد الموقف أكثر أن اللغة العبرانية المستخدمة في التوراة لم تطلق على المدينة اسم "أور الكلدانية". فالكلمة المترجمة في شكل "كلدانيون" تقرأ في الأساس على شكل "كاسديم" (Chesdim) بمعني "قوم كاسد" (People of Chesed) أو "أرض كاسد" (Land of Chesed). ولقد جاء إقران اسم هذا البلد بأرض "كلدان" من نسخة الملك جيمس المستقى من الترجمة الإغريقية للكتاب المقدس الذي استخدم الإسم "كلدان".

من الواضح أن "كاسديم" هو نطق سامي– غربي (نسبة لسام) للإسم "كلدان"، فهو الإسم "الآرامي" (Aramaic) المستخدم لتلك المنطقة. فلقد عادت اللغة الآرامية للإستخدام في منطقة الشرق الأدنى خلال الألفية الأولى ق. م. حتى صارت في النهاية اللغة الدارجة للمنطقة. ليس لدينا دليل على وجود الآراميون قبل القرن العاشر ق. م. لكن بعض كتب العهد القديم كتبت بالآرامية وإنه لشبه مؤكد أن المسيح "عيسى" كان يتحدث بالآرامية.

وما قد يبدو محيرًا هو أن "أور" مع كونها من أقدم وأهم المدن في "بلاد الرافدين" إلا أنه لا ذكر لها في "ثبت الأمم" الذي يذكر أبناء "نوح".

ومع أن "الكتاب المقدس" يحذف أصول "أور" إلا أنه يذكر ميلاد "كاسد" (الإسم الآخر لكلدان) و"آرام". وهما بالترتيب ابن وحفيد أخو "ابراهيم" "هارون" (تكوين 22: 20 – 22). وحيث أن "ابراهيم" قد ولد بعد 290 سنة من "الطوفان" فلا يمكن باي حال أن تكون أرض "كلدان" قد اقترنت بمدينة "أور" حينها. تظهر أيضًا الإشاة لمعاصرته لـ "كاسد" و"آرام" كنوع من المفارقة التاريخية.

من الواضح أن الإشارات إلى "أور" و"كاسديم" و"كاسد" و"آرام" جاءت من الأزمنة التي:

1 – وجدت فيه أرض "آرام" وأرض "كلدان".

2 – بدأ العبرانيون في تبني المصطلحات الآرامية.

3 – صارت "كلدان" قوة عظمى في "بلاد الرافدين".

4 – صارت ذكرى الأصول الكلدانية والأرامية نوعًا من الأساطير

5 – استخدم العبرانيون النطق الآرامي أكثر من النطق المحلي فيما يخص اسم كلدان.

كل ما سبق يفيد بأن الإطار الزمني لتلك الأحداث لابد لها وأن تكون بعد الغزو البابلي لـ"يهوذا" ومن المؤكد تقريبًا أنها وصلت للعصر الفارسي أو الهيلينستي (في القرن الخامس ق. م. أو بعد ذلك)

إن المفارقة التاريخية الموجودة في ثبت أنساب "ابراهيم" وأقاربه تشي بأنه كان تدخلاً متأخرًا لزرع أصول عبرانية في قلب حضارة "بلاد الرافدين" القوية التي استتبعت هزيمة الكلدانيين بواسطة الفرس، معتزمة بذلك رفع هيبة العبرانيين داخل المجتمع البابلي.

الأسطورة رقم 49

وغادر ابراهيم أرض مصر ليذهب إلى كنعان

الأسطورة: " صَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ "مصر" هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ. وَكَانَ أَبْرَامُ غَنِيًّا جِدًّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. وَسَارَ فِي رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ، " (تَكوين 13: 1 – 3)

الواقع: ذهب "إبراهيم" إلى جنوب "مصر" وليس إلى "كنعان".

تثير القطعة السابقة بعض الأسئلة المحيرة حول الأصول التاريخية لـ"إبراهيم". فهي تقول بأنه خرج من "مصر" إلى "كنعان" نحو منطقة "بيت إيل" (Beth-el) حيث كان قد نصب خيمته. لكن النص العبراني يقول بأن "إبراهيم" غادر "مصر" متجهًا نحو الجنوب، ولا يمكن لأحد بلوغ "كنعان" عن طريق جنوب "مصر".

لقد آمن أهل "مصر" بأن أرضها أرضان اتحدا سويًا، "مصر السفلى" وهي أرض الدلتا التي كونها نهر "النيل" و"مصر العليا" الموجودة في الجنوب. هذا التقليد ظل مستمرًا في "ثبت الأمم" الذي جعل من "مصرايم" ابن "حام" (الاسم السامي لمصر) أب للعديد من الأطفال، من ضمنهم "نفتوحيم" (Naphtuhim) و"فيروسيم" (Pathrusim) التي تشير اسمائهم إلى "مصرالسفلى والعليا. ولقد مال جيران "مصر" في أواخر الألفية الأولى ق. م. إلى إعتبار أرض الدلتا الشمالية الخصبة هي "مصر" ،في حين خلطوا بين "مصر العليا" وبلاد "إثيوبيا" التي تقع جنوب "مصر".

أما "إبراهيم" فلقد ذهب إلى "مصر" بسبب المجاعة التي كانت في "كنعان" لذا من المرجح أنه اتجه إلى شمال الدلتا حيث الخصب ليجلب الطعام. لذا فإذا هو اتجه نحو الجنوب يكون قد قصد "مصر العليا" بعيدًا عن "كنعان" فلئن أراد أن يبلغ "كنعان" من الدلتا المصرية عليه أن يتجه صوب الشمال الشرقي. إذن كيف استطاع "إبراهيم" الوصول إلى "بيت ايل" في "كنعان" عن طريق الاتجاه نحو جنوب "مصر"؟

يقوم الوصف التوراتي لطريق "ابراهيم" بخلق مشكلة كما يبدو. وفيما تقول ترجمة "الكتاب المقدس" للملك جيمس بأنه ذهب "نحو الجنوب" تأتي نسخ أخرى بترجمات مختلفة. فبعضهم يقول بأن "ابراهيم" لم يتجه "نحو الجنوب" وإنما "نحو صحراء النقب =

نجف" (Into the Negev) وهي الصحراء الواقعة جنوب "كنعان".

تلك الترجمة الأخرى استخدمت كلمة "صحراء النقب" بمعناها الإصطلاحي أي الـ"جنوب"، تمامًا كما يستخدم الأمريكيون كلمة "جنوب" لتعريف منطقة جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية. فعلى سبيل المثال إذا اتجه شخص شمالآ من "المكسيك" نحو "فلوريدا" يكون متجها "نحو الجنوب" لأن "فلوريدا" جزء من جنوب الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن تلك الترجمة تحمل كمًا من المشاكل. فأولاً لم تكن الكلمة المستخدمة في النص الأصلي هي "صحراء النقب = نجف" وإنما كانت كلمة "نجفه" (Negevah). والكلمة الأولى "إسم" يمكن استخدامه إصطلاحيًا للإشارة إلى جنوب "كنعان". لكن الكلمة الثانية مضاف إليه تختص بتعريف إتجاه الحركة. فـ"إبراهيم" لم يكن ذاهبًا "إلى الجنوب" الذي كان يمكن إستخدام اسم "صحراء النقب" للإشارة له، وإنما كان إتجاه رحيله "نحو الجنوب" مما يعنى أنه اتجه نحو جنوب "مصر".

ثانيًا، اتخاذ طريقًا خلال صحراء "النقب" ليس بالشيئ المنطقي. فلقد رحل "إبراهيم" عن "مصر" ومعه ثروة هائلة وقطيع كبير من الماشية. والمرء لا يقود قطيعه نحو صحراء قاحلة، خصوصًا وأن هناك طريق رئيسي واسع يربط "مصر" بـ"كنعان" ويمشي بحذاء ساحل البحر المتوسط بعيدًا عن الصحراء حيث المياه متوفرة لماشيته، كان يدعوه المصريون بإسم "طريق حورس" (The way of Horus) ولقد أشار "الكتاب المقدس" له بإسم "طريق الفلسطينيون" (The way of the Philistines).

ثالثًا، لم يكن لمدينة "بيت ايل" أي وجود في زمان "إبراهيم"، على الأقل وفقًا لرواية "الكتاب المقدس". فلقد منحها "يعقوب" هذا الإسم بعد موت "ابراهيم" بزمن طويل، وعادة ما يقول "الكتاب المقدس" بأن اسمها كان "لوز" (Luz) فيما سبق، مع أن هذا الشرح مفقود في الوقت الحالي. أما كلمة "بيت ايل" فتعني ببساطة "بيت الرب" لذا يمكن بسهولة أن تكون إشارة لأي مكان به هيكل أومذبح مكرس لأي إله، في "مصر" أو "كنعان". وإنه لفي إمكان "ابراهيم" بناء مذبح في أي مكان يطلق عليه اسم "بيت ايل".

إذن فلقد أصابت نسخة الملك جيمس في ترجمتها وأخفقت الترجمات الأخرى. فلقد توجه "ابراهيم" نحو جنوب "مصر" وليس "كنعان". هذا بدوره يثير بعض التساؤلات حول جذور "اسرائيل" القديمة.

لا يوجد لدينا الكثير حول خلفية "إبراهيم" قبل وصوله إلى "مصر". فيقول "الكتاب المقدس" أن "إبراهيم" كان في الخامسة والسبعون عندما أمره الرب أن يهجر بيته في "بلاد الرافدين" ليذهب إلى "كنعان" حيث "أَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسمكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً."

لكن ما أن يصل إلى "كنعان" حتى يجد مجاعة عظيمة تدفع به إلى الرحيل إلى "مصر".

مع ذلك، إذا كانت لدى الرب تلك الخطة العظيمة لوهب ملك "كنعان" لـ"إبراهيم" وكانت لديه الرغبة في انتقال وريثه إلى هناك حيث يرفع اسمه عاليًا، لماذا انتظر خمس وسبعون عام ليأمره بالرحيل؟ ولماذا انتظر حتى صارت هنالك مجاعة تتطلب منه الرحيل من هناك في الحال؟ يوجد خطأ ما في تلك الصورة.

كما سبق ورأينا في الأسطورة رقم 48 فتاريخ "إبراهيم" وشجرة نسبه إضافات متأخرة للكتاب المقدس تسببت في مفارقات تاريخية واضحة. فإذا حذفنا ذلك الجزء السردي من قصة حياة "إبراهيم" نجد أن القصة تبدأ في "مصر" حيث يقوم بمواجهة الفرعون. هذا يرجح أن التاريخ التوراتي الأصلي لإسرائيل بدأ في "مصر" وليس في "كنعان" أو "بلاد الرافدين".

لكن حفظة "التوراة" الذين كانوا يعيشون بين النخبة البابلية، كانوا قد ابتعدوا عن جذور ثقافتهم المصرية وسعوا إلى إظهار الشعب العبراني كأنما انبثق من نفس الجذور الفكرية البابلية التي كانت لدى النخبة. وعلى ذلك استغلوا غموض تاريخهم فأضافوا رحلة من "بلاد الرافدين" إلى "كنعان" لإظهار أن جذورهم تضرب في العالم البابلي منذ زمن قديم يسبق استقرارهم في "مصر".

الأسطورة رقم 50

ودمر الرب سدوم وعمورة تدميرًا

الأسطورة: "وَقَالَ الرَّبُّ إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ... فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا

مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتَ الأَرْضِ." (تكوين 18: 20 – 21، 19: 24 – 25)

الواقع: "سدوم" (Sodom) و"عمورة" (Gomorrah) مدينتان أسطوريتان لم يكن لهما وجود قط.

عندما ذهب "إبراهيم" و"لوط" –كما جاء في "العهد القديم"– إلى "بيت إيل"، الموجود في وسط هضبة "كنعان"، شمال "القدس" وشمال غربي "البحر الميت"، كانت ماشيتهما من الكثرة بحيث لم يكن في إمكان الأرض الجديدة توفير الغذاء الكافي لها ولسكان الأرض الأصليين. وحيث أن "إبراهيم" كان رجلاً كريمًا فقد ترك لـ"لوط" أحقية اختيار المنطقة التي يرغب في سكناها وعرض أن يرحل إلى مكان آخر إذا استلزم الأمر.

فنظر "لوط" شرقًا نحو "الأردن" واستطاع، من موقعه أمام تلك الحدود الجبلية، رؤية السهل الخصيب الواقع على الجهة الأخرى من نهر "الأردن". ومع ذلك، فالواقع الطبوغرافي الموصوف لتلك الحدود لا يطابق ذلك المسجل في تلك الفترة.

"فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ أَنَّ جَمِيعَهَا سَقْيٌ، قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. حِينَمَا تَجِيءُ إِلَى صُوغَرَ. فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ، وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقًا. فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ. 12 أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَلُوطٌ سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سَدُومَ. وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا." (تكوين 13: 10 – 12)

صورت الأرض في شكل سهل منبسط يمتد من وادي "الأردن" حتى "سدوم" و"عمورة"، ولوفرة مياه الري في ذلك الإقليم، قارن سفر "التكوين" خصوبته بجنة "عدن". ليس لأحد علم بالمكان الحقيقي التي وجدت فيه "سدوم" و"عمورة"، لكن العهد القديم يقول بأنهما كانتا في مكان قريب من جنوب "البحر الميت" (Dead sea)، وقد عرف ذلك المكان باسم "عمق السديم" (Vale of Siddim)، ووفقًا لسفر التكوين (14:3)، كان معنى اللقب هو "ملح البحر" (أي، مياه البحر الميت المالحة). مما ينبئ بأن "البحر الميت" غطى منطقة "عمق السديم" في زمن ما. بمعني أخر، كانت "سدوم" و"عمورة" موجودتين في سهل خصب غني بالمياة العذبة موقعه الحالى مغطى بالطرف الجنوبي لـ"البحر الميت".

ومع ذلك فسفر "التكوين" يقول كذلك بأن "لوط" اقتاد قطيعه من السهل الواقع قرب "بيت إيل"، شمال "البحر الميت"، نحو الطرف الجنوبي من وادي "الأردن" عند الحد الجنوبي

لـ"البحر الميت". وما استبطنه هذا التصريح، هو أن الإقليم الذي وجد به "البحر الميت" كان مكون من مراع ومروج مروية غناء. وهذا في الواقع تضارب صارخ مع الحقائق الجيولوجية المسجلة، التي تثبت أن "البحر الميت" استمر على حاله لملايين السنين.

يخبرنا "العهد القديم" أن أربعة ملوك من "بلاد ما بين النهرين" اتفقوا على غزو "سدوم" و"عمورة" وبعض حلفائهما المحليين، بعد أن استقر بهما أهل "لوط". حيث استطاع الحلفاء من "بلاد ما بين النهرين" احتلال المدينتين لأربعة عشر عامًا، مستخدمين كلاهما كقواعد عسكرية لغزواتهم التالية. وعلى مدار الأربعة عشر عام، ثارت المدينتان، بيد أن الحلفاء حاصروا المجتمعات الثائرة وأسروا "لوطًا"، إذ كان شخصية هامة في المنطقة. ولتغافل كتبة "العهد القديم" عن إدعائهم السابق بجمال وخصوبة الإقليم قبل تدمير "سدوم"، عادوا فوصفوا المكان بأن " فِيهِ آبَارُ حُمَرٍ كَثِيرَةٌ " (تكوين 14:10) فكانت هفوة دالة على الشكل الحقيقي للواقع الجغرافي لتلك المنطقة.

عندما علم "إبراهيم" بأسر "لوط" كون جيش قوامه 318 جندي من خدمه العديدين، وطارد جيش الحلفاء "إِلَى دَانَ. " وقد كانت عبارة "إلى دان" (Unto Dun) تعبير اصطلاحي قصد به "إلى شمالي إسرائيل"، حيث كانت تقع مدينة "دان". لكن مدينة "دان" لم تكن هناك في زمن "إبراهيم". فوفقًا لـ"الكتاب المقدس" سمي الإقليم بإسم "دان" بعد زمن "الخروج"، إذ استقر به سبط "دان" بعد زمن الخروج من "مصر".

بعد أن انقذ "إبراهيم" ابن أخيه، عاد "لوط" إلى "سدوم". حينها لم يكن لـ"إبراهيم" أي أبناء يورثهم عهد الرب الذي نذر فيه حكم "كنعان" لـ"إبراهيم" ونسله. وبصفة "لوط" ابن أخو "ابراهيم" وإذ كان أقرب أقربائه، فيمن رافقوه في ترحاله الطويل من "بلاد ما بين النهرين" إلى "مصر" ثم عودة إلى "كنعان"، فقد كان من الجلي أنه الخلف المرشح لوراثته.

بعد ذلك بخمس وعشرون عامًا، أخبر الرب "إبراهيم" أنه سيرزق بإبن اسمه "إسحاق" (وكان "ابراهيم" قد أتم عقده العاشر عند تلقيه الخبر) قال بأنه سيرث عهد الرب. عندئذ وبمحض الصدفة، أعلن الرب أن أهل "سدوم" و"عمورة" إزدادت آثامهم فوجب تدميرهم. وعندما علم "إبراهيم" بخطة الرب التي ستقضي بموت "لوط" الصالح الطيب، جادله قائلاً: "فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: "أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟" (تكوين 18:23).

وفي النهاية توصلا إلى اتفاق؛ إذا عثر الرب على عشرة رجال صالحين في "سدوم"،

فإنه لن يقدم على تدمير المدينة. فبعث بملاكين لتقصي الأمر. وفي "سدوم" قابل الملاكان "لوط"، الذي كان من أكابر المدينة كما بدا، حيث تبوأ منصب القاضي عند أبواب المدينة، ثم دعاهما إلى بيته حيث أكرمهما. وأثناء تقاسمه معهما وجبة من الطعام، أتى إلى باب بيته قوم من "سدوم" يطالبونه بتسليم الضيفين " لِنَعْرِفَهُمَا " (تكوين 19:5) وهو تلطيف لما قصد منه المعرفة الشهوانية (الجنسية). وهنا رجاهم "لوط" أن يرحلوا ثم عرض عليهم ابنتاه العذراوتين كبديل لهما. لكن ذلك العرض قوبل بالرفض وبتوعدات الجمع لـ"لوط" وضيفيه.

ومخافة أن يظن أحد بأن القصة تجريم للشذوذ الجنسي بوصفه عمل أبغض من الاغتصاب، يجب أن نوضح بأن جريمة أهل "سدوم" لم تكن الشذوذ الجنسي أو الاغتصاب وإنما عدم إكرام الضيف.

"هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً. أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي" (تكوين 19:8)

لقد كان لإكرام الضيف والمسافر أهمية قصوى قديمًا في تلك المناطق، لدرجة أنه كاد معها أن يكون إجباريًا. فالنص التوراتي يصور لنا العديد من الأحداث المشابهة، كما تفعل ذلك العديد من حضارات "بلاد ما بين النهرين" وحضارات "الشرق الأدنى". وعلى سبيل المثال، يذكر أن "إبراهيم":

"فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. 4لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، 5فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ". فَقَالُوا: "هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ" (تكوين 18: 2 – 5)

وفي واقعة أخرى، عندما بعث "إبراهيم" بخادم ليأتي بزوجة لـ"إسحاق"، علق الخادم قائلا:

"هَا أَنَا وَاقِفٌ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ، وَبَنَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَارِجَاتٌ لِيَسْتَقِينَ مَاءً. فَلْيَكُنْ أَنَّ الْفَتَاةَ الَّتِي أَقُولُ لَهَا أَمِيلِي جَرَّتَكِ لأَشْرَبَ، فَتَقُولَ اشْرَبْ وَأَنَا أَسْقِي جِمَالَكَ أَيْضًا، هِيَ الَّتِي عَيَّنْتَهَا لِعَبْدِكَ إِسْحَاقَ. وَبِهَا أَعْلَمُ أَنَّكَ صَنَعْتَ لُطْفًا إِلَى سَيِّدِي" (تكوين 24: 13 – 14)

أما في منزل "لوط"، فقد جذب الملاكان مضيفهما إلى داخل المنزل وأفقدا القوم المتطفلين

أبصارهم. ومن ثم حذرا "لوطا" من البقاء، فأخبراه عن قرار الرب بتدمير المدينة ونصحاه بالهرب مع أفراد أسرته. وعندما أخبر "لوط" أقاربه تجاهلوه ظنًا منهم بأنه يهذر. فلم يرافقه سوى امرأته وابنتيه في محاولة الهرب من المدينة.

وما أن يرحل "لوط" وعائلته من المدينة حتى تقول رواية "العهد القديم":

"فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتَ الأَرْضِ." (تكوين 19: 24 – 25)

ولاحقًا، تنقلب زوجة "لوط" إلى عمود ملحي وتموت لأنها التفتت لتلقي نظرة على المدينة المدمرة (انظر الأسطورة رقم 51) ثم ينجب "لوط" من ابنتاه نسل منه تخرج أمتان هما "عمّون" (Ammon) و"مؤاب" (Moab) (انظرْ الأسطورة رقم 52). وفي اللحظات الأخيرة من تدمير "سدوم" يشهد "إبراهيم" مصير المدينتين: "وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ." (تكوين 19:28)

تحتوي قصة "لوط" على العديد من المفارقات التاريخية. فعلى سبيل المثال:

1 – دعي العديد من أفراد عائلة "إبراهيم" بأسماء اقترنت ببعض الأماكن التي لم يكن لها وجود إلا بعد زمن "إبراهيم" بمئات السنين؛

2 – انتقل "إبراهيم" و"لوط" إلى "بيت إيل" الذي لم يحظى بإسمه هذا إلا في عصر حفيد "إبراهيم"، كما جاء في "الكتاب المقدس"؛

3 – أنقذ "إبراهيم" "لوطا" من إقليم "دان" الذي لم يكن له هذا الإسم حتى فترة طويلة بعد "الخروج من مصر".

4 – وبعض المتناقضات الأخرى نناقشها في الأسطورة رقم 52، التي تتناول ولدا "لوط" اللذان عرفا بأنهما مؤسسا أمتا "مؤاب" و"عمون".

لا توجد أي دلائل تاريخية على وجود مدينتا "سدوم" و"عمورة". والإسم "سدوم" اشتقاق من كلمة معناها "أُحرِقَت" (Scorched) وهو اسم لابد وأنه استُخدم بعد تدمير المدينة وليس قبل ذلك. تلك الحقيقة، بالإضافة إلى التضاربات التاريخية الأخرى في حياة "لوط"، تشي بأن قصة "سدوم" و"عمورة" هي إضافة متأخرة، أدخلت في نهاية الألفية الأولى ق. م. حيث صممت على أساس أساطير الزمان الغابر.

بالإضافة إلى ذلك، تحمل قصة "سدوم" و"عمورة" شبهًا قويًا بقصة أسطورية أخرى من سفر "القضاة" تتناول تدمير سبط "بنيامين" (انظر قضاة 19 – 21). وتتناول تلك القصة أحد رجال الدين من اللاويين في ترحاله مع محظيته خلال "جبعة" (Gibeah)، إذ استضافه إفرامي في بيته. وفيما رفه الرجل عن ضيفيه وقدم لهما خبز ونبيذ، اقترب قوم من "إفرام" مطالبين بإخراج الضيف "فنعرفه". فأشار القس إلى أن الرجل ضيفه وعرض عليهم ابنته ومحظية الرجل كبديل عنه. فأخذ القزم المحظية وآذوها جسديًا حتى الموت.

ومن ثم قطع رجل الدين جثتها لإثنى عشرة قطعة وأرسل كل قطعة لسبط من أسباط "بني إسرائيل" مطالبًا بالثأر من هذه المدينة. وهكذا دمرت تلك المدينة البنيامينية بمساعدة الرب، **"وَلَمَّا ابْتَدَأَتِ الْعَلاَمَةُ تَصْعَدُ مِنَ الْمَدِينَةِ، عَمُودَ دُخَانٍ، الْتَفَتَ بَنْيَامِينُ إِلَى وَرَائِهِ وَإِذَا بِالْمَدِينَةِ كُلِّهَا تَصْعَدُ نَحْوَ السَّمَاءِ."** (قضاة 20 : 40)

وهذا هو نفس المشهد الذي رآه "إبراهيم" بعد تدمير "سدوم". وعلى ذلك، فقد محا "بنو إسرائيل" معظم أفراد سبط "بنيامين" باستثناء شرذمة من الرجال الذين فروا هاربين. وفيما بعد، وافق "بنو إسرائيل" على السماح لمن بقي من رجال "بنيامين" بالزواج من بعض النساء الغير–عبرانيين كي يحافظوا على نسل هذا السبط.

إذا استبدلنا رجل الدين، ذلك الكيان الديني، بالملاكين، سنجد أن حبكتي القصتان متطابقتان تمامًا، كما سنجد تماثلاً في بعض العبارات والأفكار المستخدمة فيهما. فمثلاً، نجد أن القصتان تقول بأن الرجال أرادوا "معرفة" تلك الكيانات الدينية [معرفة شهوانية]. وفي المقابل صيغت عروض تقدمة النساء كبدائل لهم بنفس العبارات.

ففي قصة "لوط" يقال: **"فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا"** (تكوين 8:19). وفي القصة اللاحقة يقول المضيف: **"فَأَذِلُّوهُمَا وَافْعَلُوا بِهِمَا مَا يَحْسُنُ فِي أَعْيُنِكُمْ. وَأَمَّا هذَا الرَّجُلُ فَلاَ تَعْمَلُوا بِهِ هذَا الأَمْرَ الْقَبِيحَ"** (قضاة 19 : 24)

وفي كلتا القصتين تأتي عبارة تطلب إلى الرجال فعل "ما يحسن" بالمرأة. كما تأتي إشارة في القصتين إلى الكف عن كسر قاعدة حسن الضيافة.

ولنرى كم تلتقي القصتان فهناك:

1 – كيان ديني (ملاك/ رجل دين) يذهب إلى مدينة آثمة؛

2 – ورجل صالح من المدينة يحسن ضيافة الغريب فيقدم له وجبة من الخبز؛

3 – وأثناء إقامة الضيف، يأتي جمع من المدينة مطالبين بخروج الكيان الديني كي "يعرفوه"، أي، يفرضون أنفسهم عليه جنسيًا؛

4 – فيناشدهم المضيف أن يحترموا حق الضيافة ويعرض عليهم إمرأتان كترضية، موعزًا لهم بفعل "ما يحسن" بهما؛

5 – فتموت إمرأة؛

6 – وتدمر مدينة، فيتصاعد منها عمود من الدخان؛

7 – وهذا العمل التدميري يأتي على أهالي القرية عن بكرة أبيهم، ما عدا ُحفنة تتمكن من الهروب؛

8 – وفي نهاية القصص، يعقد اتفاق خاص مع نساء لا يمكن الزواج بهن، ولكنه يسمح لهن بمعاشرة رجال السبط بغرض الحفاظ على النسل.

مثل هذا التوازي الوثيق بين القصتين، والذي يتضمن استخدام عبارات وعناصر متطابقة، يرجح انتمائهما إلى مصدر أسطوري واحد، يتناول تدمير مدينة كسرت قاعدة حسن الضيافة. ومن هنا يمكننا التوصل إلى أن "سدوم" و"عمورة" كانتا مدينتان أسطوريتان اقتصر وجودهما على القصص الشعبية التي انتشرت في ذلك الإقليم، وهذا على أساس النقص الشديد في الدليل الأثري على وجودهما في الأماكن المزعومة، تحت سطح بحر مالح استمر وجوده لملايين السنين، وعلى أساس التضاربات التاريخية العديدة الموجودة في القصة، بالإضافة إلى اسم "سدوم" المشتق من كلمة "أُحرِقت"، والنسخة التالية للقصة، والعبارات التي أدخلت على القصة الأولى من عصور تالية.

الأسطورة رقم 51

وصارت زوجة لوط عمود ملح

الأسطورة: "وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ. " (تكوين 19 : 26)

الواقع: تحاول القصة تفسير وجود الملح على الشاطئ الجنوبي الموحش لـ"البحر الميت". وباطن القصة أسطورة حول هروب من العالم الآخر.

عندما رحل "لوط" مع أسرته عن مدينة "سدوم"، أخبرتهم الملائكة ألا ينظروا خلفهم مخافة أن يلتهمهم الدمار. إلا أن زوجة "لوط" الغير معروفة الإسم إلتفتت، فتحولت إلى عمود من الملح.

كان الإقليم المحيط بالشاطئ الجنوبي لـ"البحر الميت" (الذي كان أحد أرباعه مكونًا من الملح) يضم أحد أكبر مجتمعات استخراج الملح، لذا فليس لنا أن نندهش من تطور بعض الأساطير عن ظاهرة تكون التكلسات الملحية. وقصة امرأة "لوط" إحدى تلك القصص. ولكن الموضوع الأصلي للقصة نشأ عن فكرة أسطورية مختلفة كل الاختلاف، وهذه الفكرة تتشابه مع الأسطورة الاغريقية التي تتناول "أورفيوس" (Orpheus) و"يوريديكة" (Eurydike). ففي الأسطورة الإغريقية، يسعى "أورفيوس" للحصول على إذن بإخراج زوجته المتوفاه من العالم الآخر. فيتم السماح له بذلك على شرط، وهو ألا يلتفت خلفه ليرى حبيبته حتى يصعدا إلى سطح الأرض. بيد أنه لا يستطيع كبح جماح نفسه فيلتفت ليراها أثناء رحلة صعودهما. فتختفي من توها وتعود إلى العالم السفلي.

إن الهبوط إلى العالم السفلي واختباره والبحث عن المساعدة هناك، كان موضوع معتاد في أساطير الشرق الأدنى، كما يظهر لنا من الأسطورة السومرية "هبوط إنانا" (انظر أسطورة رقم 30). ولقد كان لدى الإغريق العديد من هذه الأساطير كما هو الحال في أساطير "هبوط أوديسيوس" (Odysseus) و"هرقل" (Herakles) و"أورفيوس".

وهكذا كانت مدينة "سدوم" الآثمة بديل عن أرض الأموات، إذ في النهاية، مات كل من فيها. لكن هذا ليس كل شيئ فهناك أدلة إنجيلية أخرى على أن "سدوم" رمزت في الأصل للحياة الأخرى.

عندما هاجم حلف ملوك "بلاد ما بين النهرين" "سدوم" وأوثقوا قبضتهم عليها، خرجوا لغزو جماعاتٌ أخرى، من ضمنهم "ضَرَبُوا الرَّفَائِيِّينَ فِي عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ، وَالزُّوزِيِّينَ فِي هَامَ، وَالإِيمِيِّينَ فِي شَوَى قَرْيَتَايِمَ" (تكوين 14:5).

أما "الرفائيون" (Rephaim) و"الزوزيون" (Zuzim) و"الايميين" (Emims) فهم من العمالقة. وإن كانوا يحسبون عادة كجماعات مختلفة، إلا أنهم يجمعونهم سويًا في بعض الأحيان. فعلى سبيل المثال يقول سفر "التثنية" 2 : 11، إن الايميين والرفائيين هما نفس الشيئ وقد جعل مقاهما في "موآب" (في الترجمة الإنجليزية استبدل اسم "الرفائيين" بكلمة

"العمالقة")، أما سفر "التثنية" (2 : 20) فيقول أن "العمونيين" أطلقوا على "الزمزميون" (Zamzummim) (وهو تحوير للقب "الزوزيين") اسم "الرفائيين".

إن لكلمة "الرفائيون" معنى آخر غير "عمالقة"، فهي تعني أيضًا "ظلال الموتى". وحيث أن المنطقة التي اقترنت بـ"لوط" و"موآب" و"العمونيين" سكنتها جماعات مختلفة من "الرفائيين"، فقد كان ساكنيها إما "عمالقة" أسطوريين، أو "ظلال الموتى".

لذلك، وصف "الكتاب المقدس" المدينة الآثمة بأنها مسكونة بعشائر مختلفة من "الرفائيين"، لأن "سدوم" كانت رمز للعالم الآخر الذي يسكنه "ظلال الموتى".

وفي الأزمنة اللاحقة، عندما جمع الكتبة تلك القصص التي تتناول "لوط" كانوا قد نسوا أن "سدوم" رمزت للعالم الآخر، وخلطوا بين "الرفائيين" بمعنى "ظلال الموتى" بنظرائهم الذين يعنون "العمالقة".

وفي القصة الكاملة، نجد أن هروب "لوط" وأسرته من "سدوم" كان وصفًا لمحاولة "لوط" استعادة زوجته من عالم الموتى. وكما حدث في قصة "أورفيوس" تضمن الإتفاق تحذيرًا من الإلتفات إلى العالم السفلي، وعندما إلتفتت زوجة "لوط" خرقت شروط الإتفاق لذا لم تتمكن من الخروج مع زوجها.

الأسطورة رقم 52

وأنجب لوط عمون وموآب

الأسطورة: "وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً... فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ مُوآبَ، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ بِنْ عَمِّي، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ" (تكوين 19 : 30 – 32، 36 – 38)

الواقع: تستأنف هذه القصة سلسلة النسب المفارقة تاريخيًا، التي أملت الطبقة العبرانية

المثقفة في عصور بابل/فارس، في أن تثير إعجاب جيرانهم المثقفين بإدعاءاتها الانتماء لأصل مشترك من "بلاد ما بين النهرين"، محاولة إقران نسب عائلة "إبراهيم" بأصول من "بلاد ما بين النهرين".

بعد تدمير "سدوم"، صار "لوط" وابنتاه هم الناجين الوحيدين في العالم، فسعت الابنتان إلى معاشرة أبيهما كي تنجبان وتحافظان على نسل العائلة. وإذ كان أبوهما يرى في ذلك، فعل غير أخلاقي، قامتا أولاً بإسكاره بالنبيذ، ثم جاءتاه كل واحدة على حدى في ليلة مختلفة. ونتيجة لذلك، أنجبت كل واحدة طفلاً. سمي المولود الأول بإسم "موآب" فكان مؤسس عشيرة "موآب" وسمي الثاني بإسم "بن–عمي" (Ben-ammi) وهو اسم غريب يعني "ابن الناس" –أي ناس كانوا؟– وقد عرف بأنه مؤسس عشيرة "العمونيين". وكلا الإقليمين كانا جيران في مكان قريب من الجانب الجنوبي لـ"البحر الميت". وطيلة الألفية الأولى ق. م. كانا أعداء دائمين لـ"بني إسرائيل".

جاء أول ذكر لوجود "موآب" في مخطوطة مصرية يعود تاريخها إلى عهد "رمسيس الثاني" (Ramesses II) في القرن الثالث عشر ق. م. أما "العمونيين" فكان ذكرهم شحيحًا في زمن "لوط".

إذ أن باكورة الدلائل التاريخية الكتابية على وجودهم تعود للسجلات الآشورية في القرن الثامن ق. م.

تشير المخطوطات المصرية منذ عصور مبكرة إلى سكان المنطقة من دون ذكر للعمونيين أو أهل "موآب". ذلك بالإضافة إلى أننا نفتقد إلى الدليل العلمي على انتماء الموآبيون والعمونيون إلى فئات إثنية ذات أصل واحد. فلكلاهما جذور بدوية، كان يمكن لها المجيئ من مختلف الأصول الإثنية في الشرق الأدنى القديم.

وفي سفر "العدد" (Book of Numbers) يقال أن "موسى" هزم الملك "سيحون" (Sihon) الذي سيطر على مدينة "حشبون" (Heshbon) الموآبية، قرب الحدود الموآبية العمونية الإسرائيلية. وكما زعم، كانت هذه المدينة محور مملكة موآبية كبرى. بيد أن الإستكشافات الحديثة في موقع ما يعرف بإسم "حشبون" أو "تل حسبان" (Tell-Hisban) تكشف أنها لم تكن مأهولة حتى الألف الأولى ق. م. مما يظهر لنا أن معلومات "الكتاب المقدس" خاطئة بشأن العصر الموآبي المبكر.

وإن كان منتشرًا في الأزمنة القديمة، أن تدعي معظم الحضارات تحدرها من نسل بعض الأبطال الأسطوريين، فقد كان من المحتم أن لكل من المؤآبيين والعمونيين أساطيرهم الخاصة بشأن أصلهم العرقي. وبسبب قربهم من "إسرائيل" القديمة وتشابه أسلوب الحياة بهما والخلافات المتكررة حول الحدود السياسية، حاول الكتبة العبرانيون خلق صلات تباعية بين تلك الأمم و"مملكة إسرائيل". وحيث أن صلة النسب المزورة اتصلت بـ "إبراهيم"، يمكننا افتراض أنها نشأت في وقت لاحق على زمن "إبراهيم".

الأسطورة رقم 53

وإدعى إبراهيم أن سارة أخته

الأسطورة: "وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ "مصر" أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ" (تكوين 12: 11 – 13)

"وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جَرَارَ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ هِيَ أُخْتِي. فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ." (تكوين 20: 1 – 2)

الواقع: يحوي سفر "التكوين" ثلاثة روايات حول أحد أباء إسرائيل كان يخشى من بطش ملك أجنبي له بغرض الاستحواذ على زوجته الجميلة فيتخذها ملكة، لذا إدعى هذا الأب المؤسس لبني إسرائيل أن زوجته كانت أختًا له. وتلك القصص الثلاث لها أصل أسطوري واحد.

عندما رحل "إبراهيم" عن "بلاد ما بين النهرين" وذهب إلى "كنعان"، اجتاحت البلاد مجاعة قاسية، فذهب إلى "مصر" بحثًا عن الطعام. ولسبب ما، خشي من أن يعلم الفرعون بوجوده، ومن أن يجد جاذبية وجمال زوجته لا يقاوم. (وآنذاك كانت "سارة" في الخامسة والستين من العمر). فكان "إبراهيم" يعتقد في أن الفرعون سيقتله، إذا علم بأنه زوج "سارة"، وذلك كي يستطيع ضمها إلى حاشيته الملكية. لذا سألها أن تدعي أنها أخته. ثم كما هو مفترض، تحمل فكرة كونها إحدى محظيات الفرعون.

ولقد علم الفرعون بوجود الجميلة "سارة" بالفعل واتخذها زوجة له. لكن طاعونًا عظيمًا أصاب حاشية الملك، بعدها علم بالحقيقة. فأعاد "سارة" إلى "إبراهيم" ثم بعث بهما إلى خارج البلاد، معطيًا إياهما ثروة عظيمة من قطعان المواشي والذهب والفضة.

بعد ذلك بخمس وعشرون سنة، رحل "إبراهيم" و"سارة" إلى مدينة "جرار" (Gerar)، التي كانت مدينة فلسطينية يحكمها ملك اسمه "أبيمالك" (Abimelech) وكان قائد جيشه يدعى "فيكول" (Phicol). و"سارة" التي صارت في التسعين من العمر لم تزل حسناء، ومن ثم خشي "إبراهيم" أن يقتله الملك كي يتخذ من "سارة" زوجة له. لذا، دفع بـ"سارة"، مرة أخرى، للإدعاء بأنها أخته، وثانية، اتخذ الملك من "سارة" زوجة له. لكن، هذه المرة تلقى الملك إنذارًا من الرب، قبل أن يرتكب إثمًا، وأعاد "سارة" إلى "إبراهيم". وكذلك، أغدق بالمال على "إبراهيم". ثم فيما بعد، قام خلاف بين "إبراهيم" و"أبيماللك" حول بعض الأبار، فأنهيا الخلاف بعقد معاهدة. ثم أطلقوا على هذا المكان اسم "بئر سبع" (Beer-sheba) والذي يعني بالعبرانية "بئر الميثاق".

بعد ذلك بما يتراوح بين خمس وأربعين وخمس وستين سنة، ضرب "كنعان" طاعون آخر، فأمر الرب "إسحاق" بن "إبراهيم" أن يذهب، ليس إلى "مصر" بل إلى "جرار". وثانية، كانت البلد ملك الفلسطينيين، وكان "أبيمالك" هو ملكها و"فيكول" رئيس الحرس. وعندما وصل "إسحاق" إلى "جرار" برفقة زوجته "رفقة" (Rebeka) التي رأى سكان المدينة قدر حسنها، فخشي "إسحاق" على حياته من بطش الملك، وقال بأنها أخته:

"فَأَقَامَ إِسْحَاقُ فِي جَرَارَ. وَسَأَلَهُ أَهْلُ الْمَكَانِ عَنِ امْرَأَتِهِ، فَقَالَ هِيَ أُخْتِي. لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَقُولَ امْرَأَتِي لَعَلَّ أَهْلَ الْمَكَانِ يَقْتُلُونَنِي مِنْ أَجْلِ رِفْقَةَ، لأَنَّهَا كَانَتْ حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ" (تكوين 26: 6 – 7)

ومرة أخرى يكتشف الملك الخدعة، ويعقد صلحًا مع "إسحاق"، إذ يجري بينهم نزاع حول بعض الآبار. والمعاهدة التي يتوصلون إليها تطلق على الموقع اسم "بئر سبع".

تقع "جرار" و"بئر سبع" على الحدود الجنوبية من "كنعان" في قفر "شور" (Shur). ويقول كتبة "التوراة" أحيانًا في وصف حدود "إسرائيل"، إنها تمتد من "بئر سبع" حتى "دان". أما بالنسبة لانتمائتها القبلية، فهي تنتمي إلى "شمعون" (Simeon) أكبر أبناء "يعقوب".

تلك القصص الثلاث تعرض روايات مختلفة لنفس الحدث، إلا أن جامعي "الكتاب المقدس" لم يتفقوا على ما إذا كان الحدث قد وقع في "مصر" أم في "كنعان"، أم إذا كان يتعلق

بـ"إبراهيم" أم "إسحاق". فالحدث المتعلق بـ"إبراهيم" ينتمي إلى المصدر "الألوهيمي" أما القصة التي تتناول "إسحاق" فتنتمي إلى المصدر "اليهوي"، بالإضافة إلى القصة التي تتناول وجود "إبراهيم" في "مصر" والتي تنتمي إلى المصدر "اليهوي" أيضا، حيث تروي القصتان عن وجود مجاعة ما.

أما في المجاعة التي واجهها "إبراهيم"، فقد ذهب إلى "مصر"، وأما في المجاعة التي واجهها "إسحاق"، فقد أمر الرب "**لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. 3تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ،**" (تكوين 26:2)، لكن لماذا؟ فـ"مصر" كانت،"سلة الخبز". لهذا ذهب إليها "إبراهيم" وأبناء "يعقوب" خلال زمن المجاعة. يبدو لنا أن هناك محاولات لتقليص العلاقات الظاهرة بـ"مصر"، وتقليص العلاقة بين "إبراهيم" و"بئر سبع".

يميل المصدر "الألوهي" إلى أفكار المملكة الشمالية لـ"إسرائيل" في حين يميل المصدر "اليهوي" إلى المملكة الجنوبية. وتعارض ادعاءات كل منهما فيما يتعلق بشخصية الأب المؤسس الذي ذهب إلى "جرار" وبكيفية حصول "بئر سبع" على اسمها، دليل على وجود نزاعات سياسية خفية بين مملكتي "إسرائيل" و"يهوذا" بعد انفصالهما.

يمكن للناظر أن يرى كيف أن لقصتي "إبراهيم" و"إسحاق" في "جرار" أصلا متأخرا، إذ تقول باستحواذ الفلسطينيين على "جرار" وبسكناهم فيها وفي مناطق حولها. فلم يصل الفلسطينيون إلى "كنعان" حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أي حوالي ستمائة عام بعد عصر "إبراهيم" و"إسحاق". لذا فقصتا "جرار" قصتان باطلتان. ولكن ماذا عن القصة الأولى التي تجري أحداثها في "مصر".

كما رأينا في الأسطورة رقم 49، عندما رحل "إبراهيم" عن "مصر" اتجه نحو جنوب "مصر" وليس نحو"كنعان". هذا يرجح أن قصة "إبراهيم" والفرعون تفرعت من مصدر مصري. وبتتبع خطى التأريخ اليهودي التقليدي للتوراة، يكون "إبراهيم" قد وصل إلى "مصر" في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، الذي كان عصر عدم استقرار لدى المصريين، أطلق عليه مؤرخي المصريات عصر الأسرات الوسطى.

وفي ذلك العصر، بدأ حلف في الدلتا، مكون من غير المصريين، يحكم سيطرته على "مصر". عرف هؤلاء باسم "الهكسوس" (Hyksos). وفي النهاية استطاعوا بسط سيطرتهم على معظم أنحاء "مصر" لمدة قاربت القرنين. ومعظم الملوك الشرعيون في "طيبة"، إما أبقوا

على ملكهم في صعيد "مصر" أو عملوا كتابعين لحكام "الهكسوس" في "مصر" البحرية.

وفي مصادفة أسطورية/ أدبية، عبد ملوك "الهكسوس" الإله المصري "ست"، الغريم اللدود للإله الأسطوري "حورس". فكان صراع "الهكسوس" مع أهل "طيبة" إنعكاسًا للصراع الأبدي بين "حورس" و"ست"، حيث فيما بعد، صار الأدب المصري يصف الغزاة بأنهم عملاء "ست". لقد كان لفترة خلو العرش من الحكام المصريين أثناء وجود "الهكسوس" تأثيراً عميقًا في العقلية المصرية، مما أنتج العديد من الخيالات والأساطير.

بنى "الهكسوس" عاصمة لهم في "أفاريس" (Avaris) وكرسوها لعبادة "ست". وبعد ذلك بأربعمئة وخمسون عامًا، بعد أن طرد "الهكسوس"، أبدل الفرعون "رمسيس الثاني" اسم المدينة من "أفاريس" إلى "باي–رمسيس" (Pi-Ramesses). وكانت هذه المدينة، إحدى مدينتان عمل فيهما العبيد اليهود، ورغم أنه من غير الجلي ما إن كانوا قد عملوا قبل أو بعد تغيير اسمها. تابعت المدينة كونها مركزًا لعبادة "ست"، لذلك درجت التقاليد الإسرائيلية على اعتبار "ست" ملك شرير كان يضطهدهم.

كان زمن وصول "إبراهيم" إلى دلتا "مصر" خلال فترة المجاعة، هو زمن حكم "الهكسوس". لذا، فرغبة الفرعون في الزواج من إمرأة "إبراهيم" كانت كناية عن النزاعات والمفاوضات التي قامت بين أمراء "الهكسوس" و"المصريين". فقادة "الهكسوس" رغبوا في عقد معاهدة. و"إبراهيم" كما لو أنه حاكم مصري، قام في البداية بالعمل لدى "الهكسوس" ثم ثار، ثم هرب إلى "طيبة" حيث انضم إلى الحكام الشرعيين في حربهم على الغزاة.

كانت مدينة "جرار" تقع في قفر "شور"، وهي المنطقة التي قرنها المصريون بالإله "ست". وفي الأزمنة اللاحقة على "الهكسوس"، صارت ثورة "إبراهيم" على الملك الذي يعبد "ست" في الدلتا، نفس الثورة التي تصاعدت أمام قوى "ست" في قفر "شور". كان "أبيمالك" ملك "جرار"، الذي كان معنى اسمه هو "الأب–الملك" و تصوير رمزي لآخر حكام "الهكسوس"، ولكن حيث أن، "جرار" كانت موجودة فيما سيصبح أرضًا فلسطينية فيما بعد، افترض جامعي "التوراة" أن "أبيمالك" لابد وأن يكون فلسطينيًا. ذلك التعديل اللاحق على القصة، عزز قناعة الكتبة التوراتيين في أن "إبراهيم" اتجه عند خروجه من "مصر" نحو "كنعان".

لذا، وإن كانت قصة "إبراهيم" والفرعون قد رمزت في البداية إلى صراع ملوك

"الهكسوس" و"المصريين" على أرض "مصر"، فقد تطورت القصة إلى صراع مع ملك في منطقة عبادة الرب "ست"، ثم تطورت إلى صراع مع ملك فلسطيني. وفي نفس الوقت، تنازعت الفرق السياسية حول أحقية "إبراهيم" أو "إسحاق" في "بئر سبع"، وهو نزاع كان له يد، بلا شك، في فض الأشتباك حول الحدود السياسية بين الفرق الإسرائيلية.

الأسطورة رقم 54

واقتتل يعقوب وعيسو في رحم أمهما

الأسطورة: "وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى الرَّبِّ لأَجْلِ امْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَاسْتَجَابَ لَهُ الرَّبُّ، فَحَبِلَتْ رِفْقَةُ امْرَأَتُهُ. وَتَزَاحَمَ الْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا، فَقَالَتْ إِنْ كَانَ هكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟ فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ الرَّبَّ. فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ.

فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. فَخَرَجَ الأَوَّلُ أَحْمَرَ، كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ، فَدَعَوْا اسْمَهُ عِيسُوَ. وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو، فَدُعِيَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ. وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ سِتِّينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْهُمَا.

فَكَبِرَ الْغُلاَمَانِ، وَكَانَ عِيسُو إِنْسَانًا يَعْرِفُ الصَّيْدَ، إِنْسَانَ الْبَرِّيَّةِ، وَيَعْقُوبُ إِنْسَانًا كَامِلاً يَسْكُنُ الْخِيَامَ. فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْدًا، وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَانَتْ تُحِبُّ يَعْقُوبَ." (تكوين 25: 21 – 28)

الواقع: يعقوب وعيسو هما ترديد للإلهين المصريين "حورس" و"ست"، اللذان يتقاتلان في الرحم للفوز بقيادة الأمة.

كان "يعقوب" و"عيسو" توأمين، تقاتلا في رحم أمهما. فولد "عيسو" أولاً "أَحْمَرَ، كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ"، لكن "إسحاق" حاول شده إلى الداخل. تلك القصة إحدى العديدات اللاتي تناولن "يعقوب" و"عيسو" وكانت تميل نحو تمثل الأساطير المصرية حول الصراع بين "حورس" و"ست".

توجد لدينا العديد من الأدلة على الهوية الحقيقية لـ"يعقوب" و"عيسو"، لكنها مبعثرة خلال العديد من القصص وتحتاج للتجميع. وهنا سنناقش أبرزها، في حين نناقش بعضها

الآخر بالتفصيل أثناء تفنيد أساطير أخرى.

إن الدليل المتجسد في صفات "عيسو" الجسمانية، لربما أكثر الدلائل أهمية على الإطلاق. فلقد كان في رحم أمه، كثيف الشعر كأنه فروة. ولقد كان مشعرًا للدرجة أنه بعد ميلاده بسنوات عندما تنكر "يعقوب" في هيأته اضطر إلى تغطية ذراعيه بفرو الماعز. لقد كانت صفات "عيسو" الجسمانية مطابقة للإله المصري "ست" أخي وغريم الإله الحاكم "حورس"، فلقد صور المصريون "ست" في شكل حمار أحمر الشعر.

وبحسب رواية "بلوتارخ" عن ميلاد "أوزوريس" إله الحياة الأخرى، وأخاه "ست"، فقد ولد الأخير أولاً لأنه خرج عنوة من خلال جانب أمه، مثلما فعل "عيسو" عندما خرج عنوة قبل أخيه. وفي نفس الرواية، يولد "ست" بعد أخيه "حورس" الأكبر مباشرة لكنه ظهوره يسبق ميلاد "حورس" ابن "إيزيس". فلقد دمج المصريون العديد من شخصيات الإله "حورس" معًا، فـ"ست" و"حورس" كانا توأمين، وكانا في نفس الوقت عما وابن أخ.

اشترك "عيسو" و"ست" في أنهما كانا صيادان ومحاربان ماهران، أكثر من رفاقهما. زكلاهما كانا انعزاليان لا يجيدان الاختلاط بأفراد الأسرة الآخرين.

وبصفته المولود البكر، كان من حق "عيسو" وراثة عهد الرب ولقد فضله "إسحاق". لكن أم "يعقوب" أحبته أكثر وتآمرت لخداع "إسحاق" و"عيسو" لتحول حق الميلاد إلى ابنها الأثير. كانت للقصة المصرية نفس الحبكة، فالرب الأكبر "رع" فضل "ست" على "أوزوريس" ليكون خليفته. بينما فضلت "ايزيس" ابنها "حورس" الذي كان أخا "ست". مما استتبع في النهاية أن صار "حورث" هو وريث العرش (انظر الأسطورة رقم 55).

موازاة أخرى مشوقة بين الرواية التوراتية والمصرية تتعلق بإسم "عيسو". فعندما خطط "ست" للإيقاع بـ"أوزوريس" في التابوت وبعثه طافيًا على وجه المياه، كان في عونه ملكة إثيوبية تدعى "آسو" (Aso). ومع أن حليفة "ست" كانت أنثى، إلا أن منطوق اسمها يطابق اسم "عيسو"، فهما يتشاركان في الحروف الساكنة. (لم تستخدم اللغة المصرية أو العبرانية الحروف المتحركة) هذا يرجح أنه، عندما تبنى العبرانيون الرواية، استبدلوا اسم مساعدة الإله الرئيسي بإسم الإله نفسه.

ونتيجة للتشابه المذكور بين "ست" و"عيسو" يمكننا تحديد طبيعة شقيق "عيسو". فـ"حورس" الأكبر كان توءام "ست" ولقد اقتتلا داخل رحم أمهما. وهكذا فعل "يعقوب"

و"عيسو". و"حورس" الابن و"يعقوب" كلاهما اعتمدا على أمهما ليخدعوا أخاهم للإستيلاء على الحكم. ولقد واجه كل من "حورس" و"يعقوب" معارضة من رئيس العشيرة. بالإضافة إلى ذلك، يخبرنا "بلوتارخ" أنه بعد ميلاد "ست" بزمن طويل، ولد "حورس" ابن "ايزيس" أعرجًا، ولقد ولد "يعقوب" أعرجًا أيضًا، بعد ميلاد "عيسو" بمدة طويله، تمامًا قبل أن يغير اسمه إلى "إسرائيل". وضمنيًا، يجب اعتبار تغيير الإسم، نوعًا من الميلاد الجديد، إذ تعبر عن مرحلة جديدة في حياة "يعقوب".

الأسطورة رقم 55

وخدع يعقوب أخاه عيسو واستولى على حقه الوراثي

الأسطورة: "وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا، فَأَتَى عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَعْيَا. فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ أَطْعِمْنِي مِنْ هذَا الأَحْمَرِ لأَنِّي قَدْ أَعْيَيْتُ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ أَدُومَ. فَقَالَ يَعْقُوبُ بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ. فَقَالَ عِيسُو هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟ فَقَالَ يَعْقُوبُ احْلِفْ لِي الْيَوْمَ. فَحَلَفَ لَهُ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ. فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُوَ خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى. فَاحْتَقَرَ عِيسُو الْبَكُورِيَّةَ." (تكوين 25: 29 – 34)

"وَحَدَثَ لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ، أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ... حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ.

وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابنه... وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكلمتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا... فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاته. فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ هُوَذَا عِيسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرُ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. رُبَّمَا يَجُسُّنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً. فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي... وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ، وَأَلْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلاَسَةَ عُنُقِه جُلُودَ جَدْيَيِ الْمِعْزَى.

فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ يَا أَبِي. فَقَالَ هأَنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟ فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. قَدْ

فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ... وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ." (تكوين 27: 1 – 23)

الواقع: نشأت تلك القصتان اللتان تحكيان عن استيلاء "يعقوب" على حق "عيسو" الوراثي، عن القصة المصرية حول "إيزيس" أم "حورس" أخو "ست"، التي احتالت على "ست" كي تسلم وراثة العرش إلى "حورس".

يروي لنا سفر "التكوين" روايتين حول الطريقة التي سلب بها "يعقوب" حق أخاه الأكبر، وتلك الروايتان لا تظهران "يعقوب" في صورة الطيب. عندما كان "يعقوب" و"عيسو" في رحم أمهما، أخبرها الرب بأن الأخ الأكبر سيخدم الأخ الأصغر، أي أنه سيسلب حقه الشرعي. فلماذا؟ إذا كان الرب قد أراد لـ"يعقوب" أن يكون الوريث الشرعي، لماذا لم يجعله يولد أولاً؟ ولماذا تتحق رغبة الرب في وراثة "يعقوب" للعهد عن طريق الخداع المبين؟

في الرواية الأولى، يعود "عيسو" من الصيد وهو على شفا الموت، إذ يفقد الوعي من شدة الجوع. فينشد الغوث من أخيه الذي يكون معه صحن من العدس. وبدلاً من أن يساعده أخاه، كما هو حري بذوي القربى، يتحين "إسحاق" الفرصة ويبادله العدس في مقابل حقه الشرعي في الميراث. فهل هذا نموذج يحتذى به بالنسبة لأوامر الرب التي تنهى عن اشتهاء ممتلكات الغير؟

ذلك الفعل الشنيع الذي قام به "إسحاق" يمكن اعتباره شرعيًا، إذ بني على أساس المبادلة التجارية، لكن الرواية الثانية لا يمكن إعتبارها كذلك، إذ أنها خديعة بينة وسرقة جلية.

ففي الرواية الثانية، أراد "إسحاق" الذي أوهنه الكبر، أن يورث "عيسو" مباركته،ذلك الابن المفضل لديه ووريثه الشرعي. وأثناء إعداده لذلك، يبعث به لجلب لحم طريدة واعدًا إياه بمباركته عند عودته.

وبمحض الصدفة، تسمع "رفقة" الحوار، فتأمر "يعقوب" بذبح معزاة كي تعد منها وجبة لـ"إسحاق" وتدفع بـ"يعقوب" لإنتحال شخصية أخاه. وحين يظهر "يعقوب" قلقه بشأن اختلاف هيئته عن "عيسو" الذي كان مشعرًا في حين أنه (يعقوب) أملس البشرة، حيث سيفضح ذلك أمره لدى والده، مما سيجعله عرضة للعنته. (وهو غير قلق بشأن جرم هذا العمل، إنه قلق فقط بشأن افتضاح أمره) ثم تخبره "رفقة" بأنها ستحميه من اللعنة، وتوعز له بتغطية ذراعيه بجلد الماعز وبارتداء ملابس "عيسو".

وتنجح الحيلة، فيكذب "يعقوب" على "إسحاق" وينال المباركة بدلاً من "عيسو". لكنه لا يبدو واضحًا وجود فرق بين الحق الوراثي والمباركة. فلقد سبق لـ"يعقوب" أن نال حق الوراثة من مبادلته مع "عيسو" بصحن العدس. فماذا أضافت تلك المباركة إذن؟

تتشابه تلك الرواية التي تعرض نيل "يعقوب" لوراثة العرش مع قصة مصرية من القرن الثاني عشر قبل الميلاد، جاءت في نص اسطورة تعرف بإسم "نزاعات "حورس" وست" (The contendings of Horus and Set). تروي تلك القصة قضية "حورس" الأصغر و"ست" حول أحقية خلافة الإله "أوزوريس" على عرش "مصر". وقد لعب مجلس الآلهة دور القضاة في هذه القضية. وتلك الوثيقة تلخيص لعدد من الروايات القديمة حول هذه الأسطورة.

وعند مرحلة ما من النزاع، تتمكن "إيزيس" والدة "حورس" الأصغر من إقناع لجميع الآلة عدا "رع" كبير الآلهة بأحقية "حورس" في الملك. فيثور "ست" غضبًا ويعلن عن امتناعه عن تنفيذ أي قرار يتوصل له المجلس وتكون "إيزيس"شريكة في إتخاذه. فيأمر الإله "رع" بإعادة الاجتماع في مكان يدعى "جزيرة الوسط" (Isle in the Middle) ويأمر سائق العبّارة بألا يسمح لـ"إيزيس" أو أي شخص يشبهها بالعبور إلى الجزيرة.

فتتنكر الإلهة في شكل إمرأة عجورز وتخبر سائق العبّارة بأن لديها صحن من العصيدة للرجل الجائع الذي كان يعنى بالماشية. فيخدع بملابسها ويسمح لها بالعبور. وعندما ترسو على الجزيرة، ترى "ست" فتبدل هيئتها إلى إمرأة حسناء.

وعندما رآها "ست" فارت غرائزه واقترب منها. وعندما ذهب إليها، قصت عليه مأساتها. فزوجها، كما قالت، كان راعيا للماشية، أنجبت منه طفل. ثم مات الزوج ورعى الطفل الماشية، لكن رجلاً غريبًا جاء إلى الحظيرة وهدد بضرب الطفل، ثم استولى على الماشية وطرد الطفل. وإختتمت قولها، برجائه أن يحميها.

فأجابها "ست" "أولا يزال ابن الأب حيًا؟، إذن كيف تؤول الماشية إلى الغريب؟" موضحًا بكلماته أسبقية الأبناء في وراثة الآباء عن الغرباء. لكن ما لم يدركه من تصريحه، أنه كان وصفًا لنزاعه مع "حورس" الابن حول وراثة العرش، فـ"حورس" الابن كان ولد "أوزوريس" الملك الأسبق، لذا فالملك كان مآله الطبيعي إلى الابن وليس إلى غريمه. فقد كان "ست" هو المغتصب الذي وصفته القصة التي روتها "إيزيس".

وما أن نطق "ست" بتلك الكلمات حتى استحالت "إيزيس" إلى طائر ينادي بأن كلمات "ست" هي التي هزمته. وعندما سمع "رع" بما قاله "ست" أعلن أحقية "حورس" في العرش. لكن "ست" لم يكن خاسر شريف، فقد رفض الالتزام بهذا الحكم. وما زال يعد الدسائس ويدبر الحيل.

تلك القصة المصرية تقدم نفس الرواية التوراتية. فكبير العائلة فضل الوريث الأكبر والأم فضلت الأصغر؛ الابن الأكبر تغيب عن المنزل وقت اعطاء المباركة؛ علمت الأم بأمر المباركة المعدة للابن الأكبر؛ فأعدت صحن طعام وأخذته إلى الغريم وهي متخفية؛ خُدع الغريم مدليًا بأقوال جعلت الابن الأصغر ينال المباركة؛ وفي النهاية عقد الغريم العزم على قتل الأخ الأصغر.

تترك التوازيات بين القصة المصرية حول "جزيرة الوسط" وأفعال "رفقة" و"يعقوب"، قليل من الشك بشأن تأثير القصة المصرية على رواية سفر "التكوين".

الأسطورة رقم 56

وحلم يعقوب برؤية سلم يقود إلى السماوات

الأسطورة: "فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ. وَصَادَفَ مَكَانًا وَبَاتَ هُنَاكَ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَاضْطَجَعَ فِي ذلِكَ الْمَكَانِ. وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ.

فَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!. وَخَافَ وَقَالَ مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ. وَبَكَّرَ يَعْقُوبُ فِي الصَّبَاحِ وَأَخَذَ الْحَجَرَ الَّذِي وَضَعَهُ

تَحتَ رَأسِه وَأَقَامَهُ عَمُودًا، وَصَبَّ زَيتًا عَلَى رَأسِهِ. وَدَعَا اسم ذلِكَ المَكَانِ بَيتَ إِيلَ، وَلكِنِ اسم المَدِينَةِ أَوَّلاً كَانَ لُوزَ. " (تكوين 28: 10 – 19)

الواقع: هذا المشهد يأتي من بعض الكتابات المصرية من الألفية الثالثة قبل الميلاد التي توجد في الإهرامات والتي تصف الطقوس الجنائزية لصعود روح الملك.

عندما علم "عيسو" بخيانة "يعقوب" له، أقسم قائلاً " قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي" فخاف والدا "يعقوب" على سلامته وبعثا به إلى "فدان أرام" (Padan aram) أي، "سوريا"، كي يسكن مع أخي "رفقة" "لابان" (Laban) وهو مسمى على اسم "لبنان" (Lebanon).

وفي الطريق رأي حلمًا غريبًا. فقد رأى سلما يرتفع من الأرض حتى السماوات وفوقه تصعد وتهبط الملائكة. وعلى رأسه يقف الرب، واعدًا "يعقوب" بإعطائه كل أراضي "كنعان"، بصفته وريث عهد "إبراهيم" و"يعقوب". وعندما صحا "يعقوب" من نومه، أعلن هذا المكان بيتًا لله وبوابة للسماء. وهناك شيد مذبحًا أطلق عليه اسم "بيت إيل" بمعنى "بيت الرب".

ظهر الحلم في سياق يلفه الإلتباس. فلقد قيل أن "إسحاق" كان عجوز أعمى له من العمر ما يقارب المئة عام، وأنه كان قد بارك "يعقوب" من توه. فقال "عيسو" " قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي" أي أن "إسحاق" كان يشارف الموت. لكن للغرابة يظهر "إسحاق" في فقرة مقتضبة تالية. وذلك بعد مضي عشرون عام على هروب "يعقوب"، إذ يعود لزيارة "إسحاق"، الذي كان حينئذ في المائة والتسعين من العمر. والنص التوراتي لا يصرح بأن "يعقوب" رأى "إسحاق" ولا ينسب أي عمل لـ"إسحاق"، إنما يقول في الآية التالية أن "إسحاق" مات وهو في المائة والثمانين من العمر.

تلك الآيتان الأخيرتان اللتان تتناولان "إسحاق" جاءتا من المصدر "الألوهيمي". أما القصتان السابقتان اللتان تناولتا "يعقوب" و"عيسو" فتنتميان إلى المصدر "اليهوي". وهذا يرجح الاحتمال القائل بأن "إسحاق" مات في المصدر "اليهوي" بعد مباركته لـ"يعقوب" بقليل. أما ما جاء عن استمراره في الحياة بعد ذلك، فيقتصر على المصدر "الألوهيمي" ويقتصر ذكره بعد ذلك على سطرين هامشيين أضيفا في زمن متأخر.

لذلك، فلقد حدث حلم "يعقوب" وفق السياق التالي. كان "يعقوب" قد نال مباركة

والده توّا؛ حيث مات أباه بعد ذلك بقليل؛ فحلم بسلم يرتفع حتى يبلغ السماوات؛ ثم في النهاية غدا وريث عهد الرب.

والآن لنضع ذلك السياق في بالنا ونحن نقرأ بعض المقتطفات من نصوص الأهرامات في "مصر" القديمة، التي يعود تاريخها لما بين 2,500 ق. م. و2,100 ق. م. ومن أحد أهرامات الأسرة الخامسة الذي يعود للملك "أوناس" (Unas) نقرأ:

يقيم رع السلم لأوزوريس، ويرفع "حورس" السلم
لأبيه أوزوريس، وعندما يذهب أوزوريس للبحث عن روحه؛ يقف واحد على جانب،
ويقف آخر على الجانب الآخر، وأوناس فيما بينهما. ينهض أوناس واقفًا فيكون
حورس، ويجلس فيكون ست.

ثم نقرأ نص آخر من هرم من الأسرة السادسة يعود للملك "بيبي الأول" (Pepi I):

سلام عليك، أيا سلم الرب، سلام عليك، أيا سلم ست. قم يا سلم
الرب، قم يا سلم ست، قم يا سلم حورس، يا من عليه صعد أوزوريس
إلى السماوات.

وما تصفه تلك النصوص، هو الاعتقاد المصري بكيفية صعود روح الملك المتوفى إلى السماوات. فعندما يكون الملك على قيد الحياة يكون هو الإله "حورس". وعندما يموت يصبح الإله "أوزوريس"، أبو "حورس". ويصعد الملك الميت على السلم في هيأة الرب "أوزوريس" إلى السماوات، ويكون السلم مصنوعًا من جسد أخويه "حورس" و"ست".

إذا ما تجاهلنا التصور التشاركي في القصة المصرية وقارنا بينها وبين التصور التوراتي، سنجد أن هذا هو ما تصفه التوراة. فالسلم المصري المكون من جسد الإلهان المصريان الذي يصعد عليه "أوزوريُس" إلى السماوات، استبدل بسلم يصعد فوقه العديد من الكيانات الربانية، فالملائكة تصعد وتهبط فوقه بين السماوات والأرض. وتجري هذه الطقوس المصرية بغرض استبدال الملك الميت بالملك الجديد. أما في السياق التوراتي فيجري هذا بغرض استبدال السلطة الملكية الآفلة (التي ماتت توًا) "إسحاق" بالسلطة الملكية الجديدة "يعقوب".

يجب أن نذكر وجود صلة أخرى بين الفكرتين. فلقد سمي "يعقوب" موقع السلم باسم "بيت إيل" أي "بيت الرب"، قائلاً أنه كان بوابة السماوات. أما الإسم المصري للسماوات

فكان "حتحور" (Hathor) أي "بيت حورس" (House of Horus). و"حتحور" و"بيت إيل" يرمزان لنفس الشيء– وهو العلاقة التي تربط بيت الملك بالسماوات.

في النهاية، إذا كان "ست" يرمز إلى "عيسو" و"حورس" يرمز إلى "يعقوب" و"رفقة" هي "إيزيس" زوجة" أوزوريس"، إذن فـ "إسحاق" هو "أوزوريس" الملك المتوفى الذي يصعد السلم.

الأسطورة رقم 57

وصارع يعقوب رجلاً غريبًا

الأسطورة: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي. فَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ يَعْقُوبُ. فَقَالَ لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ. وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ.

فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ قَائِلاً لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي. وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ. لِذلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخْذِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا.

وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عِيسُو مُقْبِلٌ... " (تكوين 32: 24 – 33: 1)

الواقع: قصة المصارعة هذه، تحريف لقصة الصراع اليومي بين "حورس" و"ست" وقوى الليل والنهار.

ظل "يعقوب" مقيما لدى "لابان" عمه، مدة عشرين عامًا. تزوج خلالها من أربع نساء وأنجب أحد عشر ولدًا وفتاة واحدة. (وأنجب الابن الثاني عشر بعد عودته إلى "كنعان") ثم أمر الرب "يعقوب" وأسرته بالعودة إلى وطنهم. وفي تلك الليلة، ظهر له شخص غريب فتصارع الرجلان طوال الليل. و لم يستطع أحدهما التغلب على الآخر، لكن الغريب استطاع إصابة

"يعقوب" بعرج في قدمه. لكن مع انبلاج الفجر، عرض الرجل الغريب على "يعقوب" أن يكفا عن القتال، فوافق "يعقوب" لكن بشرط، وهذا الشرط هو أن يمنحه الغريب مباركته. فبارك الغريب "يعقوب" بأن غير اسمه إلى "إسرائيل" وأعلنه أمير القوة.

سأل "يعقوب" غريمه أن يعرف نفسه، لكن الغريب رفض ذلك، وحيث أن "يعقوب" آمن بأنه رأى وجه الرب، فقد أطلق على المكان اسم "فنوئيل" (Penuel) أو "وجه الله". (استخدمت القصة اسمي "فنوئيل" و"فنيئيل" (Peniel) كاسمين للمكان، لكن فيما بعد ذلك، تستخدم التوراة اسم "فنوئيل" فقط). تصعد الشمس في كبد السماء فيمشي "يعقوب" على قدمه العرجاء. وسرعان ما يظهر "عيسو" بعد انتهاء المواجهة. فيحل السلام بين الأخوين ويتعانقان وقد غمرت كلا منهما مشاعر الكرم تجاه الآخر. ثم يعلق "يعقوب" تعليقًا غريبًا بعض الشيء فيقول: "لأَنِّي رَأَيْتُ وَجْهَكَ كَمَا يُرَى وَجْهُ اللهِ، فَرَضِيتَ عَلَيَّ. " (تكوين 33 : 10). وذلك التعليق يلمح إلى أن "عيسو" كان هو الغريب الذي قاتله "يعقوب".

إن الأساطير المصرية المبكرة، المسجلة في نصوص الأهرامات، تذكر أن "حورس" الأكبر و"ست" كانا توأمين، تقاتلا باستمرار. فكان "حورس" ممثل قوى النور والصباح، وكان "ست" ممثل قوى الظلام والليل. وكان المصريون يعتقدون بأن الشمس كانت تسلك طريقًا دائريًا بين النور والظلام. وعند نهاية الضوء كانت هناك حية ضخمة ترغب في إبتلاع الشمس. وقسم المصريون اليوم إلى أربعة وعشرون جزءًا، اثنى عشر للنهار واثنى عشر لليل. وفيما تدخل السفينة الشمسية مملكة الليل، تواجهها العديد من التحديات الشاقة خلال النطاقات الإثنى عشرة.

وأحيانًا تصور الأساطير "ست" في صورة الحية التي تحاول ابتلاع الشمس. وكان "حورس" إلهًا شمسيًا، أغلب الظن كان إله للخلق في الأزمنة المبكرة. لكن بأية حال، رمز صراع "حورس" و"ست" للصراع اليومي بين الشمس وأعدائها.

تتناظر العديد من الأيقونات المعروضة في قصة صراع "يعقوب" مع الرموز المصرية. فـ"يعقوب" هو ممثل شخصية "حورس" الذي يستمر في صراعة طيلة الليل مع الغريب. ولقد اعتقد بأن الذي صارعه كان الرب مع أن القصة لم تصرح بذلك. فأطلق على الموقع اسم "وجه الله" لأنه آمن بأنه رأى وجه الله أثناء صراعه. لكن بما أن الوقت كان ليلاً فلابد أنه لم يرى الكثير. وكان أول شخص يراه صباحًا هو "عيسو" وهو ممثل شخصية "ست". وإذ قال

له " لأَنِّي رَأَيْتُ وَجْهَكَ كَمَا يُرَى وَجْهُ اللهِ، فَرَضِيتَ عَلَيَّ. " فقد أثبت أنه كان الرجل الغريب بنفسه.

بالإضافة إلى ذلك، نال "يعقوب" اسما جديدًا وهذا نوع من الميلاد الجديد، فما أن أشرقت الشمس حتى بدأ في العرج على قدمه وهو بشخصيته الجديدة، وفي تلك الهيأة شابه شكل "حورس" ابن "إيزيس" الذي ولد بعد أن عقد "ست" و"حورس" الأكبر صلحًا (كما ذكر "بلوتارخ").

يجب أن نلاحظ وجود مصادفة أخرى، وهي أن المصريون قسموا النهار والليل إلى إثني عشر نطاق لكل منهما، بينما كان لكل من "يعقوب" و"عيسو" إثني عشر ابنًا.

ومع أن الرواية التوراتية تعرض قصة محرفة عن العقيدة المصرية إلا أنه بإمكاننا رؤية أن القصة المستبطنة من صراع "يعقوب" والغريب هي نفسها قصة الصراع اليومي بين "حورس" و"ست"، ففي الأصل كان "عيسو" هو الغريب الذي قاتله "يعقوب"، و"يعقوب" كان هو "حورس" ابن "ايزيس" الذي ولد بعرج في قدمه.

الأسطورة رقم 58

وغير الرب اسم يعقوب إلى إسرائيل

الأسطورة: "وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ. وَقَالَ لَهُ اللهُ اسمكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسمكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسمكَ إِسْرَائِيلَ. فَدَعَا اسمهُ إِسْرَائِيلَ." (تكوين 35: 9 – 10)

الواقع: لسفر "التكوين" روايتان مختلفتان عن سبب تغيير "يعقوب" اسمه إلى "إسرائيل"، تعكسان وجهات نظر الفرق المتنافسة في مملكة "إسرائيل".

لقد رأينا في الأسطورة السابقة أن "يعقوب" صارع رجلاً غريبًا، ثم باركه الغريب بأن غير اسمه إلى "إسرائيل". وحدثت تلك الواقعة في "فنوئيل". ومع أن "يعقوب" اعتقد بأنه رأى وجه الله (الرجل الغريب)، فنحن نعرف بأن هذا غير ممكن إذ إن سفر "الخروج" يقول

بأن الرب رد على "موسى" عندما سأله أن يرى وجهه قائلاً: "**وَقَالَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ.**" (خروج 30: 20). لذا فوفقًا لأقوال الرب لم يكن من الممكن أن يكون هو نفسه الذي غير اسم "يعقوب"، فلم يكن ممكنًا لـ"يعقوب" بصفته إنسانًا أن يكون قد رأى الرب واستمر حيًا. بالإضافة إلى أن الغريب كان "عيسو" كما استنتجنا من مناقشة الأسطورة رقم 57.

ومع ذلك، ففي "الكتاب المقدس" رواية أخرى حول تغيير "يعقوب" لاسمه. في تلك الرواية، التي تجري بعد لقاء "يعقوب" بـ"عيسو"، يأمر الرب "يعقوب" بالذهاب إلى "بيت إيل" حيث حلم بالسلم. وهناك يخبره الرب بأن اسمه من الآن فصاعدًا سيصبح "إسرائيل" ثم يجدد عهده لتصبح أرض "كنعان" إرث "إسرائيل" ونسله من بعده.

تلك القصص تظهر لنا محاولات الفرق المتناحرة لتغيير نص "الكتاب المقدس" كل على حدة كي يخدم أغراضه الشخصية. فهنا توجد قصة تدعو المكان بإسم "فنوئيل" وأخرى تدعوه بـ"بيت إيل". ويوفر لنا تاريخ هاتين المدينتين تفسيرا لسبب اختلاف القصتين.

عندما مات الملك "سليمان"، قاد "يربعام" (Jeroboam) ثورة على خليفة "سليمان"، وانفصل بـ"إسرائيل" عن "يهوذا"، فأسس "يربعام" مركزين ثقافيين كبيرين، واحدا على الحدود الجنوبية عند "بيت إيل" والآخر على الحدود الشمالية عند "دان". كما بنى مدينة رئيسية في "فنوئيل" كإدارة مركزية لحكومته.

مبدئيًا، أيد كهنة "شلوه" "يربعام" ظنًا منهم بأن انفصالهم عن كهانة القدس ستعلي من شأنهم وتزيد من هيبتهم. لكن "يربعام" آمن بالكهانة التقليدية وأعلن أن في إمكان كل شخص الانضمام إلى السلك الكهنوتي إذا أراد. مما أدى إلى انفصال كهنة "شيلون" عنه.

وبما أن المملكة الشمالية كانت تدعى "إسرائيل" كان لديها اهتمام خاص بتفسير سبب اقتران الحدود الشمالية بهذا الاسم.. وحيث أن "يربعام" وكهنة "شيلون" كانا على خلاف فقد توصلت كل فرقة منهما بنسخة خاصة عن سبب تسمية المكان بهذا الاسم. فقرنت فرقة "يربعام" الاسم بـ"فنوئيل" الذي كان مركزها السياسي. أما كهانة "شيله" فقد قرنت الاسم بـ"بيت إيل" التي كانت مركزًا حضاريًا منافسًا لـ"القدس".

إنه لمن المشوق أن نلاحظ كيف خفف الوقع الديني في القصة التي تناولت مدينة "فنوئيل". حيث تلقى "يعقوب" اسمه الجديد لأنه "أمير القوة" إذ تفوق على الرب بنفسه. فقد كان

اهتمام "يربعام" الأساسي بالقوة العسكرية وليست الدينية.

أما كهانة "شيلون" فبسبب منافستها لـ"القدس" على نيل ولاء الإسرائيليين، استخدمت قصة "بيت إيل" لتثير إحساسا باتصال عهد الرب لـ "إسرائيل" بـ"بيت إيل".

الأسطورة رقم 59
وكان عيسو هو أدوم

الأسطورة: "فَسَكَنَ عِيسُو فِي جَبَلِ سَعِيرَ. وَعِيسُو هُوَ أَدُومُ. وَهذِهِ مَوَالِيدُ عِيسُو أَبِي أَدُومَ فِي جَبَلِ سَعِيرَ." (تكوين 36: 8 – 9)

الواقع: أخطأ جامعو "التوراة" في تعريف "عيسو" باسم "أدوم" (Edom).

يصور سفر "التكوين" "عيسو" كأب لـ"أدوم"، إلا أن ذلك نتيجة عدد من الأخطاء التي وقع فيها منقحو "الكتاب المقدس".

كانت أبرز صفات "عيسو" الجسمانية هي الشعر الأحمر الغزير الذي يكسو جسده. وقد كان "أدوم" الاسم الذى اقترن به، يعني "أحمر"، فالاسم نتج عن وجود صخور رملية حمراء في ذلك المكان. كما يجعل "الكتاب المقدس" موقع جبل "سعير" (Mount Seir) في "أدوم"، إذ أن موقعه بالغ الأهمية بالنسبة لقوم "أدوم". ونفس الإسم "سعير" يعني "مشعر".. وإن جمع "أدوم" معه يقيم الصلة مع "عيسو" ذو الشعر – الأحمر. وسفر "التكوين" يحاول أيضًا إكساب "عيسو" لقب "أدوم" في قصة بيعه لحق وزراثته الشرعي: **"فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ أَطْعِمْنِي مِنْ هذَا الأَحْمَرِ لأَنِّي قَدْ أَعْيَيْتُ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ أَدُومَ."** (تكوين 25: 30)

ووفقًا للرواية التوراتية فقد انتصر "عيسو" على "أدوم" بهزيمة فرقة من السكان المحليين الذين يعرفون بإسم "الحوريين" (Horites). ولا يوجد أي دليل أثري على وجود هؤلاء القوم. فهم لا يظهرون إلا في "الكتاب المقدس".

وحيث أن شكل "عيسو" قد بني على أساس هيأة الإله "ست"، فإن انتصاره على "الحوريين" لهو ترديد لانتصار عبدة "ست" من ملوك "الهكسوس" في "مصر" على جيش

ملك "حورس" في "طيبة". وبسبب خلط منقحي "التوراة" بين "عيسو" و"أدوم" فقد افترضوا خطأ أنه انتصر على "الحوريين" في "أدوم" بينما الحقيقة أن القصة تعكس أحداثا جرت في "مصر".

الأسطورة رقم 60

ودفن يعقوب راحيل في بيت لحم

الأسطورة: "**فَمَاتَتْ رَاحِيلُ وَدُفِنَتْ فِي طَرِيقِ أَفْرَاتَةَ، الَّتِي هِيَ بَيْتُ لَحْم.**" (تكوين 35: 19)

الواقع: لسفر "التكوين" روايتان حول مكان دفن "راحيل"، تعكس كل منهما انقساما سياسيا بين "يهوذا" و"إسرائيل".

كانت "راحيل" زوجة "يعقوب" المفضلة، وكانت أم أصغر أبنائه وأكثرهم قربًا إلى قلبه، "يوسف" و"بنيامين". وبينما ولد "يوسف" في "سوريا"، ولد "بنيامين" في العودة إلى "كنعان"، بيد أن "راحيل" ماتت أثناء الوضع.

وبحسب رواية سفر "التكوين"، دفن "يعقوب" "راحيل" في "بيت لحم" (Bethlehem)، داخل مقاطعة "يهوذا" حيث "قبر راحيل" أحد أهم المزارات السياحية في "إسرائيل" الآن.

مع ذلك، يقول سفر "صموئيل الأول" (10: 2) إن قبر "راحيل" يوجد ضمن حدود "بنيامين": "**فِي ذَهَابِكَ الْيَوْمَ مِنْ عِنْدِي تُصَادِفُ رَجُلَيْنِ عِنْدَ قَبْرِ رَاحِيلَ، فِي تُخُمِ بَنْيَامِينَ فِي صَلْصَحَ،**"

وبما أن بني "بنيامين" يدعون تحدرهم من نسل "راحيل" فإن الرأي المخالف لذلك ليس بالأمر الهين. فالنزاع يعكس الخلافات التي جرت بين "يهوذا" و"إسرائيل"، حيث تحاول كل مملكة إثبات انتمائها لأم "بيت إسرائيل".

تقع مدينة "بيت لحم" ضمن حدود "يهوذا" فكانت موطن الملك "داود". أما "بنيامين" فكانت وطن الملك "شاول" أول ملوك "إسرائيل". وكان "داود" و"شاول" خصمين سياسين.

عندما تبوأ "داود" الحكم، لم يبقى محبوبًا، كما يشاع الآن. فسكان شمال "إسرائيل" ثاروا عليه مرتين، استطاعوا في مرة منهما تنحيته عن العرش.

هذا الخلاف حول موقع دفن "راحيل" كان دليلاً مهمًا على الخلاف السياسي بين "يهوذا" و"إسرائيل". فهذا الموقع له أهمية دينية وسياسية عالية، فهو نذير عن أحقية أي مقاطعة في حكم الأخرى.

الأسطورة رقم 61

واغتصب أمير شكيم دينة

الأسطورة: "وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا...

فَخَرَجَ حَمُورُ أَبُو شَكِيمَ إِلَى يَعْقُوبَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ... وَتَكَلَّمَ حَمُورُ مَعَهُمْ قَائِلاً شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا. وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمْ. اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا...

فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلَّمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُلٍ أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. غَيْرَ أَنَّنَا بِهذَا نُوَاتِيكُمْ: إِنْ صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ. نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا. وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا، أَنْ تَخْتَتِنُوا، نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي.

فَحَسُنَ كَلاَمُهُمْ فِي عَيْنَيْ حَمُورَ وَفِي عَيْنَيْ شَكِيمَ بْنِ حَمُورَ... فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَاخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ. كُلُّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ.

فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا." (تكوين 34)

الواقع: اقتبس فرع "ليئة" الإسرائيلي هذه القصة عن الأسطورة الإغريقية التي تتناول "دانوس" (Danaus) و"إيجيبتوس" (Aegyptus).

إن القصة المصرية "نزاعات (حورس) و(ست)" تعرض لنا سلسلة من الأحداث المتعلقة بالمنافسات التي جرت بين "حورس" و"ست" للحصول على العرش. وفي أثناء مناقشتنا للأسطورة رقم 55 رأينا كيف أن الرواية التي تناولت خداع "يعقوب" لـ"عيسو" واستيلائه على حقه الوراثي وعلى مباركته، شابهت القصة الأخرى في العديد من الأحداث، وفي إحدى هذه الأحداث تخفت "إيزيس" ثم قدمت صحنًا من الطعام إلى "ست".

يأتي وقت خلال أحداث القصة المصرية، حيث يطفح كيل الإله الأكبر "رع" من استمرار الشكاوى، فيأمر "حورس" و"ست" أن يدعا الخلاف جانبًا ليتناولا وجبة من الطعام معًا. فيوافق "ست" ويدعو "حورس" إلى مأدبة لكن نياته كانت غير طيبة في تلك الدعوة. فبعد أن زاره "حورس" وأكل وشرب ثم نام، تعدى "ست" عليه جنسيًا. إذ أنه لسبب قانوني خفي، كان سيكون بإمكان "ست" الفوز بأحقيته للعرش إذا استطاع إثبات حدوث هذا الأمر.

وعندما علم "حورس" بما فعله به "ست"، لجأ إلى أمه طالبًا المساعدة. فاستطاعت "إيزيس" بنوع من السحر أن تجعل الأمر يبدو لمجلس الآلهة كأنما قام "حورس" بالاعتداء على "ست"جنسيًا وليس العكس.

أما في سفر "التكوين" حيث يأخذ "يعقوب" و"عيسو" دورا "حورس" و"ست"، يحدث موقف مشابه. فعند عودة "يعقوب" إلى "كنعان" يحاول العثور على "عيسو" ليعقد صلحًا معه. و"عيسو" (بعد اقتتال "يعقوب" مع الغريب) يدعو "يعقوب" وأسرته للعودة معه كي يعد لهم مأدبة. إلا أن "يعقوب" كان يشك في نوايا أخيه، فأخبره بأن يذهب وسيتبعه هو بعد قليل. وبدلاً من الذهاب هرب هو وعائلته إلى "شكيم". وللغرابة لا تأتي "التوراة" على ذكر أي رد فعل لـ"عيسو" على هجرة بهذا الشكل.

إذا اتبع سفر "التكوين" سياق القصة المصرية حقًا، كان لابد لـ"يعقوب" أن يذهب مع "عيسو" إلى بيته حيث كان سيعتدي عليه أخوه بشكل جنسي. لكن هذا لا يحدث في سفر "التكوين" فعند المرحلة التي نتوقع فيها حدوث هذا يتحول السرد إلى مشهد لاعتداء جنسي آخر، فيه يغتصب ابن "حمور" (Hamor) ملك "شكيم" (Shechem) "دينه" (Dinah) ابنة "يعقوب". وبالنظر إلى السياق السردي، لا يدهشنا حقًا أن اسم "حمور" يعني "الحمار الأحمر"، وهي صورة كانت ترمز إلى "ست".

يأتي في القصة التوراتية، أنه بعد أن اعتدى ابن "حمور" على "دينة"، طلب من أبيه أن

يزوجها له. فعرض "حمور" على "يعقوب" أن يتزاوج أبناء العائلتان. فأجابه ابنا "يعقوب"، "شمعون" و"لاوي"، أن بني "إسرائيل" سيوافقون على هذا الزواج إذا قام كل ذكور "شكيم" بالاختتان. فقبل أهل "شكيم" بشرطهم إلا أن "شمعون" و"لاوي" كانا يمكران لهم. فبينما لم يزل الرجال في نقاهتهم من جراء العملية المؤلمة، غير قادرين على القتال، دخل الأخوان البلد خلسة وذبحا العائلة الملكية. ونتيجة خوف "يعقوب" من عواقب هذا الفعل، هرب هو وعائلته من "شكيم" إلى "بيت إيل".

يبدو أنه لسبب خاص، استبدل جامعو "التوراة" قصة اغتصاب "دينه" بقصة الاغتصاب اللواطية التي جرت بين "حورس/ يعقوب" و"ست/ عيسو". لكن أصل هذه القصة كانت الأسطورة الإغريقية "دانوس" و"إيجيبتوس"، وهو المصدر المذكور سابقًا (انظر الأسطورة رقم 47) فقد كان لها أثر واضح على تسلسل النسب في الفرع الحامي من نسل "نوح".

إن الرواية الكاملة الوحيدة لتلك الأسطورة الإغريقية، هي المذكورة في كتابات "أبولودوروس" (Apollodorus)، وهو مؤلف إغريقي من القرن الأول ق. م. وذلك الملخص المذكور مأخوذ عن كتاباته.

كان "دانوس" و"إيجيبتوس" توأمين، وكان "بيلوس" (Belus) أبوهما ملك "مصر". عين الملك "إيجيبتوس" حاكمًا على "بلد العرب" وعين "دانوس" حاكمًا على "ليبيا" (أي البلاد الواقعة غربي نهر "النيل"). ولخوف "دانوس" من وجود مؤامرة على حياته، أمر بناته بإخفاء سكاكين في أفرشة عرسهن وأن يقتلن أزواجهن في ليلة الزواج. فنفذن جميعهن أوامره عدا واحدة، نجا زوجها وخلف "دانوس" في الملك.

يبدو من على السطح التشابه الرهيب بين قصة "دينه" والأسطورة الإغريقية. ففي القصتين، عرض الملك إقامة زواج جماعي بين أفراد عائلته وعائلة أخرى أقل قدرًا منها؛ وتقبل الأسرة الأدنى بالزواج إلا أنها تضمر نية لقتل الملك وأبنائه ؛ فتقتل الأسرة ذات المقام الأدنى أبناء الملك ثم ترحل إلى مكان آخر. (جاء في جزء مستقل من مصدر آخر لهذه الأسطورة، أن أهل "دانوس" قتلوا أبناء "إيجيبتوس" بينما كانوا في "مصر"، ثم هربوا بعد ذلك إلى "أرجوس") كانت بنات الأسرة الأدنى مقاما يعرفن باسم "داناديات" (Danaides) (أي "بنات دانوس" بالإغريقية) ولقد كانت الشخصية المحورية في الأسرة الأقل شأنًا في القصة التوراتية هي "دينه"، التي يشترك اسمها في الأصل مع اسماء "دانوس" و"داناديات".

والاختلافان الرئيسيان بين الرواية التوراتية ونظيرتها الإغريقية هما:

1 – لم يكن "يعقوب" و"حمور" إخوة، ناهيك عن كونهما توأمين.

2 – تفتقر القصة التوراتية لعدم وجود فريقين من الأبناء، وكل فريق مكون من خمسين فردا، والتي تتواجود في القصة الإغريقية.

أما بالنسبة للنقطة الأولى، فكما سبق ولاحظنا، تعني كلمة "حمور" "الحمار الأحمر" والتي ترمز إلى "عيسو"/ "الرجل المشعر ذو الشعر الأحمر". وفي كلتا الحالتين يطابق هذا وصف الإله "ست" الذي يرمز له بالحمار ذو اللون الأحمر. أما بالنسبة للإعتراض الثاني، فيمكننا إظهار وجود خمسون طفلا في رواية سفر "التكوين" أيضًا.

يقسم سفر "التكوين" عائلة "يعقوب" إلى فريقين رئيسيين – فريق "راحيل" المكون من ابني"راحيل" وابني جارتها "بلهة"، وفرع "ليئة"، المكون من أبنائها الستة وابني جارتها "زلفة". يذكر سفر "التكوين" قائمة بأربعة وستين ولداً وحفيداً لكل زوجة من زوجات "يعقوب" قبل ذهابهم إلى "مصر". وفي تلك القائمة كان لـ "ليئة" أربعة وثلاثون ابنا. ولا يقتصر الأمر على وجود خمسيون طفلا لـ"يعقوب" بل إن سفر "التكوين" وقصة "أبولودوروس" كلاهما يقسم هؤلاء الأبناء إلى ثماني مجموعات فرعية.

ولأن "ليئة" هي أم "دينه" وأخويها اللذين انتقما لشرفها "شمعون" و"لاوي"، يمكننا استنتاج أن القصة نشأت عن فرع "ليئة" من بين فروع بني "إسرائيل".

الأسطورة رقم 62

ودعى إبراهيم ابنه باسم "الذي ضحك"

الأسطورة: "وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُ اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ. فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ لَيْتَ اسماعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!. فَقَالَ اللهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ." (تكوين 17: 15 – 19)

الواقع: غير جامعي "التوراة" اسم ابن "إبراهيم" إلى الاسم "إسحاق"، لأن اسمه الأصلى كان له صلة مباشرة بـ"أوزوريس" الإله المصري مانح الحياة.

أطلق "إبراهيم" على ابنه اسم "اسحاق" الذي يعني "الذي ضحك". توجد في سفر "التكوين" العديد من الأسماء التي أطلقت على أطفال بسبب الضحك.

أولى تلك الأحداث كانت عندما أخبر الرب "إبراهيم" بأن "سارة" ستنجب له طفل. وإذ كان "إبراهيم" في المئة من عمره وكانت "سارة" في التسعين، فقد ظن "إبراهيم" بأن الأمر مضحك فوقع على وجهه ضاحكا. تجاهل الرب ضعف إيمان "إبراهيم" الظاهر من ضحكه، وأكد له أن "سارة" ستلد له أبناء. ثم أخبره بأن اسم الطفل سيكون "إسحاق". وهذه القصة تنتمي للمصدر "الكهنوتي".

أما المصدر "اليهوي" فله رواية مختلفة. في تلك الرواية، يخبر الرب "إبراهيم" بأن "سارة" ستنجب طفلاً، فسمعت "سارة" بالخبر. فكان لها نفس ردة فعل "إبراهيم" الأولى، ولنفس الأسباب ضحكت. لكن هذه المرة، عبر الرب عن غضبه – فقد رآى في ضحكها شك في قدرته– وساءل "سارة" عن سبب فعلتها. فحاولت إخفاء ما بها، وأنكرت الأمر برمته. لكن الرب علم بكذبها.

وفي المصدر "الألوهيمي" ضحكت "سارة" بعد ولادة الطفل وقالت " قَدْ صَنَعَ إِلَيَّ اللهُ ضِحْكًا. كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ يَضْحَكُ لِي" (تكوين 21: 6)

وفي كل واحدة من تلك الروايات يأتي الحديث عن "إسحاق" في سياق من الضحك، ولكن من كل زاوية مختلفة في كل رواية. وفي المصدر "الكهنوتي" لا يسوء الرب سماع ضحك "إبراهيم". لكنه يغضب في رواية المصدر "اليهوي" من ضحك "سارة" لسماعها الخبر. بينما في المصدر "الألوهيمي" يحدث الضحك بعد ميلاد الطفل. يرى المصدر "اليهوي" ذنبًا في ردة الفعل تلك، فبينما يراها المصدر "الكهنوتي" شيئًا سلبيا، يراها المصدر "الألوهيمي" كشيئ إيجابي. فلماذا كل هذا التضارب بشأن قصة بسيطة كهذه؟

فلنضع في إعتبارنا هذه المعلومة الإضافية ولنرى. لقد جاء في الأسطورة السابقة، أن قصة "دينه" تداخلت مع أسطورة إغريقية عن "دانوس" و"إيجيبتوس" ضمن تاريخ آباء "إسرائيل". وعندما هرب "دانوس" إلى "أرجوس" حل محل ملك اسمه "جلنور" (Gelanor) والاسم باللغة الإغريقية يعني "الضحك". (واسم "إسحاق" باللغة الإغريقية هو "جلنوس"

(Gelanos) وفي سفر "التكوين" حلت شخصية "يعقوب" التي هي "دانوس"، محل "إسحاق" أي "الضحك"، كقائد للشعب العبراني. مما يرجح أن "إسحاق" لم يكن الاسم الأصلي لابن "إبراهيم".

وهناك دليل آخر على أن اسم "اسحاق" الاصلي لم يكن "الذي ضحك"، وهو وجود حادثين آخرين استعمل فيها اسم "الخوف من إسحاق" كبديل لأسم رب اسرائيل (تكوين 31: 42، 53). فما هو مدى الرعبالذي يمكن هن يسببة أسم ك "خافوا من الذي ضحك"؟

إذا لم يكن اسم "إسحاق" هو الاسم الأصلى، فما معني هذا الأسم؟ يوجد الحل في علاقة "إسحاق" بأفراد عائلته. فلقد وضحنا سابقا أن ولدي اسحق "يعقوب" و"عيسو" رمزا لـ"حورس" و"ست" شقيقا "أوزوريس"، وأن زوجته "رفقة" رمزت لـ"إيزيس" زوجة "أوزوريس". مما يعني أن "إسحاق" سيكون رمزًا لـ"أوزوريس"، مما يستتبع حصوله على اسم يدل على هذا.

في "مصر"، حكم "أوزوريس" الحياة الأخرى، وكان يمنح الحياة الأبدية. وكما رأينا فيما سبق من مناقشتنا لشجرة الحياة في جنة "عدن" (الأسطورة رقم 20) أن منقحي "التوراة" سعوا لإفراغ الرواية من اقترانها بـ"أوزوريس". وعندما أدخلت قصة "دانوس" إلى النص، وفرت إحد أولى الفرص للرواة الإسرائيليين لتغير اسم ابن "إبراهيم" إلى اسم الملك الذي حل محله "دانوس"/ "يعقوب". وحيث أن كتبة "التوراة" كانوا من رواة القصص، فقد وفروا تفسيرًا لتسمية "إسحاق"، فخرجوا بتلك التفسيرات الثلاث.

الأسطورة رقم 63

وصار أبناء يعقوب أسباط إسرائيل الإثنى عشر

الأسطورة: "وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ. اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ، وَاسْمَعُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ... جَمِيعُ هؤُلاَءِ هُمْ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ الاثْنَا عَشَرَ. وَهذَا مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ أَبُوهُمْ وَبَارَكَهُمْ. كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ بَرَكَتِهِ بَارَكَهُمْ. " (تكوين 49: 1 – 2 و 28)

الواقع: كان أبناء "يعقوب" الإثني عشر مؤسسين أسطوريين لعدد من المجموعات السياسية التي اندمجت في بيت بني "إسرائيل".

كان لـ"يعقوب" أربع زوجات. يوضح الجدول التالي أي زوجة كان لها أي اي ابن والأعداد المقترنة بكل واحد هو ترتيب ولادته:

ليئة	بلهة (جارية راحيل)	زلفة (جارية ليئة)	راحيل
1 – راؤبين	5 – دان	7 – جاد	11 – يوسف
2 – شمعون	6 – نفتالي	8 – أشير	12 – بنيامين
3 – لاوي			
4 – يهوذا			
9 – يساكر			
10 – زبولون			

وفيما بعد، أنجب "يوسف" ابنان هما "منسى" و"إفرايم"، تبناهما "يعقوب" بعد ذلك. وعومل كل ابن منهما بصفته سبط منفصل، مما نتج عنه خلط حول ما إذا كان عدد الأسباط ثلاثة عشر أم إثني عشر. وفي مقدمة الجزء الثاني، وضعت وصفًا مختصرًا للوضع السياسي والجغرافي لأبناء وزوجات بني "إسرائيل".

إن فكرة وجود إثني عشر ابنًا لـ"يعقوب" أسسوا أسباط "إسرائيل" الأثني عشر، هي إحدى المعتقدات الرئيسية في "العهد القديم". لذا، يظن المرء أن كتبة "التوراة" كان عليهم وضع رواية متماسكة عن أعداد وأسماء هؤلاء الأسباط. بيد أن الأمر ليس كذلك، ما يرجح وقوع خطأ ما في السرد التاريخي. فبغض النظر عن وجود ثلاثة عشر أم إثني عشر سبط، أو ما إذا كان نسل "يوسف" سبط واحد أم اثنان، يجب علينا متابعة ما يقوله "الكتاب المقدس" حقًا لنعرف.

يقدم "موسى" مباركة لأسباط "إسرائيل" في سفر "التثنية" 33. لكن للغرابة يختفي ذكر سبط "شمعون". إذن، فماذا حدث لنسل ثاني أبناء "يعقوب"؟

يبدو خلط آخر في سفر "القضاة الأول" حين يعرض جهود الأسباط لغزو "كنعان". وفي تلك القائمة يذكر "يوسف" كسبط مستقل عن ابنيه، ويتم حذف أربعة أسباط هم: "راؤبين" و"جاد" و"لاوي" و"يساكر". فأين اختفوا؟

يوجد غموض آخر في سرد سفر "الملوك الأول" 11. فالرائي "أخيا" (prophet Ahijah) يتنبأ بانقسام مملكة "سليمان"، فيمزق ثوبه إلى إثني عشرة قطعة، فيعطي عشرة منها لـ"يربعام" من أجل الأسباط العشر الذين سيكونون المملكة الشمالية ويعلن أن خليفة "سليمان" سيكون سبط واحد. إذن، من حصل على قطعة الثوب الثانية عشرة، مملكة "يهوذا" أم مملكة "إسرائيل"، وأي سبط سيمثلها؟

أما أهم الدلائل عن هيكل التقسيمة السياسية لـ"إسرائيل" فتأتي من "ترنيمة دبورة" (Song of Deborah) في سفر "القضاة" 5. ومن المرجح أن هذا النص هو أقدم نص توراتي، فتاريخه يعود إلى القرن الواحد أو الثاني عشر قبل الميلاد وأغلب الظن أنه كان معاصرًا لأحداث ذلك الزمان. وهو يروي جهود "دبورة" لحشد بني "إسرائيل" في مواجهة الملك الكنعاني الذي سيطر على معظم "كنعان" من قاعدة له ضمن الحدود الشمالية لسبط "نفتالي". تقول تلك الفقرة بأن الأسباط استجابوا للدعوة، لكن الأسماء المذكورة لم تشترك إلا قليلاً مع الأسماء الإثني أو الثلاثة عشر المذكورة لأبناء "يعقوب".

تسمي: ترنيمة دبورة" أحد عشر كيان سياسي، ثلاثة منهم لم تكن اسمائهم من ضمن أبناء "يعقوب" وهم: "جلعاد" و"ماكير" (Machir) و"ميروز" (Meroz). كما حذفت خمس أسباط متحدرين من "يعقوب" هم: "شمعون" و"لاوي" و"يهوذا" و"منسى" و"جاد". لذا فالصورة المرسومة لـ"إسرائيل" تتكون من أحد عشر كيانًا سياسيًا فقط، ثمانية منهم لهم اسماء أبناء "يعقوب" وثلاث بأسماء أخرى. ولأن هذا النص من أقدم نصوص "الكتاب المقدس" فذلك الحذف والإستبعاد يعد دليلاً قويًا على المجرى التاريخي الذي أدى لوجود "إسرائيل" وقدر اتصاله بأبناء "يعقوب".

تتكون الأسماء المحذوفة من ثلاثة من أبناء "ليئة" الأربعة ("شمعون" و"لاوي" و"يهوذا") وأكبر أبناء "يوسف" ("منسى") وأكبر أبناء "زلفة" ("جاد"). وعدم وجودهم في "ترنيمة دبورة" دليل على عدم وجودهم بصفتهم كيانات سياسية حتى وقت متأخر وعلى أن حاملي هذه الأسماء لم يكن لهم وجود مبكر كأبناء "يعقوب".

أما "ماكير" و"جلعاد"، وهما الاسمين اللذين لم يكونا من أبناء "يعقوب"، فكان أولهما "ماكير" وهو رجل أتى ذكره كواحد من أوائل من خرجوا من "مصر" في "التوراة" وكان ابن "منسى"، لذا يمكن اعتبارة من أبناء "يعقوب". أما "جلعاد" فيظهر اسمه لأول مرة في "التوراة" كاسم لمنطقة "الأردن". وخلال توزيع مناطق نفوذ الأسباط بعد "الخروج" تقسم "جلعاد" إلى ثلاث مناطق وتفرق على أسباط "راؤبين" و"جاد" و"منسى". وهذا يرجح أن "منسى" قامت بالاتحاد مع "ماكير" وجزء من "جلعاد" فيما بعد، ذلك لأن "منسى" صارت من أكبر مناطق "إسرائيل"، وصورت على أنها من نسل "يعقوب".

أما ثالث المناطق التي حملت اسما ليس من أبناء "يعقوب" فهي "ميروز"، التي تظهر في فقرة وحيدة من نص "التوراة". ورغم وصفها كجزء من "إسرائيل" إلا أن ذكرها لا يأتي في أيّ قائمة من قوائم الأنساب أو الحدود السياسية في "الكتاب المقدس"، مما يرجح اختفائها من تاريخ "إسرائيل" في زمن مبكر.

وعلى أساس "ترنيمة دبورة" يكون لدينا صورة حول الكيانات السياسية التي كونت أم "إسرائيل" خلال عصور "القضاة"، وتلك الصورة تختلف عن التطور المبين في اسماء أبناء "يعقوب". ففي ذلك الزمن المبكر، تبدو "إسرائيل" ككونفدرالية مكونة من أحد عشر كيانًا سياسيًا: "راؤبين" و"جلعاد" ناحية "الأردن"، و"بنيامين" و"إفرايم" و"ماكير" و"نفتالي" و"زبولون" و"أشير" و"يساكر" و"دان" على الجانب الكنعاني، و"ميروز" في موقع مجهول. ومن هذه الأماكن ستة على الأقل لهم علاقة بفرع "راحيل" الإسرائيلي: "بنيامين" و"إفرايم" و"ماكير" و"جلعاد" (الاثنان الأخيران عن طريق صلتهما ب"منسى")، و"دان" و"نفتالي" (الاثنان الأخيران عن طريق صلتهما بجارية "راحيل") مما يعني أن كونفدرالية "راحيل" كانت لب أسباط "إسرائيل" القدامى.

كان جميع من استجاب لدعوة "دبورة" من مجموعة "راحيل" في "كنعان" بالإضافة إلى اثنان من الأسباط الأدنى قدرًا المنتمين لـ "ليئة". فلم يشارك أي من عشائر "ليئة" الرئيسية في المعركة، وهو ما يدفعنا للظن بأن زواج "يعقوب" من "ليئة" كان إضافة متأخرة على القصة التوراتية، وكان الهدف منه ذكر العشائر التي ظهرت جنوب "كنعان" بعد قيام حلف بني "إسرائيل".

الأسطورة رقم 64
وكان رأوبين أكبر أبناء يعقوب

الأسطورة: "وَهذِهِ اسماءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مِصْرَ: يَعْقُوبُ وَبَنُوهُ. بِكْرُ يَعْقُوبَ رَأُوبَيْنُ" (تكوين 46: 8)

الواقع: دعي ابن "يعقوب" البكر بإسم "راؤبين"، لأن هذا المكان كان أول مستعمرة إسرائيلية تقام بعد "الخروج" من "مصر".

كما رأينا في مناقشتنا للأسطورة رقم 63، لم تسمى حدود "إسرائيل" السياسية بأسماء أبناء "يعقوب". فالأسماء عكست تقسيمات سياسية سابقة على ذلك، وفيما تطورت التحالفات السياسية تطورت اسماء المؤسسون الأسطوريون. إن تعريف المناطق على أساس اسماء الآباء المؤسسين كان عرفًا سائدًا في العصور القديمة. ولقد بين "ثبت الأمم" المذكور في سفر "التكوين" 10 امتداد ذلك العرف حتى الألفية الأولى قبل الميلاد.

وحيث أن المؤسسين صاروا يقرنون بأسماء الحدود السياسية صارت الحوادث التي تجري بين الجيرة الجغرافية والحدود السياسية تروى في قصص تصف معاملات إنسانية. فغزو مدينة يمكن أن يوصف في شكل تزواج بين أفراد العائلات الملكية من مدينة وأخرى. ومملكة تابعة لأخرى يمكن أن توصف بأنها إبنة للمملكة المسيطرة.

ذلك العرف كثيرًا ما أدى إلى الخلط ومثل هذا العرف كان سائد في نص "الكتاب المقدس". لنرى مثلاً، كيف صورت "التوراة" منطقة "جلعاد" في شكل كيان سابق على ميلاد أسباط "إسرائيل" وكسليل أحد أبناء الأسباط الإثني عشر الذين حكموا المنطقة.

إن تصوير "راؤبين" على أنه ابن "إسرائيل" البكر، أحد تلك الصور من التطور. فسفر "التكوين" يقول بأن "راؤبين" أول أبناء "يعقوب"، لذا فمن المثير للدهشة أن نجد بأن "راؤبين" – نظرًا لصلتها بباقي مجموعات "إسرائيل"– كانت أولى المناطق التي استوطنها الإسرائيليون.

فعندما خرج بنو "إسرائيل" من "مصر" اتخذوا طريقًا دائريًا ليصلوا إلى "كنعان"، إذ مروا بـ"الأردن". ولقد كانت "راؤبين" موجودة أقصى جنوب الحدود الإسرائيلية في "الأردن"،

أي أن "راؤبين" كانت مجازيًا، أول أبناء "إسرائيل". لكن هذا التشبيه المجازي صار واقعًا في النص التوراتي.

وبصفته المولود البكر لـ"يعقوب"، كان لابد لـ"راؤبين" من وراثة عهد الرب، إلا أن هذا لم يحدث في الواقع. فكان من المحتم على الكتبة أن يفسروا هذا الاعوجاج، فظهرت قصص التنافس، إحداها من "يهوذا" والأخرى من "إفرايم".

وقصة سبط "إفرايم" تقول ببساطة أن "إفرايم" كان وريث العهد عن طريق "يوسف"، الذي تفوق على "يهوذا" لأنه كان الابن البكر لزوجة "يعقوب" المفضلة. وكمنافس لجماعة "ليئة" خرج الادعاء وقت أن كان "راؤبين" هو الوريث، بأن "يهوذا" رابع الأبناء هو الأحق بالريادة، فقالوا بأن "راؤبين" لم يعد مؤهلاً لأنه حاول أن يضاجع "بلهة"، جارية "راحيل" وزوجة "يعقوب". فارتقى "يهوذا" ليكون ترتيبه الثالث في وراثة العهد و لم يعد أمامه سوى مرشحان آخران ليزيحهما من طريقه وهما "شمعون" و"لاوي" (انظر الأسطورة رقم 65).

الأسطورة رقم 65

ونحى يعقوب ابناه شمعون ولاوي عن الحكم

الأسطورة: "شِمْعُونُ وَلاَوِي أَخَوَانِ، آلاَتُ ظُلْمٍ سُيُوفُهُمَا. فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي. لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَانًا، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْرًا. مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ، وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ. أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ." (تكوين 49: 5 – 7)

الواقع: فيما ظهرت "يهوذا" على الساحة السياسية تغلبت على "شمعون" و"لاوي" وطوتهم تحت لوائها.

في مباركته الأخيرة لأبنائه (تكوين 49) يدمج "يعقوب" كل من "شمعون" و"لاوي" معًا ويتهمهما بالقيام بعمل عنيف وقاسي. فيستثنيهما من حق الوراثة لهذه الأسباب. وحيث أن "راؤبين" كان قد استثني من قبل، سمح استثناء الوارثين الثلاثة الأوائل، للعاهل الرابع بتسلم

حق الوراثة. وقعت مسؤولية الترويج لهذه الفكرة على عاتق أهل "يهوذا"، لتبرير سبب توليهم لحكم "إسرائيل".

تعد هذه المرة الثانية التي يتم جمع "شمعون" و"لاوي" معًا في سفر "التكوين". فحدثت للمرة الأولى في قصة اغتصاب "دينه" عندما دخل الاثنان خلسة إلى معسكر "شكيم" وذبحا الملك وابناه أخذًا بثأر شقيقتهما.

لكن هذه المرة، يستنكر "يعقوب" فعلتهما، فيقول أنها شوهت صورة العائلة في أعين جيرانهم وأن هذا استتبع أن يرحلوا عن وطنهم. وردًا على اتهامهما قالا: **"أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا؟"** فحرمهما من حق وراثتهما قائلاً:

"لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَانًا، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْرًا. مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ، وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ."

و لم يكن من الواضح إن كان حديثه الأخير عن حادث "شكيم" أم عن شيئ آخر، لكن يبدو أن هذا الحادث هو الوحيد المذكور في سفر "التكوين" الذي ينطبق عليه هذا القول. وكعقاب لهما على فعلهما يعلن "يعقوب": **"أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ"** (تكوين 49: 7)

يعيد حكم "يعقوب" لأذهاننا صورة التقسيمات السياسية الإسرائيلية في "كنعان". فحدود "شمعون" تكونت من عدة مناطق بداخل الجزء الجنوبي من "يهوذا". و لم يكن لها حدود مستقلة، فكانت حدودها متفرقة فعلاً. وكذلك لم تكن لـ "لاوي" حدود مستقلة. فكان لها بعض المدن المخصوصة بداخل مناطق قبلية مختلفة. ومع ذلك، فالسبب المذكور لتفريق حدود اللاويين بين عشائر "إسرائيل"، كان بسبب طابع اللاويين الكهنوتي وهو ما استلزم تفرقهم لتوفير عدد كاف من الكهنة لتغطية أنحاء المملكة، بالأضافة لأماكن اللجوء السياسي، لذا فهذا التفريق لم يكن عقابًا لهم.

أما وصف السبطان بكونهما عنيفان وقاسيان ففيه شيئ من المبالغة الصعبة على الفهم. فإن كانت معرفتنا بـ"شمعون" تشكل صعوبة في الحكم على شخصه، فان "لاوي" يظهر لنا كم لو كان يملك ازدواجًا في الشخصية، فمرة هو مقاتل عنيف ومرة أخرى هو كاهن ورع.

فمن جهة نجد أن انضمام "شمعون" لـ"لاوي" في قتال "شكيم" لم يمثل استثناء، إذ أن

له أصداء سابقة في تاريخ "إسرائيل". ففي زمن "الخروج" بعد حادث "العجل الذهبي" نجد أن "إسرائيل" قتلت ما يزيد على الثلاثة آلاف شخص لإنكارهم الرب. بالإضافة إلى تعيينها حراس (وليس رعايا) لـ"تابوت عهد الرب".

ومن جهة أخرى، نجد أن سبط اللاويين كان سبط "موسى" و"هارون" أعظم قادة "إسرائيل" الروحيين. فقد عمل اللاويون كطبقة كهانة كما عمل أتباع "هارون" كرؤساء للكهنة. وإن كان اللاويون قد حرموا من دور الريادة، فكيف تسنى لـ"موسى" قيادة الأمة و"هارون" تولي رئاسة الكهنة؟

تلك التضاربات تعزز الرأي القائل بوجود فريقان منفصلان من اللاويين. وذلك الفريق التابع لـ"شمعون" كان فريقًا عسكريًا اتحد مع الساميين. ولابد أن اللاحق على ذلك هو تطور جزء منه ليكون طبقة من الكهنة. فمن المحتمل أن الفريقان كان لهما نفس الاسم، وفي خضم حماسة كتبة "يهوذا" لإضفاء الشرعية على حكم "يهوذا"، أخذوا بعضًا من القصص القديمة وأدمجوها في القصص المروية حول الفريق الثاني.

وهنا تجدر الملاحظة الي وجود مدينة تسمى "شكيم" كان لها ملكا اسمه "لابايا" (Labaya)، في ذمن سبق عصر "الخروج" بأقل من قرن من الزمان. وقد استطاع هذا الملك إقامة مملكة امتدت إلى معظم أرجاء "كنعان"، وكان المنافس الأكبر للهيمنة المصرية على هذة المنطقة. ولابد وأن هذا الملك كان ذائع الصيت في منطقة "شكيم" وما حولها، خلال عصر "الخروج" وما بعده. وهي نفس المنطقةالتي ارتبطت بأفعال اللاويين.

بعد موت "لابايا" تولى أبناؤه الحكم، لكن نجم المملكة أخذ في الأفول. فأصبحت "شكيم" فيما بعد مركزًا ثقافيًا مهمًا. حيث زعم أن رفات "يوسف" مدفونة هناك وأن "يشوع" قد كون حلفه فيها. لكن لا توجد رواية تؤكد انتصار "يشوع" على "شكيم"، لذا لابد أنها كانت على علاقة طيبة بـ"إسرائيل".

أما اسما "لابايا" و"لاوي" فمتشابهان، فحرفي "الواو" و"الباء" يقبلا البدل في اللغات السامية. ولربما وفرت ذكريات الحروب العسكرية التي قادها "لابايا" في "شكيم" نموذج يضرب به المثل في وصف "لاوي" كمثال للرجل الدموي العنيف. فإنه من المحتمل أن المعارضة الشرسة التي قادها ضد "مصر" جعلته يرتبط بالمعارضة التي قادها "موسى" اللاوي ضد "مصر".

لقد احتل الساميون المقاطعات التي اقترنت بـ"إبراهيم" و"إسحاق" في جنوبي "كنعان". وكانت "بئر سبع"، وهي احدي مدن جنوب كنعان، هي المكان الذي واجه فيه هذان الأبوان الروحيان ملكا من الأعداء وعقدا معاهدة للصلح حول بئر ما. وتلك العلاقة بين المواقع الجغرافية وآباء "إسرائيل" كان لها تأثيز في اعتبارها أحد أوائل أبناء "يعقوب".

إن ذكر "شمعون" و"لاوي" معًا في مناسبتين مختلفتين، تعد دليل على وجود حلفا ما بينهما. نرى هذا أيضًا في حذفهما مع منافسهما الرئيسي "يهوذا" من تقويم العشائر المذكور في "ترنيمة دبورة". وإن كانت هذه إشارة على صعود تلك العشائر الثلاث في زمن متأخر، فهي دليل على أن الفريق الاوي الموسوم بالقسوة والدموية كان فريق مبكر عليهم ليس له صلة ببني "إسرائيل".

بينما يظهر لنا خروج كيانات جديدة تحت مسمى "لاوي"، يختفي "شمعون". فهو السبط المحذوف من مباركة "موسى" لبني "إسرائيل" (سفر "التثنية" 33، ومن المحتمل أنها إضافة متأخرة تعود للقرن السابع قبل الميلاد.) إن فشل "شمعون" في تكوين عشيرة خاصة ذات حدود خاصة بها –فقد وجدت بداخل حدود "يهوذا" – دليل على احتواء "يهوذا" لها سياسيًا بعد أن ثبتت قدما "يهوذا" كقوة سياسية.

الأسطورة رقم 66

وقدم يعقوب الصولجان ليهوذا

الأسطورة: "يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. يَهُوذَا جَرْوُ أَسَد، مِنْ فَرِيسَة صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَد وَكَلَبْوَة. مَنْ يُنْهِضُهُ؟ لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوب." (تكوين 49: 8 – 10)

الواقع: إن هذه النبوءة التي تعارض الملك "سليمان" والتي قيلت على لسان "يعقوب" إضافة أدخلها كاهن من "شيلون".

بعد أن تبرأ "يعقوب" من "راؤبين" و"شمعون" و"لاوي" بات "يهوذا" في الصدارة.

ورغم أن "يوسف" بقي كوريث للمباركة، أعلن "يعقوب" أن الصولجان لن يفارق "يهوذا". فإن نال "يعقوب" وراثة العهد والمباركة، فماذا تعني وراثة "يهوذا" للصولجان؟

كان الصولجان رمزًا للسلطة الملكية، كما هو واضح، وكان "داود" و"سليمان" ينتميان لعشيرة "يهوذا". لكن "إسرائيل" لم يحكمها ملك لمئات السنين بعد زمن "الخروج" ولقد عارضت الكثير من الفرق الإسرائيلية فكرة الحكم الملكي.

يقول النص أن الصولجان لن يفارق "يهوذا"، إلا أنه جاء في "الكتاب المقدس" أن "شأول" كان الملك الأول وكان ينتمي إلى "بنيامين". إذن فالصولجان فارق "يهوذا".[4] وعندما مات "شأول" خلفه ابنه الذي كان من "بنيامين" أيضًا. و لم يتمكن "داود" من حكم "إسرائيل" إلا بعد موت "شأول" وقد كان حكمه في "يهوذا" فقط.

فلو أن "يعقوب" رأى هذه الرؤيا حقًا فمن المحتم أن عطب ما أصاب قواه. فإن ادعى أحد ببقاء صولجان الحكم في "يهوذا" كان لابد له من أن يكون قد قال ذلك أثناء وجود الحكم في "يهوذا" بالفعل، في زمن ما بعد حكم "داود" (ليس من الضروري أن يكون في زمن "داود"). لكن هذا لم يحدث. وعلاوة على ذلك، كانت نبوءة "يعقوب" مشروطة. فالصولجان سيبقى في "يهوذا" والتشريع سيخرج من أسرته " حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ ". ومتى سيكون هذا؟ هل هذه نبوءة بيوم القيامة؟

كانت "شيلون" مدينة مركزية في "إسرائيل" قبل العصر الملكي. وقبل وجود "تابوت عهد الرب" فيها. عندما كان "سليمان" ملكا قام "أخيا" مع كاهن من "شيلون" بتعيين "يربعام" بن "إفرايم" لقيادة "إسرائيل" للخروج عن "يهوذا". وعندما مات "سليمان" قاد "يربعام حربًا أهلية أدت إلى انفصال "إسرائيل" عن "يهوذا".

لذا فالنبوءة تعكس وجهة نظر "شيلون" ومن المرجح أنها قيلت أثناء حكم "سليمان" أو بعده مباشرة. فهي تعترف بصفة "سليمان" كملك وتتنبأ بأن حكم "يهوذا" سينتهي عندما تعود "شيلون" التي ضمن حدود "إفرايم" إلى الصدارة، وهذا هو الذي حدث تحت حكم "يربعام".

الأسطورة رقم 67

ووُلِد بنيامين في كنعان

الأسطورة: "ثُمَّ رَحَلُوا مِنْ بَيْتِ إِيلَ. وَلَمَّا كَانَ مَسَافَةٌ مِنَ الأَرْضِ بَعْدُ حَتَّى يَأْتُوا إِلَى أَفْرَاتَةَ، وَلَدَتْ رَاحِيلُ وَتَعَسَّرَتْ وِلاَدَتُهَا. وَحَدَثَ حِينَ تَعَسَّرَتْ وِلاَدَتُهَا أَنَّ الْقَابِلَةَ قَالَتْ لَهَا لاَ تَخَافِي، لأَنَّ هذَا أَيْضًا ابْنٌ لَكِ. وَكَانَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهَا، لأَنَّهَا مَاتَتْ، أَنَّهَا دَعَتِ اسْمَهُ بَنْ أُونِي. وَأَمَّا أَبُوهُ فَدَعَاهُ بَنْيَامِينَ." (تكوين 35: 16 – 18)

الواقع: يدل اسم "بنيامين" الأصلي "بن أوني" (Ben-Oni) على وجود صلة بينه وبين المدينة المصرية "هليوبوليس" التي كانت تعرف باسم "أون" في "الكتاب المقدس".

ناقشنا فيما سبق موقع قبر "راحيل" (الأسطورة رقم 60)، ولاحظنا وجود تضارب بشأن مكان مماتها. وقد كان من المستبطن أنها ولدت "بنيامين" في "كنعان".

كان "بنيامين" هو الابن الثاني عشر لـ"يعقوب" والثاني لـ"راحيل". فكان هو الأخ الشقيق لـ"يوسف". وبعد أن باع إخوة "يوسف" أخاهم كعبد، أصبح "بنيامين" ابن "يعقوب" المفضل.

إن أصل اسم "بنيامين" محل تساؤل. فأباه كان يدعوه "بنيامين" لكن أمه دعته "بن أوني"، ومعناه "ابن أون"، ولقد كان "أون" هو الاسم التوراتي لمدينة "هليوبوليس" المصرية. وكانت المدينة إحدى أهم المراكز الثقافية في "مصر" وكانت لها علاقة وثيقة بـ"يوسف" الأخ الشقيق الوحيد لـ"بنيامين". عندما أصبح "يوسف" رئيس وزراء "مصر" تزوج من "أسنات" (Asenath) ابنة الكاهن الأكبر لمدينة "هليوبوليس". (كان اسمها يعني "هي التي تنتمي للإلهة نيث Neith) وكانت أم ابناه الاثنان، "إفرايم" و"منسى". فكانت جذور فرع "راحيل"، الذي كون مركز "إسرائيل" والذي شارك حدود "بنيامين"، من مدينة "هليوبوليس".

إذا كان لفرع "راحيل" الرئيسي أصول من "هليوبوليس"، سيكون من الغريب أن يكون للفروع الهامشية صلات بـ"هليوبوليس" أيضًا. لكن أن تدعو "راحيل" ابنها الأصغر بإسم "ابن هليوبوليس" لهو دليل على وجود أصول مصرية لـ"بنيامين" أيضًا.

تشير القصص التوراتية التي تدور حول نسل "راحيل" و"ليئة" إلى وجود تنافس قوي بين الفرقتان. فتبين لنا "ترنيمة دبورة" أنه باستثناء "راؤبين" لم يكن لفرع "ليئة" ("شمعون"

و"لاوي" و"يهوذا") أي وجود إلا بعد الاستقرار في "كنعان" بزمن طويل. أما فرع "راحيل" فيظهر علاقات وثيقة بـ"مصر".

وتلك الدلائل ترجح أن الجماعات الأصلية التي خرجت من "مصر" لابد وأنها من فرع "راحيل" وأن فرع "ليئة" لم ينضج ككيان سياسي إلا بعد زمن "الخروج" بكثير. ولقد ألف الكتبة عائلة "يعقوب" الأسطورية في محاولة لإكساب تلك الفرق السياسية تاريخ موحد.

الأسطورة 68

وكانت دان سبطًا من أسباط إسرائيل

الأسطورة: "فَحَبِلَتْ بِلْهَةُ وَوَلَدَتْ لِيَعْقُوبَ ابْنًا، فَقَالَتْ رَاحِيلُ قَدْ قَضَى لِيَ اللهُ وَسَمِعَ أَيْضًا لِصَوْتِي وَأَعْطَانِي ابْنًا. لِذلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ دَانًا." (تكوين 30: 5 – 6)

الواقع: كان سبط "دان" واحد من الشعوب البحرية الإغريقية التي جاءت إلى "كنعان" مع الفلسطينيين، ثم انضم بعد ذلك إلى الكونفدرالية الإسرائيلية.

وفقًا لـ"الكتاب المقدس" كان "دان" خامس أبناء "يعقوب" وأول أبناء "بلهة" جارية "راحيل". احتلت عشيرة "دان" في البداية مكان يقع على ساحل البحر المتوسط في "كنعان" جنبًا إلى جنب مع الفلسطينيين، لكنها في النهاية انتقلت إلى الطرف الشمالي لـ"إسرائيل" حيث أقامت مركزًا دينيًا هناك. وجغرافيًا، تتكون "دان" من طرف صغير على قمة حدود "نفتالي" شقيق "دان".

كان أشهر مواطني "دان" هو "شمشون" "Samason" الذي دارت أحداث قصته حينما لم تزل "دان" على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وللغرابة لم يكن لشمشون أي إتصال ببني "إسرائيل"، فقد اقتصرت كل تعاملاته على الفلسطينيين. ويقال عن "دان" في ترنيمة "دبورة"، أنه بقى على ظهر سفنه، مما يعني أن أهل "دان" كانوا من الشعوب التي ترتاد البحار، إذ كانوا يسكنون بالقرب من الساحل حتى العصر ما– قبل الملكيّ المتأخر.

وفي مباركة "يعقوب" يقول، "دَانُ، يَدِينُ شَعْبَهُ كَأَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ." (تكوين 49: 16)

لكن كلمة "دان" هنا تستخدم كتلاعب لفظي، فهي تعني أيضًا "القاضي". لكن السؤال؛ لماذا يضاف دان على أنه أحد أسباط "إسرائيل"؟ فهذه العبارة لا تتصل بأيٍ من المباركات الموجهة للأسباط الأخرى. وكيف يمكن لـ"دان" أن يدين "إسرائيل" بصفة أخرى سوى صفته كسبط من أسباط "إسرائيل"؟ إلا إذا لم يكن "دان" أحد الأسباط قبل المباركة، وتلميحًا لأنه ليس من أبناء "يعقوب".

يوفر وصف "دان" بأنه بقي على ظهر سفنه على مقربة من شعب "فلسطين"، دليلاً مهمًا على جذور "دان". فلقد وصل الفلسطينيون إلى "كنعان" على ثلاثة دفعات، في زمن مقارب لزمن دخول بنو "إسرائيل" إليها بعد خروجهم من "مصر". وقد قدموا مع جماعة من الغزاة يدعون بالشعوب البحرية، لكن هذا اللقب الحديث مضلل، إذ أنهم هاجموا البلاد من البر والبحر على السواء.

لم تتكون الشعوب البحرية من كيان سياسي أو جغرافي متماسك. فقد كانوا مجموعات متفرقة من التحالفات بين جماعات متغيرة باستمرار. قادمين في الأساس من "الأناضول" (Anatolia) وجزيرة "كريت" (Crete) وبعض المناطق الأخرى من البحر "الأبيض المتوسط" كما تشي بقاياهم الأركيولوجية في "كنعان" بوجود علاقة ثقافية وثيقة بينهم وبين الإغريق المايسينيين (Mycenaean).

ويبدو أن جماعة الفلسطينيين قد قدمت من جزيرة "كريت" واحتلت خمس مدن رئيسية في "كنعان" هي– "أسدود" (Ashdod) و"عسقلان" (Ashkelon) و"غزة" (Gaza) و"عقرون" (Ekron) و"جت" (Gath) (التي جاء منها "جالوت" (Goliath)). وكل مدينة من هذه المدن قامت كدولة مدنية مستقلة واطلق على حكامها اسم "سيرانيم" (Seranim)، الذي ترجمه عدد من العلماء بكلمة "قضاة".

كان من ضمن الشعوب البحرية التي وصلت إلى "كنعان" جماعة تدعى "دانونا" (Danuna)، هؤلاء القوم كما يبدو كانوا بقايا الإغريق "الدانويون" (Danoi)، وهم القوم الذين وصفهم "هوميروس" بأنهم غزاة "طروادة" (Troy). وفي الواقع، يملك العديد من الشعوب البحرية نفس اسماء المشاركين في حرب "طروادة". فعلى سبيل المثال يبدو أن اسم "دردنو" (Drdnw) يوازي اسم "الدردانيون" (Dardanians) الذين ذكرهم "هوميروس" و بالمثل يوازي اسم الـ"ترس" (Trs) "التروسكانيون" (Etruscans)، وقوم "لوقا" (Lukka) يوازون "الليسيون" (Lycians).

ظهرت جماعة "دانونا" في التاريخ لأول مرة كجزء من الزحف العظيم للشعوب البحرية خلال حكم "رمسيس الثالث" حوالي 1190 ق. م. وهو زمن سابق على ترنيمة "دبورة".

هناك كذلك مجموعة أخرى من الشعوب البحرية المسماة بـ "أكوّش" (Ekwesh) الذين قُرنوا أحيانًا في كتابات "الحيثيين" (Hattite) بـ"الأهياوا" (Ahhiyawa) والمرجح أنهم "الآخيون" (Achaeans) الذين ذكرهم "هوميروس" فقد استخدم "هوميروس" كلا اللقبان "دانوي" و"آخيلي" لوصف غزاة "طروادة". أما "إكوّش" ووجود "إسرائيل" فقد ذكرا للمرة الأولى على نفس المسلة التي أقيمت في عصر "مرنبتاح" (Mernpetah) عام 1220 ق. م.

بعد عام 1220 ق. م. بفترة ارتحلت عشيرة "دان" من موقعها على الساحل إلى أقصى شمال "إسرائيل" بسبب الضغوط الفلسطينية كما يفترض. لكن المشوق أن الباحثين الأثريين وجدوا بعض الأواني الفخارية ذات الطابع الفلسطيني في شمال "دان"، وهو من الأماكن الكنعانية القليلة التي عثر فيها علي مثل هذه الآثار خارج المراكز الفلسطينية الكبرى. وهذا يخبرنا بأن "الدانيون"/"الدانونا" الذين انفصلوا عن الفلسطينيين، هربوا نحو الشمال، حيث التحقوا بالكونفدرالية الإسرائيلية طلبًا للأمان.

لذا فـ"دان" لم يكن ابنًا لـ"يعقوب". فالعشيرة المدعوة بهذا الاسم تحدرت من الـ"دانونا" الإغريق"، مما يفسر لماذا وصفوا بكونهم قوم يرودون البحار ولماذا أمضى "شمشون" البطل الداني جل وقته مع الفلسطينيين.

الأسطورة رقم 69

وأعطى يعقوب ليوسف قميصًا ملونًا

الأسطورة: " وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا. " (تكوين 37:3)

الواقع: لا يذكر النص العبراني أي قميص ملون.

إن أحد أشهر أيقونات التاريخ التوراتي هو القميص الملون الذي أعطاه "يعقوب" لابنه الحبيب "يوسف". حتى أن إحدى مسرحيات "برودواي" (Broadway) دارت حوله

وقد سُمّيت "يوسف وقميص الحلم الرائع المتعدد الألوان" (Joseph and the Amazing Technicolor Dream Coat).

تصور إحدى المقابر المصرية من القرن التاسع عشر قبل الميلاد مجموعة من الساميين وهم يرتدون نوع من الأردية يطابق هذا الوصف، فهو رداء (Tunic) متعددة الألوان، رجح العلماء أنها كانت دلالة على الزعامة. مع ذلك، فالعبارة العبرانية التي ترجمت إلى "قميص ملون" –(Kethoneth pac)– ليس لها هذا المعنى في الحقيقة، فهي تعني "رداء طويل الأكمام" (long-sleeved tunic) أو "رداء عريض" (wide-tunic)، وقد استبدل العديد من المترجمين المحدثين الترجمة الخاطئة "قميص ملون" بهذه الصحيحة.

جاءت هذه الترجمة الخاطئة من النسخة الإغريقية لسفر "التكوين"، لكننا لا ندري من أين أتى المترجم بهذه العبارة. كما لا يبدو لنا أن هذا القميص له أي صلة برموز الزعامة.

لكن لدينا إشارة أخرى لهذا القميص في "الكتاب المقدس". فلقد ارتدته "تامار" (Tamar) ابنة الملك "داود".

"وَكَانَ عَلَيْهَا ثَوْبٌ مُلَوَّنٌ، لأَنَّ بَنَاتِ الْمَلِكِ الْعَذَارَى كُنَّ يَلْبَسْنَ جُبَّاتٍ مِثْلَ هذِهِ. فَأَخْرَجَهَا خَادِمُهُ إِلَى الْخَارِجِ وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَرَاءَهَا." (صموئيل الثاني 13: 18)

أما عبارة "ثوب ملون" فلها نفس المصدر العبراني الذي استخدم لوصف قميص "يوسف". وللمرة الثانية، كان لابد له من أن يترجم بمعنى "رداء طويل الأكمام" أو "رداء عريض". وهنا، يرمز الرداء إلى عذرية إبنة الملك. وإذا اعتبرنا أن المعنى العام لكمة "عذراء" هو "فتاة شابة" فيمكننا أن نفترض أن هدية "يوسف" أي "الرداء" كانت دلالتها أن "يوسف" قد شب عن الطوق وصار جاهزًا للزواج.

لم يكن رمز الزعامة في "الشرق الأدنى" وحوض "البحر المتوسط" رداءًا متعدد الألوان إنما كان رداءًا إما بنفسجي اللون بكامله أو مؤطر بلون بنفسجي. وقد ذكر في مباركة "يعقوب" أن "يهوذا" كان يرتدي رداءًا كهذا: "رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ." (تكوين 49: 11).

الأسطورة رقم 70

أما اخوة يوسف فباعوه في سوق النخاسة

الأسطورة: "فَأَعْطَتْهُ بِلْهَةَ جَارِيَتَهَا زَوْجَةً، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَعْقُوبُ، فَحَبِلَتْ بِلْهَةُ وَوَلَدَتْ لِيَعْقُوبَ ابْنًا... فَقَالَتْ لَيْئَةُ قَدْ أَعْطَانِي اللهُ أُجْرَتِي، لأَنِّي أَعْطَيْتُ جَارِيَتِي لِرَجُلِي. فَدَعَتِ اسْمَهُ "يَسَّاكَرَ". وَحَبِلَتْ أَيْضًا لَيْئَةُ وَوَلَدَت ابْنًا سَادِسًا لِيَعْقُوبَ، فَقَالَتْ لَيْئَةُ قَدْ وَهَبَنِي اللهُ هِبَةً حَسَنَةً. الآنَ يُسَاكِنُنِي رَجُلِي، لأَنِّي وَلَدْتُ لَهُ سِتَّةَ بَنِينَ. فَدَعَتِ اسْمَهُ زَبُولُونَ. ثُمَّ وَلَدَت ابْنَةً وَدَعَتِ اسْمَهَا دِينَةَ.

وَذَكَرَ اللهُ رَاحِيلَ، وَسَمِعَ لَهَا اللهُ وَفَتَحَ رَحِمَهَا، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا فَقَالَتْ قَدْ نَزَعَ اللهُ عَارِي. وَدَعَتِ اسْمَهُ يُوسُفَ قَائِلَةً يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ.

وَحَدَثَ لَمَّا وَلَدَتْ رَاحِيلُ يُوسُفَ أَنَّ يَعْقُوبَ قَالَ لِ "لاَبَانَ" اصْرِفْنِي لأَذْهَبَ إِلَى مَكَانِي وَإِلَى أَرْضِي. أَعْطِنِي نِسَائِي وَأَوْلاَدِي الَّذِينَ خَدَمْتُكَ بِهِمْ فَأَذْهَبَ، لأَنَّكَ أَنْتَ تَعْلَمُ خِدْمَتِي الَّتِي خَدَمْتُكَ. فَقَالَ لَهُ لاَبَانُ لَيْتَنِي أَجِدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ. قَدْ تَفَاءَلْتُ فَبَارَكَنِي الرَّبُّ بِسَبَبِكَ. وَقَالَ عَيِّنْ لِي أُجْرَتَكَ فَأُعْطِيَكَ. " (تكوين 37: 4 – 5، 18 – 28)

الواقع: قصة الخلاف ما بين "يوسف" واخوته الأحد عشر تقوم على أساس أسطورة مصرية تدور حول إثنى عشر ملكا.

تقدم لنا قصة "يوسف" وإخوته قصة من أكثر القصص المؤثرة في "التوراة". وكما هو الحال مع الملاحم القديمة فهي تجمع العديد من أعمال بعض الشخصيات المختلفة في نسيج سردي واحد، فهو يدمج العديد من الشخصيات في شخصية فرد واحد. ومع أن الناتج يبدو كنتاج عمل مؤلف واحد، فإن القصة تحوي بعض الأدلة على وجود خلافات لاحقة بين "رأوبين" و"يهوذا"، إذ تنافس كل منهما على نيل أقل قدر من الملامة على إخطائهما في حق أخيهما.

وكما هو الحال في العصور السابقة لـ"إبراهيم" وأبنائه، ثم من بعده "إسحاق" وأبنائه، يستمر موضوع المنافسات القبلية والغيرة بين الإخوة. وفي تلك القصة يرى "يوسف" الابن المفضل لـ"يعقوب" بعض الرؤى التي تتنبأ بأن رئاسة العائلة ستئول إليه، حتى أن والدية سيركعان تبجيلاً له.

وفي البداية يصور "يوسف" في الشكل الكريه للمراهق المغرور الذي يتباهى بنفسه كما

لو أنه يقول "أنا يوسف وأنتم لستم كذلك". ففي الرواية يصر على قص حلم رآه على إخوته "فَهَا نَحْنُ حَازِمُونَ حُزَمًا فِي الْحَقْلِ، وَإِذَا حُزْمَتِي قَامَتْ وَانْتَصَبَتْ، فَاحْتَاطَتْ حُزَمُكُمْ وَسَجَدَتْ لِحُزْمَتِي" (تكوين 37: 7).

فلا عجب في كراهية إخوته له "فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا مُلْكًا أَمْ تَتَسَلَّطُ عَلَيْنَا تَسَلُّطًا؟ وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ" (تكوين 37: 8)

بعد أن قص "يوسف" حلمه على إخوته بفترة وجيزة، تآمر الأبناء الإثنى عشر الآخرين للتخلص من أخيهم الكريه. وفي البداية اتفقوا على قتله وإلقاء جثته في بئر. ولكن راودت "رأوبين" مشاعر مختلفة حول تلطيخ أيديهم بدمه واقترح تركه في البئر، ليموت جوعًا كما هو مفترض. لابد أن أحد الكتبة وجد في هذا العمل شيئًا أكثر إنسانية أو أكثر تقبلاً.

وبعد أن تركوه في البئر، جادل "يهوذا" كي لا يتفوق عليه "رأوبين" بتعاطفه، قائلاً: "تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا". فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ. (تكوين 37: 27).

وهكذا بيع "يوسف" في سوق النخاسة ونقل إلى "مصر" حيث في النهاية قادته مهاراته في تفسير الأحلام إلى أرفع منصب في حاشية الفرعون.

تشابه هذه القطعة من قصة "يوسف" إحدى القصص المصرية القديمة التي بقيت محفوظة في كتابات "هيرودوت" عن تاريخ "مصر"، ووفقًا للمؤرخ الإغريقي:

"لما تحرر المصريون بعد حكم (سيتوس [أي ست])، كاهن هيفايستوس ([أي بتاح]) (لأنهم لم يستسيغوا مطلقًا أن يعيشوا زمنًا بدون ملك)، قسموا "مصر" كلها اثنى عشر قسما، ونصبوا عليها اثنى عشر ملكا.

وتحالف هؤلاء الملوك فيما بينهم عن طريق الزواج، وحكموا متبعين هذه القواعد.. ألا يخلع أحدهم الآخر، ألا يسعى أحدهم إلى أن يمتلك أكثر من الآخر، وأن يكونوا أصدقاء مخلصين. أما السبب الذي من أجله استنوا هذه القواعد واحترموها احترامًا فائقا فهو أن وحيًا جاءهم -بمجرد توليهم الحكم- منذ البداية قائلاً إن حكم "مصر" سيئول إلى من يسكب منهم القربان من قدح برونزي في معبد هيفايستوس ([أي بتاح]).[1]

(1) ("هيرودوت يتحدث عن مصر" ترجم الأحاديث عن الإغريقية: د. محمد صقر خفاجة، تقديم وشرح: أحمد بدوي).

ثم تابع "هيرودوت" مناقشًا أحداث أخرى في تاريخ "مصر" بعد أن عاد للقصة السابقة الذكر:

"واتبع الملوك الإثنا عشر العدل. وبعد مرور فترة من الزمن، بينما كانوا يقربون في معبد هيفايستوس، وفيما يزمعون سكب القربان في آخر أيام العيد، أحضر لهم الكاهن الأكبر الأواني الذهبية التي اعتادوا استخدامها في سكب القربان. ولكنه أخطأ في العدد فأحضر إحدى عشرة آنية مع أنهم إثنى عشر ملكا. ولمّا لم يكن لابسماتيك، الذي كان يقف آخرهم، إناء نزع خوذته وكانت من البرونز ومدها ثم سكب بها القربان. وكان جميع الملوك الآخرين أيضًا يلبسون خوذات. وتصادف عندئذ أنهم كانوا يلبسونها. (ومعنى ذلك أنه لم يجل مطلقًا بخاطر ابسماتيك أي تفكير خبيث عندما مد خوذته. ولكن الآخرين فكروا فيما فعله، وفي الوحي الذي كان قد أنبأهم بأن الذي يسكب منهم القربان من إناء برونزي سيكون وحده ملك مصر. ولمّا تذكروا النبوءة، اعتبروا أنه من الظلم قتل ابسماتيك إذا اكتشفوا، بعد سؤاله، أنه أقدم على فعلته دون تفكير مقصود. وقرروا إبعاده إلى المستنقعات بعد تجريده من الجزء الأكبر من سلطانه. وعلى ألا يغادر المستنقعات، وألا تكون له صلات مع باقي أقاليم مصر."

وبعد أن ذكر "هيرودوت" بعد التفاصيل التاريخية عن "ابسماتيك" (Psammetichus) والنبوءة حول خروج رجال البرونز من البحر لمساعدته، يخبرنا "هيرودوت" بأن الملك المنفي اجتمع بقوم من مرتادي البحر المدرعون بدروع من برونز ممن أجبروا على الرسو علي شواطئ "مصر". وهكذا تحققت النبوءة وفق وجهة نظر "هيرودوت"، فيقول أن "ابسماتيك" عقد صداقة مع الغزاة وأقنعهم بالعمل في خدمته وبمساعدتهم استطاع الاستحواذ على حكم "مصر" والإطاحة بالملوك الأحد عشر الآخرين.

الأسطورة رقم 71

وحاولت زوجة فوطيفار إغواء يوسف

الأسطورة: "وَحَدَثَ بَعْدَ هذه الأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّده رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ اضْطَجِعْ مَعِي. فَأَبَى وَقَالَ لامْرَأَة سَيِّده هُوَذَا سَيِّدي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْت، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي. لَيْسَ هُوَ فِي هذَا الْبَيْت أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَك، لأَنَّك امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى الله؟. وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجِعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا.

ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هذَا الْوَقْت أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْت هُنَاكَ فِي الْبَيْت. فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِه قَائِلَةً اضْطَجِعْ مَعِي!. فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِج. وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِج، أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتْهُمْ قَائِلَةً انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْت عَظِيم. وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِج فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْته. فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِه إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي. وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارِج.

فَكَانَ لَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ امْرَأَته الَّذِي كَلَّمَتْهُ بِه قَائِلَةً بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ صَنَعَ بِي عَبْدُكَ، أَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ. فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ وَوَضَعَهُ فِي بَيْت السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِك مَحْبُوسِينَ فِيه. وَكَانَ هُنَاكَ فِي بَيْت السِّجْنِ." (تكوين 39: 7 – 20)

الواقع: كانت هناك نسخ مختلفة من هذه القصة واسعة الانتشار في "مصر" والشرق الأدنى. فأخذها كتبة "التوراة" وحوروها ثم أدمجوها بقصة "يوسف".

بعد أن باعه إخوته للاسماعيليين (أم كانوا من الميديين –القصة تختلط على الفهم للغاية)، سلم الذين ابتاعوا "يوسف" إياه لأحد المسئولين المصريين كان يدعى "فوطيفار" (Potiphar). فوضعه مالكه الجديد من ضمن خدم بيته حيث أثبت جدارته وجلب مكاسب مادية للعائلة.

أعجبت زوجة "فوطيفار" بـ"يوسف" وحاولت إغوائه، لكنه شعر بأنه سيكون من الخطأ خيانة سيده. وبينما يظهر النص التوراتي "يوسف" في صورة البرئ، يبدو أن عزمه قد تعضد بوجود شهود على مقربة من المكان. فمن الواضح أنه ظل مشيحًا بوجهه عنها حتى وهي

تجرده من ملابسه، وعندما هرب من غرفتها ترك ملابسه بين يديها، ففزعت من فكرة أن يراها شخص ما وقد ضمت ملابسه إلى صدرها – وقد كان الشهود على وشك دخول الغرفة– فصرخت بأنه حاول اغتصابها. وعندما واجه "فوطيفار" معضلة إما أن يدعو زوجته المغوية بأنها كاذبة أو يعاقب خادمه البرئ، ففضل الخيار المهذب وسجن "يوسف".

يرشدنا الإسم "فوطيفار" إلى العصر الذي كتبت فيه القصه. فبالإضافة إلى كونه اسم سيد "يوسف" الأول، كان أيضًا، بعد تحريفه قليلاً، اسم حميه "فوطي" (Potiphera) كاهن "هليوبوليس" الأكبر. كان الإسم "فوطيفار" منتشر الاستخدام في "مصر" منذ ما قبل القرن العاشر قبل الميلاد و لم يتم استخدامه قبل القرن السابع قبل الميلاد. والقصة التي حوت شخصيتان يحتلان مواقع رفيعة ويحملان هذا الاسم، دليل على أن ابتداعه جاء متأخرًا في القرن السابع أو بعد ذلك. وهذا يتوافق مع المذكور من أنه في عصر لاحق على حكم "أبسماتيك" (انظر الأسطورة رقم 70).

كانت قصة الشاب الذي يرفض إغراءات المرأة أحد الموضوعات المنتشرة في الأساطير القديمة. وإحدى أشهر هذه القصص كانت قصة مصرية معروفة بإسم "قصة الشقيقان" (The Tale of the Two Brothers). ومن المحتمل أن هذه القصة تعود للألفية الثالثة قبل الميلاد.

يروي النص المصري قصة أخوين، الأكبر "أنوبيس" (Anubis) والأصغر "باتا" (Bata). سكن الأخ الأصغر مع أخيه وزوجته. فتصف القصة "باتا" في شكل الرجل الكامل الذي يتحمل أعباء المنزل ويتولى احتياجاته. ثم، ذات يوم، تعترف له زوجة أخاه برغبتها في استكشاف الشبق. فيمتنع عنها ويخبرها بأنها وأخيه بمثابة والدين له. ثم يعدها بعدم إخبار أخيه بالأمر. لكن الزوجة تخاف من انكشاف أمرها، فترتب الأمر كي يبدو كأنما تعرضت للانتهاك وتتهم أخا زوجها بتلك الفعلة. وبالرغم من إنكار "باتا" للاتهام، يثور "أنوبيس" ويرحل أخوه عن المنزل.

وخلال أحداث القصة تهب الآلهة زوجة جميلة لـ"باتا" لكنها تتركه لتصبح محظية للفرعون. وفي بعض المواقف يتجسد الأخ الأصغر في بعض الأشكال الأخرى فيتخذ أشكال–كوز صنوبر وثور وشجرة برساء– وفي كل مرة تعد زوجته العدة لتدمير شكله المادي الجديد. وفي النهاية يسمع الملك بإنجازات الفتى فينصبه أميرًا على "مصر".

من خلال حبكة القصة التي تحمل تهمة محاولة الاغتصاب، والزواج من إمرأة ذات صلة بالدين، ووجود العديد من الاختبارات والمحاولات، والارتقاء لمرتبة الأمير في النهاية، اتبعت القصة التوراتية نفس الخطوط الرئيسية للقصة المصرية. لكن القصة المصرية أكثر انغماسًا، من القصة التوراتية، في القصص المتعددة الآلهة الرامزة للموت والحياة. فعلى سبيل المثال كان الأخ الأكبر "أنوبيس" إلهًا يرشد الموتى إلى الحياة الأخرى حيث يلتقون "أوزوريس". لكن الروايات التوراتية تتطهر من الأعراض الإشراكية بينما تبقي على البنية الأساسية، مبدلة رمزية الحياة والموت بمشاكل أخرى.

كان للإغريق المايسينيين، الذين لقبهم "هوميروس" بالدانويين، قصة مشابهة، لابد وأنها أدخلت إلى "كنعان" بواسطة الشعوب البحرية وسبط "دان" (انظر الأسطورة رقم 68).

وفي القصة الإغريقية، وبينما كان "بيلروفون" (Bellerophon) يزور "بروتس" (Proetus) تحاول زوجة "بروتس" استدراجه للدخول في علاقة جنسية معها. فيرفض "بيلروفون" عرضها، لكن الزوجة الخائفة على سمعتها تخبر زوجها بأن "بيلروفون" هددها. وكما حدث مع "فوطيفار" يصدق الزوج زوجته ويجهز عقابا للمعتدي.

وفي قصة "بيلروفون"، يكتب "بروتس" خطاب موجه إلى ملك آخر ويطلب من "بيلروفون" إيصاله له، بينما يحوي الخطاب أوامر بقتله. ولتحقيق هذا الغرض، يبعث به الملك في عدة مهمات خطرة، لكن البطل يفلت من الموت دائمًا. ويبهر الملك بانتصارات "بيلروفون" فيضعه خليفة له في ملكه.

وهنا، مرة أخرى نجد الاتهام الباطل ومعاقبة البطل ونجاته، ثم ارتقائه إلى سدة الحكم. وجدير بالذكر أن هناك صلات أخرى بين قصة "بيلروفون" والقصة الإسرائيلية، فالملك الذي أراد موت "بيلروفون" كان له توأم يدعى "أكريسيروس" (Acrisius) وقد تقاتل الاثنان داخل رُحم أمهما. وكان لـ"أكريسيوس" ابنة تدعى "داني" (Danae).

ولقد قاتل "يعقوب" أبو "يوسف" أخاه داخل رحم أمه وكانت له ابنة تدعى "دينه" وهو اسم مماثل للاسم "داني". بالإضافة إلى أن "بوتس" و"أكريسيوس" تحدرا من نسل "دانوس" الذي اقترن بـ"يعقوب" في قصة اغتصاب "دينه". لذا فقصة "بيلروفون" لها علاقات أسطورية وثيقة بقصة "دانوس" و"ايجيبتوس". وإذا ما أثرت إحداها في رواية "التوراة" فمن المرجح أن كتبة "التوراة" تبنوا الأخرى أيضًا.

كان للقصة التوراتية عن خيانة زوجة "فوطيفار" لـ"يوسف" سوابق أسطورية واسعة الانتشار؛ وإن القصتين المصرية حول الأخوين والإغريقية حول "بيلروفون" المعروضتين هنا، كانتا معروفتين لدى الكتبة العبرانيين في ذلك الزمان، فكان من السهل إدماجهما في الملحمة الكبرى.

الجزء الثالث

أساطير الأبطال

أساطير الأبطال: نظرة عامة

بعد وفاة "يوسف" بزمن، اعتلى عرش "مصر" ملك لم يكن على دراية بيوسف وقصته. لاحظ هذا الملك أن شعب بني "إسرائيل" قد "كثر وعظم" مقارنة بأهل مصر فقال:

"هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ" (خروج 1: 10)

وفي البداية، حاول الملك التحكم في أعدادهم عن طريق استهلاكهم في الأعمال البدنية الشاقة، لكن أعداد العبرانيين استمرت في النمو. عندئذ تبنى سياسة قتل المواليد الذكور، فأمر القابلات العبرانيات "إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا" (خروج 1: 16).

وفي ذلك الزمان حبلت امرأة عبرانية تدعى "يوكابد" (Jochebed) بطفل دعته "موسى". بعد أن ولد خبأته مدة ثلاثة أشهر، وعندما لم يعد في إمكانها حمايته وضعته في سلة بإيعاز من الرب وتركته يطفو في نهر "النيل".

تتبعت "مريم" (Miriam) ابنة "يوكابد" السلة وراقبت انحدارها نحو البحيرة التي تستحم بها ابنة الفرعون. وعندما رأت الأميرة السلة أنقذت الطفل، ثم شعرت بالتعاطف عندما اكتشفت أنه عبراني. رأت "مريم" ردة فعل الأميرة فبادرت بسؤالها إن كانت ترغب في استئجار امرأة عبرانية لرعاية الطفل. فوافقت الأميرة ومن ثم جلبت "مريم" أمها كي تعهد لها الأميرة برعاية الطفل. أحبت الأميرة الصبي وربته كأنه ولدها، وأطلقت عليه اسم "موسى" "و الذي سأشرح معناه لاحقًا.

شب الطفل داخل البلاط الملكي، لكن "الكتاب المقدس" لا يخبرنا بشيء عن سنوات طفولته. بل يسارع الكتاب المقدس إلى رواية حدث وقع بين "موسى" وأحد المشرفين الملكيين. إذ رآه "موسى" وهو يسيء معاملة أحد العبيد العبرانيين فاشتاط غضبًا، ومن ثم قتله ودفنه آملاً ألا يكون أحد قد رآه أو علم بفعلته.

وفي اليوم التالي، يرى مشادة بين رجلين عبرانيين ويحاول الفض بينهما. فيسأله أحدهما إن كان ينتوي قتلهما كما قتل الرجل المصري. وهنا يدرك أن أخبار فعلته قد شاعت بين الناس، فيقرر أن من الأسلم له الهروب من البلاد قبل أن يلقى القبض عليه ويعدم.

لا يذكر النص كم كان عُمْر "موسى" في ذلك الحين، عندما هرب من البلاد، لكن القناعة السائدة لدى الأحبار هو أنه كان في الأربعين من العمر. ظل "موسى" في الخارج حتى عمر الثمانين عندما علم بموت الفرعون.

عاد "موسى" إلى "مصر" بمساعدة الرب وأخيه "هارون" حيث واجه الفرعون الجديد، وطالبه بالسماح للعبرانيين بمغادرة "مصر". فوافق الفرعون بعد أن تغلب "موسى" على سحرة الفرعون، لكنه غير رأيه بعد ذلك. فتصاعدت الأحداث بوقوع ما عرف باسم "الضربات العشر" (Ten plagues)، التي ترتب عليها موت جميع المواليد البكر لدى المصريين. وفي النهاية استسلم الفرعون وسمح لبني "إسرائيل" بمغادرة البلاد.

وبينما استعد بنو "إسرائيل" للرحيل، غير الملك المصري رأيه مرة أخرى، فأمر جيشه باستعادة العبرانيين. وحينما بلغ الإسرائيليون الفارون من الجيش المصري، البحر "الأحمر"، قسم الرب المياه كي يقود "موسى" قومه للعبور إلى الضفة الأخرى. وعندما تبعهم جيش الفرعون على هذا الطريق، عادت المياه لتطمرهم وتغرقهم. ولم يصرح "الكتاب المقدس" بأن الفرعون غرق وإنما يستشف من الرواية أنه قد مات كذلك، إذ من المفترض أنه كان على رأس الجيش.

وبعد تخطيه للمحنة المصرية، شرع "موسى" في بناء أمة جديدة، فقاد قومه نحو "كنعان" التي وعدها الرب لآبائه. وخلال الرحلة، يسلم "موسى" قومه بعض التشريعات والقوانين، فكانت هذه هي "الوصايا العشر" (Ten Commandments) وقد كتبت تلك التعاليم ووضعت في صندوق عرف بإسم "تابوت عهد الرب" (Ark of the Covenant).

وفي الطريق ارتكب بنو "إسرائيل" هفوات عدة كما أخفقوا في العديد من اختبارات الايمان. وكان صنع وعبادة "العجل الذهبي" (Golden calf) أكثر تلك الأحداث شهرة. أغضب هذا العمل "موسى" لدرجة أنه حطم الألواح التي كتب عليها ناموس الرب. وفي واقعة أخرى أساء "موسى" للرب فحرمه من فرصة دخول الأرض الموعودة.

ومات "موسى" على الضفة الأخرى من نهر "كنعان"، لكن ليس قبل أن يخضع معظم

أراضي "الأردن" لحكم "إسرائيل". وكان آخر ما فعله هو تعيين "يشوع" خلفًا له.

وعندما اعتلى "يشوع" العرش عبر بنو"اسرائيل" إلى "الأردن" واتجهوا نحو "كنعان"، حيث قادوا عدة حملات عسكرية وحشية مدمرة. وفي النهاية استطاع "يشوع" إخضاع الأرض الموعودة بأكملها لحكم بني "إسرائيل". هذا ما تذكره إحدى نسخ "التوراة" على الأقل. لكن بعض النصوص التوراتية الأخرى تروي قصة أخرى عن حروب هزمت فيها "إسرائيل" فاستحقت بذلك غضب الرب.

تطالعنا روايات الغزو الإسرائيلي، خاصة في سفر "يشوع" سادس أسفار "الكتاب المقدس" والتي تصف لنا العديد من الحروب التي خاضها بنو "إسرائيل"، بالعديد من الأحداث الخارقة. وربما كانت أكثر هذه الأحداث شهرة حرب "أريحا" (Jericho) ومعجزة توقف الشمس استجابةً لأوامر "يشوع" في "جبعون" (Gibeon).

يسود الاعتقاد العبري بأن "يشوع" كتب بنفسه السفر الذي يروي غزواته، لكن الدلائل تشير إلى أنه كتب بعد عصره بقرون. فلا يوجد في النص أي ذكر إلى أنه هو الذي كتبه وفي مقطع واحد على الأقل تأتي إشارة إلى وجود مرجع للنص يدعى سفر "ياشر". هذا السفر كتب في زمن متأخر على زمن "يشوع" بقرون، إذ أنه كتب بعد موت الملك "شاول".

ومع أنه لا يوجد دليل من زمن "يشوع" لتعزيز الرواية التوراتية، ظلت الفكرة العامة عن تلك الغزوات مقبولة بصفتها واقعا تاريخيا. لكن بعد أن خالفت الاكتشافات الأثرية كثيرا من هذه الادعاءات، تخلى العديد من العلماء عن قناعتهم بدقة وصف سفر "يشوع" للكيفية التي استطاعت بها "إسرائيل" حكم "كنعان". وتدحض الاكتشافات الأثرية الحالية الكثير من ادعاءات هذا السفر وتشير إلى أن "إسرائيل" لم تتغلب بتاتًا على "كنعان" في عصر "يشوع".

تحت قيادة "موسى" و"يشوع" خلق بنو "إسرائيل" نوعًا جديدًا من الأنظمة السياسية الخالية من الملوك، وكان هذا شيئًا غير متعارف عليه في الشرق الأدنى المليء بالممالك العظيمة. آمن العبرانيون أن الملك الوحيد المؤهل لحكمهم هو الرب الواحد، لذا تركوا مهمة تفسير رغبات الرب للقادة المحبوبين ذوي الكاريزما.

بعد قصص غزوات "يشوع"، يستمر تاريخ "الكتاب المقدس" في سفر "القضاة" في التعارض مع سفر "يشوع" حول ما جرى عندما دخل بنو "إسرائيل" "كنعان". ففي زمن

القضاة استمر وجود "إسرائيل" من دون ملك فـ" كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ ". وفي ظل هذه الظروف، أحيانًا ما ضعف إيمان بني "إسرائيل" بتعاليم الرب. لذا عاقب الرب هؤلاء العصاة بأن جعل الهزيمة من نصيب "إسرائيل" في حروبها. وبعد كل واحدة من تلك المصائب، يعطي الرب لبني "إسرائيل" فرصة أخرى لإنجاب بطل يهزم أعداءها ويشجعها على اتخاذ طريق الصلاح. ومن ضمن هؤلاء الأبطال كان هناك "شمشون" و"دبورة".

ثم انتهى عصر القادة ذوي الكاريزما بقيام العصر الملكي، لكن التوترات بين الملوك والكهنة، وبين الكهنة والتيارات السياسية المختلفة، استمرت في لعب الدور الرئيسي في كتابة تاريخ "إسرائيل".

وأثناء حياة "شاول"، انسحب "يهوذا" من الكونفدرالية وطلب من "داود" تولي الحكم. وعندما مات "شاول" اختير ابنه "إيشبوشث" (Ishbosheth) (الذي كان اسمه "اشبعل" Eshbaal، لكن الكتبة غيروه فيما بعد) ليكون خلفًا لوالده. استمرت "إسرائيل" و"يهوذا" في القتال لرغبة كل منهما في التحكم بالأخرى. ولم يستطع "داود" التوحيد بين المملكتين إلا بعد أن استطاع حلفاؤه اغتيال ابن "شاول". وعلى الرغم من مظاهر الاتحاد ظلت هناك خلافات سياسية ودينية ضخمة متأججة بين المملكتين العبرانيتين.

كانت إحدى الروايات الرئيسية في قصة تولي "داود" للحكم، قتله لـ"جالوت" وهو لم يزل صبيا يعمل في بلاط "شاول". وقد كان هذا العمل البطولي هو ما جعله مرشحًا للزعامة لدى الشعب. لكن توجد مقاطع في التوراة ترجح أنه قد عُزي إلى "داود" أفعال شخص آخر. وهكذا، جعلت انتصارات "داود" العسكرية منه بطلاً قوميًا وانتشرت في المملكة أغنية تقول "أَلَيْسَ لِهذَا كُنَّ يُغَنِّينَ فِي الرَّقْصِ قَائِلاَتٍ: ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبْوَاتِهِ؟" (صموئيل الأول 21 : 11).

خلف "داود" ابنه "سليمان". بنى "سليمان" هيكلاً في "القدس" وحكم مملكة شاسعة. ولكي يتمكن من تمويل مشروعاته وحكومته، فرض نظامًا للعبودية، لكن النصوص التوراتية تختلف فيما إذا كان العبيد من الإسرائيليين أم لا. كما أن علماء الآثار عاجزون عن إيجاد بقايا هيكل "سليمان"، أو أي دليل على وجوده أو مملكته في أي وثائق كتابية من داخل "إسرائيل" أو أيٍّ من الأمم التي من المفترض أنه حكمها.

أما "تابوت عهد الرب" فكان أحد أهم الأيقونات التوراتية منذ خروج "موسى" وحتى

بزوغ نجم "داود" و"سليمان". فكان يحمله اثنان من الملائكة وقد صنع كي يحمل الوصايا العشر ويكون عرشًا للرب. كان لهذا التابوت قوى سحرية، كما كان عونًا لـ"إسرائيل" في التغلب على أعدائها حينما أبقت على صلاحها الديني. ولكن عندما تحيد عن الطريق القويم يكف التابوت عن حمايتها.

بعد أن سقط الحكم المشترك للمملكتين، توقف الحديث عن وجود التابوت. فلم تأتِ أي عبارة عن اختفائه أو تدميره أو استحواذ الأعداء عليه، فقط اختفى ذكره من التاريخ التوراتي ببساطة. لكن التراث الإثيوبي يقول بأن ابن "سليمان" الذي أنجبه من ملكة "سبأ" (Queen of Sheba) نقل التابوت إلى "إثيوبيا".

بعد موت "سليمان" قاد "يربعام" ابن "إفرايم" ثورة ضد "رحبعام" (Rehoboam) اليهوذي الذي كان ابن "سليمان" والوريث الشرعي للعرش. فانقسمت المملكة إلى نصفين، "إسرائيل" في الشمال و"يهوذا" في الجنوب. وكان رمز مُلك "يرباعم" عجلين ذهبيين، أحدهم في جنوب "إسرائيل" في "بيت إيل" والآخر في الشمال في "دان".

هذان العجلان الذهبيان عملا عمل "تابوت عهد الرب" الذي بقي في "يهوذا". فكانا عرشًا للرب. وكما كان "تابوت عهد الرب" عرش الرب اليهوذي، الذي كان مجرد صندوق موجود في هيكل "القدس"، كان العجلان الذهبيان عرشًا إسرائيليًا ضم كل المملكة الإسرائيلية ما عدا "يهوذا". ساعد هذا التميز على تحديد الفروق السياسية والدينية بين المملكتين المتنافستين.

وفيما نال "يربعام" تأييد الكهنة الشماليين في حربه على "يهوذا"، وقت أن صار ملكًا "لإسرائيل"، أثار غضبهم عندما أعلن إتاحة المناصب الكهنوتية لكل من يرغب في الالتحاق بها. مما جعل من هذا الحدث سببًا في مصاعب دينية وسياسية وجدت في نصوص "الكتاب المقدس" متنفسًا لها.

استولى الآشوريون على المملكة الشمالية لـ"إسرائيل" عام 722 ق. م. فانتهى وجود المملكة. لكن ظلت مملكة "يهوذا" كما هي، إلى أن فتحها كلدان "بابل" عام 587 ق. م. فنقلت طبقة المثقفين العبرانيين من "كنعان" إلى العاصمة الكلدانية. بعد ذلك ببضعة عقود هزم "كورش" (Cyrus) ملك "فارس" الكلدانيين وسمح للقادة العبرانيين بالعودة إلى "يهوذا". وتروي لنا الأسفار المتأخرة مثل سفر "دانيال" (Daniel) و"إستير" (Esther)

خبرات العبرانيين في غربتهم. وفي كثير من تلك القصص المتأخرة يواجه الأبطال اختبارات تقيس إيمانهم الذي ما إن تثبت قوته وإخلاصه حتى ينجيهم من الأخطار، وليس ذلك فقط، بل إنه يوصلهم لأرفع مراتب الحكم السياسي أيضًا.

الأسطورة رقم 72

واستعبد المصريون بني إسرائيل لأربعة قرون

الأسطورة: "فَقَالَ لأَبْرَامَ اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ. وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلاَمٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ. وَفِي الْجِيلِ الرَّابعِ يَرْجِعُونَ إِلَى ههُنَا، لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلاً. " (تكوين 15: 13 – 16)

الواقع: توجد في "التوراة" عدة مقاطع متضاربة حول الزمن الذي قضاه بنو "إسرائيل" في نير العبودية، حتى أن العلماء القدماء من اليهود اختلفوا بشأن هذه المدة.

تقول إحدى الروايات التوراتية الواسعة الانتشار بأن بني "إسرائيل" قضوا أربعة قرون في نير العبودية في "مصر". وهذا الاعتقاد يتضارب مع بعض الفقرات المذكورة في "الكتاب المقدس" في سفر "الخروج" في الإصحاح 15: 13 – 16، التي تجمع تراثين مختلفين من التاريخ اليهودي معًا.

يأتي في النص أن الرب تكلم إلى "إبراهيم" متنبئًا بأن أبنائه سيضارون لأربعة قرون في بلاد سيصبح فيها أبناؤه غرباء، لكنهم سيعودون بعد انقضاء المدة (ضمنيًا، إلى أرضهم). وكما يعرض النص في شكله الحالي، أن تلك القرون الأربعة كانت موازية لوجود أربعة أجيال من بني "إسرائيل". لكن يوجد خلط في هذا الطرح التوراتي المعتاد، سنعرض للمغزى منه فيما بعد، أما الآن، فلنلق نظرة على بعض الأدلة الأخرى المتعلقة بالفترة التي أقام فيها بنو "إسرائيل" في "مصر".

وفقًا لسفر "الخروج" بدأ استعباد بني "إسرائيل" في زمن ما بعد موت "يوسف" عندما "قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى "مصر" لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ." (خروج 1: 8). في العادة يقول سفر "الخروج"

أن إقامة (أي مدة الحرية والاستعباد) بنو "إسرائيل" في "مصر" استمرت لـ 430 عامًا (خروج 12: 40). وأنها بدأت بمجيئ "يوسف" أو "يعقوب" -فالنص ليس واضحًا. ولقد وصل "يوسف" إلى "مصر" وهو في السابعة عشر من العمر؛ اما يعقوب فقد وصل اليها و"يوسف" في التاسعة والثلاثين من عمرة. ولقد عمر "يوسف" حتى الـ110 سنة. وبما أن زمن الاستعباد لم يبدأ حتى موت "يوسف" فلابد أن بني "إسرائيل" وقعوا في الأسر قبل ذلك بسبعين عامًا، هذا إذا ما حسبنا هذه المدة منذ وصول "يعقوب". وإذا اعتبرنا أن الفترة الكاملة لإقامة بني "إسرائيل" كانت 430 عامًا فإن المدة القصوى للإستعباد ستكون 359 سنة (430 – 71 = 359).

فهل كانت مدةالاستعباد 400 سنة أم 359 فقط؟ الحقيقة أنها لم تكن أيًا منهما، لأن فقرات "التوراة" الأخرى تذكر مُددًا أقصر من هذه بكثير.

يمتد خط النسب من "يعقوب" إلى "موسى" على مر خمسة أجيال هم: يعقوب ولاوي وقهات (Kohath) وعمرام (Amram) وموسى. وبحسب العديد من فقرات سفر "الخروج" عاش "لاوي" حتى سن 137، وعاش "قهات" حتى سن 133، و"عمرام" حتى 137، ثم خرج "موسى" ببني "إسرائيل" في سن 80. وبما أن "لاوي" و"قهات" قدموا إلى "مصر" مع "يعقوب"، فأقصى مدة ممكنة لإقامة بني "إسرائيل" في "مصر" ستكون 350 سنة – "قهات" 133 و"عمرام" 137 و"موسى" 80 – وهذا إذا ما افترضنا أن "قهات" أنجب "عمرام" وهو في السنة الأولى من عمره، وكذلك "عمرام" بالنسبة لـ"موسى"، وهذا غير ممكن في الحالتين. لذا، إذا ما كانت أقصى مدة ممكنة لإقامة بنو "إسرائيل" في "مصر" هي 350 عامًا، لا يمكن لزمن العبودية أن يتعد الـ 280 عام (حيث أن هذا الزمن بدأ بعد 70 سنة من بداية وجودهم في "مصر").

منذ القرن الأول قبل الميلاد ولربما قبل ذلك، استطاع المؤرخون اليهود وعلماء التوراة من تبين وجود خطأ ما في تلك الأرقام. فساد اعتقاد بأن الـ 430 عامًا التي قضَت في "مصر" تكونت في الواقع من فترتين منفصلتين كل واحدة تتكون من 215 سنة. تبدأ الأولى بوصول "إبراهيم" إلى "كنعان" والثانية بوصول "يعقوب" إلى "مصر". ووفقًا لهذا تكون الفترة التي قضاها بنو "إسرائيل" في "مصر" 215 عام، أي أن فترة عبوديتهم لم تكن لتتعدى الـ145 سنة. يقول سفر "التكوين" أن الفترة التي انقضت منذ وصول "إبراهيم" إلى "كنعان" وحتى

وصول "يعقوب" إلى "مصر" كانت 215 سنة، لكن لا يوجد دليل قاطع على أن الفترة التي امتدت منذ وصول "يعقوب" وحتى خروج بني "إسرائيل" كانت 125 عامًا.

ولمعرفة مدى الارتبارك الذي حدث خلال القرن الأول قبل الميلاد نتيجة هذا الخلط لنا أن نرى ما كتبه "جوزيفوس" (Josephus)، المؤرخ اليهودي الرئيسي في عصره، في إحدى أجزاء التاريخ التوراتي ويدعى "الآثار القديمة" (Antiquities) عن أن مدة الإقامة كانت 215 عامًا، بينما يذكر بلا مبرر في جزءٍ آخر من نفس الكتاب أن المدة كانت أربعة قرون. علاوة على ذلك، كانت المعلومات التي بنى عليها استنتاج الـ 215 عام تخالف تأريخ سفر "التكوين".

وعلى الرغم من تلك الأخطاء، كان بحثه وأبحاث العلماء في عصره تتبع المنهج الصحيح في احتساب مدة الـ 430 سنة منذ وصول "إبراهيم" إلى "كنعان". وحيث أن "إبراهيم" إنتقل إلى "مصر" في نفس العام، فقد بدأ زمن البقاء في "مصر" منذ ذلك الوقت. وكما جاء في بحث الأسطورة رقم 49، حاول كتبة "التوراة" الإيحاء بأن "إبراهيم" ذهب إلى جنوب "كنعان" بعد خروجه من بلاط الفرعون بينما في الحقيقة أنه اتجه نحو جنوب "مصر".

هذا يعود بنا إلى نبوءة "إبراهيم". حيث يخبرنا النص بالمذلات التي أصابت بذرة "إبراهيم" (أي نسله) والتي إمتدت لأربعة قرون. "**نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ.**"

وإذا فسرنا هذا بأن زمن الاغتراب هذا بدأ مع نسل "إبراهيم"، فمن البديهي أن الكاتب التوراتي عنى أنه بدأ بولادة "إسحاق" وانتهي بالخروج من "مصر"، وهنا نرى التطابق العجيب بين نبوءة "إبراهيم" ومدة الـ430 عام. ولد "إسحاق" و"إبراهيم" في عامه المئة، وبدأت غربة "إبراهيم" وهو في الخامسة والسبعين. وباحتساب الزمن منذ إقامة "إبراهيم" وليس "يعقوب" يصبح المجموع 425 عام، وهذا منذ وصول "إبراهيم" وحتى خروج بني "إسرائيل" من "مصر". وهذا أقرب الي الرقم 430 المذكور في سفر "الخروج".

لكن لربما تتساءل أين ذهبت قرون الاستعباد الأربعة؟ هنا نجد خلط الكتبة التوراتيون لقصتان مختلفتان في هذا النص، إحداها يدور حول المحنة الكنعانية في "مصر" إبان حكم "الهكسوس" الكنعانيو الأصل لـ"مصر". والثانية حول رحيل بنو "إسرائيل" عن "مصر". ولنلق نظرة على نبوءة سفر "التكوين" لنرى كيف دمجت هاتان القصتان.

أول ما نلاحظه هو أن المحنة تحدث لنسل "إبراهيم" "غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ"، فأين هذه الأرض؟ كان من المفترض دائمًا أنها "مصر"، لكن خلال نص "الكتاب المقدس" كانت "كنعان" هي الأرض التي وصفت بهذا الأمر وليست "مصر". تأمل تلك المقاطع من سفر "التكوين":

"وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ" (تكوين 17: 8)

"وَيُعْطِيكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ، لِتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ لإِبْرَاهِيمَ" (تكوين 28: 4)

"وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ" (تكوين 37: 1)

كانت أولى الخطوات نحو بناء القصة هي الإدراك بأن "كنعان" هي سبب هذه المحنة وليست "مصر". وأن النبوءة تقول بأن نسل "إبراهيم" هو من "سيخرج" من أرض الغربة. بعد ذلك، لنلق نظرة على هذه الفقرة حول "الجيل الرابع"

"وَفِي الْجِيلِ الرَّابعِ يَرْجِعُونَ إِلَى ههُنَا، لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلاً"

كان التفسير المعتاد لهذا المقطع هو أن بني "إسرائيل" سيخرجون من "مصر"، لكن ليس قبل أن تنتهي مشاكل الأموريين. ثم قالت بأن "موسى" حقق هذا لأنه جاء في الجيل الرابع بعد "يعقوب". لكن النبوءة تقول أن هذا سيحدث في الجيل الرابع وليس بعد الجيل الرابع. وحيث أن "موسي" ينتمي إلى الجيل الخامس وليس الرابع، إذن فهو لا يتماشى مع النبوءة.

كان "الهكسوس" –سبب المشكلة– من أصل كنعاني، لكن أي منطقة من "كنعان"؟ لا أحد يدري. بدأ حكمهم لأجزاء من "مصر" عام 1750 ق. م.، ثم كان حكمهم لكل أو معظم أرض "مصر" عام 1680 ق. م.، واستمروا في الحكم حتى عام 1572 ق. م. وكانت كلمة "هكسوس" تعني "الزعماء القادمون من البلد التي فوق التل".

وكان يستخدم اسم "الأموريون" لوصف جماعة محددة من أهل "كنعان". وتطور هذا الإسم ليشمل كل سكان التلال المركزية في "كنعان". لذا فـ"الهكسوس" و"الأموريون" كلاهما من سكان التلال، لكن هذا لا يعني أنهم نفس الجماعات.

على أية حال، عندما ذهب "إبراهيم" إلى "مصر" كان "الهكسوس" يحكمون شمال الدلتا، التي هرب منها "إبراهيم" فيما بعد. كان الإسرائيلي التالي الذي يذهب إلى "مصر"

هو "يوسف"، لكن إنظروا فهو من الجيل الرابع لـ"إبراهيم" فهناك-إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف. ووفق التسلسل التاريخي لـ"إسرائيل"، وصل "يوسف" إلى "مصر" حوالي عام 1564 ق. م. وهو في نفس زمن خروج "الهكسوس" من "مصر" تقريبًا.

وإذا اختزلنا نبوءة الرب إلى "إبراهيم" لمكوناتها الأساسية يكون ترتيب الأحداث هكذا:

1 – غربة "إبراهيم" في "مصر".

2 – غزو "الهكسوس" (أي الكنعانيون) لـ"مصر".

3 – تقول النبوءة أن أرض الغربة (أي "كنعان") ستذل نسل "إبراهيم". إذ أذل "الهكسوس" "مصر" و"كنعان".

4 – تقول النبوءة بأن رابع جيل من نسل "إبراهيم" سيعودون من أرض الغربة (أي من أرض "كنعان") عندما تنتهي قوة "الأموريون" (أي "الهكسوس").

5 – و"يوسف" المنتمي لرابع جيل من نسل "إبراهيم" يعود إلى "مصر".

6 – تقول نبوءة الرب أن نسل "إبراهيم" (أي "إسحاق" ونسله) سيخرجون من بلد بعد أربعة قرون.

7 – و"موسى" قاد الخروج من "مصر" إلى "كنعان".

وما نجده هنا، هو أن هناك قصتان امتزجتا سويًا نتيجة خلط منقحي "التوراة".

القصة الأولى تصف مصيبة الكنعانيون في "مصر" لأربعة قرون. والثانية تصف رحيل بنو "إسرائيل" عن "مصر" بعد أربعة قرون. وكلتا القصتان تصفان محنتان مختلفتان، إحداهما بواسطة الكنعانيون على "مصر" والثانية بواسطة المصريون على بني "إسرائيل".

والمنقحون التوراتيون بعد أن نسيوا أن آباء بني "إسرائيل" أقاموا في "مصر"، عرفوا بني "إسرائيل" بوصفهم من الكنعانيين الذين أذلوا في أرض "مصر". لذا فسروا القصتان من وجهة نظر كنعانية وليست مصرية. ومن هذه الزاوية، يكونوا من المستضعفين في أرض غريبة هي "مصر" وليست "كنعان". لهذا السبب إفترضوا أن القرون الأربعة هم نفس زمن الأجيال الأربعة، بالرغم من الحساب الدقيق لكلتا المدتين. ترتب على ذلك، أن خلق المنقحون التوراتيون زمن يتكون من أربعة قرون عانى فيه بنو "إسرائيل" من الاستعباد في "مصر".

ولأننا لا نملك أي دليل على أن بني "إسرائيل" استعبدوا في "مصر"، يصبح من الصعب علينا أن نجزم متى (أو إذا ما كان) بنو "إسرائل" عانوا من العبودية في "مصر". وفي كتابي السابق "أسطورة الإنجيل"، أعرض شرحًا موسعًا حول نظرية أن بني "إسرائيل" نشأوا في "مصر" وأن فترة الاستعباد استمرت لأقل من ثلاثين عامًا منذ 1340 ق. م. وحتى 1315 ق. م.

الأسطورة رقم 73
ووضعت يوكابد طفلها موسى في سلة

الأسطورة: "وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لاَوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لاَوِي، فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ.
فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتِ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ" (خروج 2: 1 – 6)

الواقع: ألف حلفاء "موسى" هذه القصة على أساس أسطورة تتناول مولد "حورس" (الوريث الشرعي الوحيد لعرش "مصر") كنوع من التعضيد لحق "موسى" في العرش والتحدي للنظام الحاكم.

عندما ولد "موسى"، كان الفرعون قد أصدر قرار بإعدام جميع مواليد العبرانيين من الذكور. لذا خبأته أمه "يوكابد" لمدة ثلاثة أشهر، ثم وضعته في سلة صغيرة طفت به إلى جنوب نهر "النيل". فرأته ابنة الفرعون وانتشلته. ثم أدركت أن الطفل عبرانيًا فأخذتها شفقة به، واتخذته ابن لها. وإذ أصبح من أفراد العائلة المالكة، صار من حقة المطالبة بالعرش، بحسب خط النسب.

كثيرًا ما تردد أن قصة "موسى" تشبة كثيرًا اسطورة ميلاد "سرجون الأول" (Sargon I)

ملك "آكاد" (Agade) (أو Akkad التي انتصرت على "بابل" عام 2300 ق. م. وأسست إحدى أول المملكات السامية). حفظت تلك الأسطورة داخل بعض النصوص الآشورية التي كتبت قبل زمن حكمه بكثير، وتقول هذة الأسطورة أن أم "سرجون" كانت كاهنة أما أباه فكان مجهولاً. وفي الخفاء وضعته أمه في سلة مدهونة بالقطران وتركته يطفو في النهر حيث أنقذته "آكي" (Akki) "راسمة الماء". وعلمت "آكي" الطفل كيف يكون بستانيًا، لكن الإلهة "عشتار" فضلته، فاستطاع بمعونتها في الحرب أن يصبح ملك قوي.

لا يفسر النصص سبب التكتم حول ميلاده، لكن لربما السبب هو أن أمه كانت خجلة لكونها كاهنة حبلى في ولد مجهول الأب. لكن على أية حال فالتشابه الوحيد بين هذه القصة وقصة "موسى" هو السلة، بينما يضعف التشابه في الخط الرئيسي للحبكة.

لكن النموذج الأدبي الذي يحمل شبه أكبر بقصة "موسى" يأتي من "مصر"، حيث القصص التي تتناول الخلاف الأسطوري بين الآلهة المصرية "حورس" و"ست" على الحكم. وفي الأسطورة المصرية تخبئ "إيزيس" "حورس" على جزيرة عائمة، بعد أن يقتل "ست" أباه ويستولي على العرش. وعندما يبلغ "حورس" أشده يخرج من مخبئه ويتحدى "ست"، وبعد سلسلة من المواجهات يتغلب "حورس" عليه ويعتلي عرش "مصر" بعد أن يطرد غريمه إلى البراري.

يعد تصوير حاكم "مصر" الشرعي في صورة طفل يطفو على سطح الماء شيئًا على درجة كبيرة من الأهمية في العقائد المصرية. فالطفل–"حورس" ليس الوحيد الذي يصور وهو يطفو على سطح الماء، وإنما إله "الخلق" "رع" أيضًا كان يصور وهو يطفو فوق زهرة اللوتس. استخدمت تلك الموتيفه لوصف الأحداث التاريخية المتعلقة بخلافات وراثة العرش. فالوريث الشرعي يصور في شكل "حورس–الطفل" الذي كان تاريخه الخيالي يحكي بأنه هرب من "مصر" خشية بطش الحاكم الظالم ثم عاد بعد ذلك ليواجه الشرير ويسترد العرش. يحتفظ لنا المؤرخ اليهودي "جوسيفوس" بنسختان ممتازتان عن هذه الموتيفة التاريخية.

وباقتباس أقوال كاهن مصري يدعى "مانيتون" (Manetho) يقص لنا "جوزيفوس" عن كاهن مصري اسمه "أوسرسيف" (Oserseph) استولى على عرش "مصر"، ودفع بالفرعون وابنه ذو الخمسة أعوام للهرب من البلاد، فيما قمع المصريين، فأفسد البلاد ورموزها الدينية. وبعد ذلك بثلاثة عشر سنة عاد الطفل على رأس جيش جرار وطرد الكاهن وأتباعه من "مصر".

وفي نسخة أخرى من القصة نسب "جوزيفوس" القصة إلى كاتب مصري يدعى "شاريمون" (Chaeremon) تقول أن ابن الفرعون ولد سرًا بعد أن استولى على العرش امبراطور قاس، وان أمه ولدته في كهف كي تحميه.

تصف القصتان المصريتان أحداث تاريخية حقيقية، لكنها تتميز بالمبالغة. وتروي عن فترة حكم الملك "إخناتون" (Akhenaten) 1372 ق. م. الذي آمن بإله واحد وفشل في فرض فكره على الشعب المصري، كما اضطهد أعدائه من كهنة "آمون". وبالرغم من أن القصص لها أساس تاريخي إلا أن قصة الطفل المخبأ الذي عاد ليطرد الفرعون الزنديق تعد ضربًا من الخيال. وهي مبنية في الأصل على أساس موتيفة "حورس—ست" الأدبية.

وللعلم فقد أضاف "جوزيفوس" بعض الإدعاءات المشوقة للقصة، فوفقًا لـه، غير هذا الكاهن اسمه إلى "موسى" ثم قاد أتباعه من المصريين إلى "القدس". وسواء اخترنا تصديق هذه المزاعم حول "موسى" أم لا، فانها تظهر لنا أن هذة القصة، من وجة النظرالمصرية، تتبع موتيفة "حورس—ست".

فما هي الصفات الرئيسية للقصص المصرية؟ لدينا الإستيلاء الغير شرعي على العرش؛ وأم تخبئ طفلها للحفاظ على حياته؛ والمغتصب يضطهد الشعب؛ وعودة الطفل بعد بلوغه ليواجه الطاغية؛ ثم يطرد هذا الطاغية إلى خارج "مصر" حيث البراري. هذه هي التفاصيل الرئيسية في الأسطورتين اللتان تتناولان صراع "حورس" و"ست" على الحكم. لكن الأسطورتان تضيفان شيئ آخر وهو طفو الطفل على وجه المياه وعودته للدخول مع الملك الشرير في حروب سحرية.

اتخذ كتبة التوراة من الأسطورة المصرية موتيفة أعادوا بلورتها لتحكي عن قصة دارت أحداثها في "مصر" القديمة، واستبدلوا الآلهة بشخصية الملك المقترن بـ"حورس" والملك الغير شرعي المقترن بـ"ست". لكن مع بعض التعديلات الطفيفة تصبح الأسطورة المصرية هي قصة "موسى".

كان المصريون هم المضطهدون في القصة المصرية وكان فرعونهم هو الذي هرب ثم عاد لتحرير شعبه. أما في القصة الإسرائيلية فالشعب هم بنو "إسرائيل" الذين يسكنون "مصر" والذين اضطهدوا فيها، ثم فر أحد أفرادهم ليعود فيما بعد ليخلصهم. وفي كلتي القصتين تخفي أم المخلص طفلها ثم تتركه يطفو على سطح المياه، فيتفادى القتل بيد الطاغية؛ ثم عانى

شعبه من الاضطهاد، ثم يهرب المخلص من "مصر"، ويعود المخلص بعد ذلك ليدخل في عدد من الصراعات السحرية مع الملك الشرير، وفي النهاية ينتصر المخلص.

وفي النسخة التوراتية لموتيفة "حورس–ست" استبدلت "مصر" بـ"إسرائيل" كمركز للحكم الشرعي. وكان الملك الشرعي هو "يهوا" لأن الرب العبراني هو الوحيد الذي يحكم بني "إسرائيل"، ولقد عمل "موسى" كممثل للرب. وبالرغم من أن الفرعون هو الحاكم الشرعي إلا أنه لعب دور "ست" المغتصب لأنه لم تكن له أحقية دينية في حكم بني "إسرائيل" وإضطهادهم. فكان "موسى" هو "الطفل–حورس" الوريث الشرعي الذي أخفي خوفًا من بطش الملك الشرير، ثم عاد لاحقًا ليهزم الملك الغير شرعي ويحرر شعبه من الطغيان.

مع ذلك فالقصة التوراتية لا تختلف إلا في القليل عن القصة المصرية. فكان "موسى" هو المنتصر الذي خرج إلى البراري وليس الملك الشرير. وهذا نتيجة الظروف التاريخية الحتمية. ولكي تتطابق الأحداث التاريخية مع الأسطورة المصرية، صور كتبة "التوراة" "مصر" التي أصابتها الإبتلاءات العشر على أنها هي البراري وجعلت من رحلة "موسى" إلى البراري بوصفها الانتصار الحقيقي للبطل الذي قاد شعبه إلى المملكة الحقة في أرض الميعاد.

على المستوى التوراتي، صور "موسى" عتي أنة أحد أعضاء أسرة الفرعون. وإذا لم يكن هناك وريث آخر للعرش، يكون "موسى" هو المرشح لخلافة الفرعون الحالي. ولكي يصبح هذا اللأدعاء صحيحًا فمن الواجب عدم وجود أي ورثة آخرين.

كان هذا هو الإدعاء الحقيقي الذي بموجبه تحدى "موسى" الفرعون. ولقد حدث "الخروج" في زمن وقع بين حكم "حورمحب" (Horemoheb) وخلفائه الثلاث، "رمسيس الأول" (Ramsses I)، و"ستي الأول" (Seti I)، و"رمسيس الثاني" (Ramsses II). و لم يكن هؤلاء الثلاث من المتحدرين من الدم الملكي الذي تولى الحكم قبل "حورمحب". وكان هؤلاء الملوك مُن العسكريين الذين استولوا على السلطة في فترة خلو الساحة من وريث شرعي.

ووفقًا للرواية التوراتية، عاد "موسى" إلى "مصر" بعد موت الفرعون. وبما أن الفرعون المتوفى كان من ضمن هؤلاء الذين لا ينتمون للدم الملكي، كان هناك خلاف بشأن حق وراثه. وكان أي فرد من أفراد البيت الملكي –كما كان "موسى"– مرشحًا أحق بالوراثة من أي من هؤلاء الملوك "المنشقين".

وعندما واجه "موسى" الفرعون، كان يفعل ذلك بوصفه وريث شرعي للعرش. وهذا جعله يقترن بـ"الطفل–حورس" الملك الشرعي وهذا يفسر لماذا قالت الرواية التوراتية بإخفائه وهو طفل، فأدبيًا كان "موسى" هو "الطفل–حورس".

الأسطورة رقم 74

وأطلقت ابنة الفرعون على موسى اسما عبرانيًا

الأسطورة: "وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ مُوسَى وَقَالَتْ إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ." (خروج 2: 10)

الواقع: اشتق الإسم "موسى" من الكلمة المصرية "مسي" (Msy) بمعنى "وُلِدَ".

بعد أن تبنت الأميرة المصرية الطفل الذي كان في السلة، قيل أنها أطلقت عليه اسم "موسى" لأنها "انتشلته من الماء". وفي العبرانية نطق اسم "موسى" هو "موشى" (Mosheh). والتفسير التوراتي لنشأة هذا الاسم هو أن الأميرة أطلقت على الطفل اسما عبرانيًا مشتق من الكلمة العبرانية "ماشاه" (Mahah) أي "ينتشل".

في هذا التفسير عدة مشاكل. الأولى هي أن "موشى" و"ماشاه" كلمتين مختلفتين. والثانية هي أن كلمة "ماشاه" تعني "ينتشل" وليس "أنا انتشلت". والثالثة هي أنه من غير المنطقي أن تطلق الأميرة على الطفل اسما عبرانيًا وهي تعلم أن الفرعون أمر بقتل كل المواليد الذكور من العبرانيين، فتجذب الأنظار لأصول الطفل العبرانية. فهذا أبعد شيئ عن التصور إذا كانت الأميرة تعتزم تربيته في القصر الملكي.

يأتي اسم "موسى" في الأصل من كلمة "مسي" بمعني "وُلِدَ". الصفة التي كانت تلصق بأسماء الآلهة، كما في اسماء "تحتمس" (Thutmose) و"رعموس" (Ramose) (أي وُلِدَ "توت" ووُلِدَ "رع"). ولقد نقل الإغريق كلمة "مسي" في شكل "موسيس" (Mosis) ثم صارت في الإنجليزية "موسى" (Moses). وبما أن اسماء الآلهة الأخرى كانت محرمة لدى العبرانيين، حذف الشق الأول من الإسم وابقي على "موسى" أو "مسي".

الأسطورة رقم 75

وبعث الرب بعشر إبتلاءات على مصر

الأسطورة: " ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. لأَنِّي هذِه الْمَرَّةَ أُرْسِلُ جَمِيعَ ضَرَبَاتِي إِلَى قَلْبِكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي كُلِّ الأَرْضِ. فَإِنَّهُ الآنَ لَوْ كُنْتُ أَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُكَ وَشَعْبَكَ بِالْوَبَإِ، لَكُنْتَ تُبَادُ مِنَ الأَرْضِ. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ. "
(خروج 9: 13 – 16)

الواقع: الإبتلاءات التوراتية العشر تعد أحداثًا معتادة يكثر وصفها في التراث الرمزي المصري.

عندما عاد "موسى" لمواجهة الفرعون، اشتبك الاثنان في حرب إرادات. ومرة بعد مرة يهدد "موسى" الفرعون، والفرعون يتجاهله. وكل مرة ينزل "موسى" كارثة بـ"مصر" وبعد كل مرة يرضخ الفرعون لمطالب "موسى" بشرط أن يكف هذا البلاء عن "مصر". ومع مرور الوقت تزايد البلاء حتى قتل كل مولود بكر في "مصر".

تشابهت هذا الأخذ والعطاء الذي دار بين "موسى" وفرعون بذلك الذي دار بين "حورس" و"ست" أمام مجلس الآلهة. فكان "ست" يقدم تحديًا فاصلاً لـ"حورس" كي يقررا من منهما يرث "أوزريس". ومن خلال المهارة والسحر يتغلب دومًا "حورس" على "ست" الذي يتنصل من وعده بقبول نتيجة التحدي.

وما نراه هنا من تصاعد للبلاء في "مصر" بواسطة "موسى"، مبالغة في رواية تلك الصراعات والتحديات في العصور القديمة. كان ليلاحظها أي من الكتبة المقيمين في "مصر" بمقارنة الرواية التوراتية عن الإبتلاءات العشر والوثيقة المصرية المدعوة "عظات حكيم مصري" (Admonitions of an Egyptian sage) ويشار إليها باسم "بردية إيبور" (Ipuwer Papyrus). وبالرغم من أن هذه البردية تؤرخ للأسرة التاسعة عشر إلا أن طريقة كتابتها تشي بآثار عصر الأسرات الوسطى، مما يعني أنها لربما نقلت عن مصدر أقدم تاريخيًا.

ومن ضمن الإبتلاءات التي أطلقها "موسى" كان هناك: 1 – دماء في نهر "النيل". 2 – ضفادع. 3 – بعوض. 4 – دمامل. 5 – ذباب. 6 – هلاك الماشية. 7 – برق وبَرَد

وحرائق في الحقول قضت على المحاصيل. 8 – جراد. 9 – ظلام. 10 – موت لمواليد "مصر" البكر. لنتذكر هذه الوقائع ولنقارنها بتلك التي في "عظات حكيم مصري".

تحكي لنا البردية عن عصر ملكي عظيم؛ لربما في عصر الأسرات الوسطى الأول (2200 – 2040 ق. م.). وتصف حوادث تشابه بشدة تلك التي حدثت نتيجة إبتلاءات "موسى". وها هي مقارنة بين الاثنتان:

الكتاب المقدس: "... فَتَحَوَّلَ كُلُّ الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ دَمًا... فَلَمْ يَقْدِرِ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ. وَكَانَ الدَّمُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. " (خروج7: 20 – 21)

البردية: وحقًا كان النهر دمًا، لكن الرجال شربوه، فتضاءلت آدميتهم لشدة عطشهم.

الكتاب المقدس: " وَجَرَتْ نَارٌ عَلَى الأَرْضِ " (خروج 9: 23)

البردية: وحقًا احترقت البوابات والعمدان والحوائط... فانظروا النار تعلو فتمضي لإحراق أعداء البلاد.

الكتاب المقدس: "وَضَرَبَ الْبَرَدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَّرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ. " (خروج 9: 25)

البردية: وحقًا سقطت أوراق الشجر لتصبح فروعه جرداء عارية.

الكتاب المقدس: "حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَخْضَرُ فِي الشَّجَرِ وَلاَ فِي عُشْبِ الْحَقْلِ فِي كُلِّ أَرْضِ "مصر"" (خروج 10: 15)

البردية: فلم يعد هناك ثمر أو كلأ... لقد فنى كل شيء.

الكتاب المقدس: " فَكَانَ ظَلاَمٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ "مصر" " (خروج 10: 22)

البردية: وبسببه لم يعد ضوء في البلاد.

الكتاب المقدس: " جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. " (خروج 9: 6)

البردية: وحقًا بكت القلوب، وأنّت الماشية على حال البلاد.

الكتاب المقدس: "يَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ "مصر" " (خروج 11: 5)

البردية: وحقًا بقي القليل من الرجال، ومن كان منهم يواري أخاه التراب في كل مكان... فقست القلوب والطاعون ينتشر في البلاد والدماء في كل مكان، فينضح بالموت وأكفان التحنيط تتكلم قبل أن يقترب منها أحد.

بقراءة النصان وهما متجاوران يشعر المرء بأن "مصر" لم تختلف أثناء عصر الأسرات الوسطى عنها أثناء الابتلاءات العشر. فمن الجهة الأدبية يصف "الكتاب المقدس" و"العظات" "مصر" في ظروف متشابهة لكن خلال أزمنة متباينة. وهذا للدرجة التي قد تدفع بالمرء للظن بأن السبب في هذه الكوارث هو بالفعل الإله العبراني. لكن هذه الأحداث ليس فيها إعجاز، كما أنه من غير الموثق أن كل مواليد "مصر" البكر ماتوا في ليلة واحدة. فليس لدينا أي ذكر لهذا في أي سجل، مع أنه ليس بالشيء الذي يمكن إغفاله.

الأسطورة رقم 76
وغرق جيش الفرعون في البحر الأحمر

الأسطورة: " وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ. فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسَطِ الْبَحْرِ. وَكَانَ فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ النَّارِ وَالسَّحَابِ، وَأَزْعَجَ عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ، وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ نَهْرُبُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ.

فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ. فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ.

فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ " (خروج 14: 21 – 30)

الواقع: كان الغرق وصفًا مجازيًا استخدم في الكتابات المصرية ليعبر عن هزيمة الأعداء.

بعد أن رحل بنو "إسرائيل"، أبدل الفرعون رأيه وطاردهم مستعينًا بجيش العجلات الحربية بأكمله. فعثروا على الإسرائيليين المعسكرين على شاطئ البحر الأحمر وظنوا بأنهم حاصروهم. إلا أن الرب شق البحر لهم كي يعبروا إلى الضفة الأخرى. وعندما لاحقهم المصريون أعاد الرب المياه، فغرقت كل عجلات الفرعون الحربية ومات ما يزيد على ستمائة جندي مصرى.

وتعيد هذة القصة لأذهان غالبيه الناس، أي صورة جيش الفرعون وهو يغرق، أحداث فيلم "الوصايا العشر" والذي إخراجة "سيسيل بي دو ميل" (Cecil‌ B. DeMille) وفية استعان بألواحٍ من الزجاج لتصوير انشقاق مياه البحر الأحمر.

يوجد البحر الأحمر شمال غربي المحيط الهندي ويفصل بين قارة "إفريقيا" وشبه الجزيرة العربية. وليس من المستبعد أن يكون بني "إسرائيل" قد عبروا من هذا المكان، لكن السؤال هو أين حدث هذا بالضبط. كانت الصعوبة الأساسية تكمن في ترجمة الإسم "البحر الأحمر" من الإسم "يام سوف" (Yam Suf) والتي تعني حقًا "بحر القصب" (Sea of Reeds) وهذا الوصف لا ينطبق على "البحر الأحمر".

إذن فأين يوجد "بحر القصب"؟ إذا بحثنا عن مكان يشبه هذا سيكون أفضل مكان للبحث هو "الدلتا" حيث أنها تحوي عددًا كبيرًا من مستنقعات القصب. لكنه لا توجد مستنقعات بعينها تدعى "بحر القصب". مع ذلك فقد عرف المصريون بحر أسطوري يدعى "بحر القصب"، كان يغرق فيه أعداء "رع" بواسطة فيضان من المياه الحمراء.

وصف هذا البحر في "كتاب البقرة المقدسة" ضمن قصة تحكي عن ثورة البشر على حكم "رع". وعندما يغضب "رع" منهم يبعث بإلهة السماء "حتحور" لتقضي عليهم. وعندما تشرع في عملها هذا يعيد "رع" النظر في رغبته ويقرر التنازل عن انتقامه. ولكي يبعد "حتحور" خلق نبيذ أحمر يكاد يكون جعة وملأ به الحقول التي ذهبت إليها "حتحور" لتنجز مهمتها. فشربتها حتحور ونامت من السُكر وبهذا حقق "رع" غرضه.

ويأتي في النص بعد فقرة مفقودة، أن "رع" قال "كم هادئ هو هذا الحقل!" فزرع فيه نبات أخضر وأسماه "بحر القصب". لكن الكلمة "حقل" أو "سكبيت" (Sekbet) عادة ما تعني المستنقعات المليئة بالطيور والنبات.

لذا فهذه الأسطورة تحكي عن "مستنقع القصب" أو "بحر القصب" الذي طفت فوقه

جثث أعداء "رع" ثم فاضت لتغرقهم في مياه حمراء، وهذا قد يكون سببًا في الخلط بين "بحر القصب" و"البحر الأحمر".

وتنبثق فكرة غرق جيش الفرعون من هذه القصة. فالموقع مماثل أي "بحر القصب" وجيش الفرعون هم البشر الذين ثاروا على حكم الإله "رع" الذي استبدل بالإله "يهوا".

أما الجزء المفقود فهو انشقاق البحر. فالزعم التوراتي مجرد إضافة متأخرة على القصة. حيث أن "ترنيمة موسى" (Song of Moses) الموجودة في الإصحاح الخامس عشر من سفر "الخروج" تعد أقدم نص موجود في "التوراة" (لربما من القرن 10 – 12 ق. م.) وهي تأتي بعد قصة غرق جيش الفرعون مباشرة، وفيها يذكر ملخص لهزيمة الفرعون، لكنها لا تأتي على ذكر انشقاق البحر، بل تذكر فقط غرق الجنود. والمشوق في النص هو الفقرة التالية: " وَبِكَثْرَةِ عَظَمَتِكَ تَهْدِمُ مُقَاوِمِيكَ. تُرْسِلُ سَخَطَكَ فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشّ، " (خروج 15: 7).

لاحظ أن الحبكة الأساسية مستقاة من "كتاب البقرة المقدسة". فالترنيمة التوراتية تصور جيش الفرعون على أنه ثورة على الرب. هذه الصورة تختلف قليلاً خلال باقي سفر "الخروج"، إذ يسلط الرب غضبه عليهم فيهلكهم. أما في "كتاب البقرة المقدسة" فنجد "رع" وقد قامت ثورة ضدة، ينصب غضبه على البشر في هيأة "حتحور". وبينما تحذف "التوراة" "حتوحور" من القصة، نجد أن هناك شيئ آخر حل محلها:

"فَانْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ، وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلاَمُ وَأَضَاءَ اللَّيْلَ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هذَا إِلَى ذَاكَ كُلَّ اللَّيْلِ. " (خروج 14: 19 – 20)

حل الملاك المذكور في النص محل "حتحور" رسولة الإله، وبالإضافة لهذه الصفة المشتركة، تشابه معها أيضًا في كونه مكان شروق الشمس.

وبالإضافة إلى "البقرة المقدسة" استخدم المصريون كثيرًا حبكة إغراق الأعداء لوصف هزيمتهم. فعلى سبيل المثال، قيل أن الملك "رمسيس الثاني" أغرق بمفرده كل الأعداء في نهر "العاصي" أثناء حربه مع "الحيثيين"، بالرغم من أنه:

دخل بين جمهرة من قتلى الحيثيين، فكان وحيدًا، لا أحد معه. وزال عنه كل بهائه، ووجد نفسه محاطًا بـ2500 زوج من الخيول بكل راكبيها من الحيثيين القتلى ومن العديد من الجنسيات المحابية لهم.

(جاردنير، "مصر" الفراعنة، 263)

وحقيقة الأمر هو أن "رمسيس" خسر المعركة والشيء الوحيد الذي أنقذه هو وصول فيلق آخر. وفيما واجه بنو "إسرائيل" ستمئة جندي مصري فقط، واجه "رمسيس" أربعة أضعاف هذا الرقم وادعى أنه أغرقهم جميعًا. لذا ففي قصة "موسى" اتبع الكتبة ببساطة العقيدة المصرية التي تزعم بأن الرب يغرق جيوش أعدائه.

الأسطورة رقم 77
وصنع هارون عِجلاً من الذهب

الأسطورة: "وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ." (خروج 32: 1 – 5)

الواقع: ابتُدعت قصة العجل الذهبي بعد انفصال "يهوذا" عن "إسرائيل" بغرض زعزعة مكانة الكهنة أتباع "هارون" الموجودين في "إسرائيل".

عندما كان "موسى" فوق الجبل قلق بنو "إسرائيل" وسألوا "هارون" أخو "موسى" أن يصنع لهم ربًا. وكانت هذه مخالفة لـ"الوصايا العشر" التي نهت عن عبادة أي رب سوى "يهوا" ونهت عن عبادة الأصنام. ولأن النص مختلط هنا فلا ندري إن كانوا عرفوا بإثم هذا الفعل أم لا. لكن على أيه حال، صنع "هرون" لهم العجل الذهبي وعندما نزل "موسى" من فوق الجبل ومعه الألواح التي تحمل ناموس الرب ورأى الصنم، هشم الألواح في ثورة غضبه.

لكن المحير هو ما قاله "هارون" عندما انتهى من الصنم. فلقد قال عنه: "هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ "مصر" ". لكنه صنع تمثال واحد فقط، فلماذا دعاه بالجمع؟

تكمن الإجابة في الشقاق الذي حدث بين مملكتي "يهوذا" و"إسرائيل". وعندما انفصلت "إسرائيل" بقيادة "يربعام" عن "يهوذا"، كان يوجد احتياج لتطوير نظم دينية مختلفة عن تلك السائدة بين الكهنة اليهود في "هيكل سليمان"، الذي غدا رمزًا دينيًا رئيسيًا للمملكتان المتحدثان.

وخشي "يربعام" أن يفقد سيطرته على أتباعه عند قدوم أيام الأعياد التي تقتضي الذهاب إلى الهيكل في "القدس".

"إِنْ صَعِدَ هذَا الشَّعْبُ لِيُقَرِّبُوا ذَبَائِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، يَرْجعْ قَلْبُ هذَا الشَّعْبِ إِلَى سَيِّدِهِمْ، إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا وَيَقْتُلُونِي، وَيَرْجِعُوا إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا." (ملوك الأول 12: 27)

لذا أقام مركزان دينيان منافسان، أحدهما على الحدود الجنوبية لـ"إسرائيل" عند "بيت إيل"، والثاني على الحدود الشمالية عند "دان".

"فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ وَعَمِلَ عِجْلَيْ ذَهَبٍ، وَقَالَ لَهُمْ كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَوَضَعَ وَاحِدًا فِي بَيْتِ إِيلَ، وَجَعَلَ الآخَرَ فِي دَانَ." (خروج 12: 28 - 29)

لاحظ اللغة المستخدمة هنا "هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ." فها هي نفس الكلمات التي استخدمها "هارون" من قبل ولكن استخدام الجمع هنا ملائم إذ أنه يتحدث عن عجلين.

كانت "يهوذا" و"إسرائيل" في خضم صراع ديني وسياسي. وكان العجلان الذهبيان يعدان عرشًا للرب وكان الهدف منهما هو منافسة عرش الرب في "يهوذا" الذي كان "تابوت عهد الرب" المحفوظ في "هيكل القدس" والذي كان يوجد أعلاه ملاكين.

كان العرش اليهوذي متواضع الحجم أعلاه يوجد عجلين يعملان كحامل للقدمين. وكان هذا العرش بداخل الهيكل فلم يسمح سوى للقليلين بالوصول إليه. ضم هذا العرش كل المملكة بكل من في داخل "إسرائيل" ماعدا مقاطعة "يهوذا".

لم تكن "يهوذا" لتسمح بهذه الإهانة من دون رد، لذا ابتكرت هذه القصة التي تسم "هارون" بالإثم في حق الرب بصنعه للعجل الذهبي. فأخذت الكلمات التي صرح بها "يربعام" حول العجلين الذهبيين ووضعتهم على لسان "هارون"، لكن من دون تعديل لصفة الجمع في العبارة.

هذا بالطبع خلق مشاكل إضافية. فربط "هارون" بالإثم في حق الرب إضعافًا لسلطات أتباع "هارون". فأتباع "هارون" كانوا من أقدم الجماعات الدينية في "إسرائيل"، فهي إحدى فروع اللاويين الذين ادعوا بأنهم الطبقة العليا للكهنة، في مقابل كل الفروع الأخرى الأدنى شأنًا من اللاويين.

وبعد أن اكتشف "موسى: إثم "هارون" نادى قائلاً:

"مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي. فَقَالَ لَهُمْ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ. فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل. وَقَالَ مُوسَى امْلأُوا أَيْدِيَكُمُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً." (خروج 32: 29)

فأعطى هذا التصريح سلطات متساوية للاويين وأظهر أن قصة العجل الذهبي لابد وأن تكون نتاج عمل جماعة غير أتباع "هارون" من اللاويين المقيمين في "القدس". فكما هو واضح كان الغرض هو كبح نفوذ أتباع "هارون" والإعلاء من شأن الجماعات الأخرى من اللاويين.

الأسطورة رقم 78

وأعطى موسى الوصايا العشر لبني إسرائيل

الأسطورة: "ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ "مصر" مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً. اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ

سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ.

لاَ تَقْتُلْ.

لاَ تَزْنِ.

لاَ تَسْرِقْ.

لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.

لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ." (خروج 20: 1 – 17)

الواقع: يوجد في "الكتاب المقدس" العديد من الروايات المتضاربة حول القوانين التي سنت على بني "إسرائيل" وكيفية تقبلهم لها ومتى وأين فرضت عليهم. أما تلك الوصايا التقليدية المذكورة سابقًا فهي بدعة متأخرة لم يسبق لها الوجود قبل القرن السابع قبل الميلاد.

إن الرواية التقليدية لتلقي بنو "إسرائيل" هذه الوصايا العشر تقول: أن الرب أمر بنو "إسرائيل" باتباع الوصايا العشر شفهيًا ثم ما لبث أن دونت أوامره على ألواح حجرية. تلقى "موسى" هذه الألواح على جبل "سيناء" (Sinai) ونزل بها لشعبه. وعند وصوله رأى العجل الذهبي الذي صنعه أخوه "هارون" فأصابه الغضب وحطم الألواح. ثم عاد إلى الجبل وأحضر ألواحًا جديدة. وهذه المرة سلمهم لبني "إسرائيل" لكنه وضعهم بداخل "تابوت عهد الرب" للحفاظ عليهم. لاحقًا صارت هذه الوصايا العشر رباطًا مقدسًا يربط بنو "إسرائيل" بالرب العبراني.

لكن هذه القصة للأسف تكونت من عدة خيوط تعج بالتضاربات والروايات البديلة. فيدمج "الكتاب المقدس" أربعة سنن مختلفة على الأقل في قصة الوصايا العشر، إثنان منهما يتطابقا مع النسخة التقليدية للوصايا العشر، وواحدة تحوي نسخة مختلفة تمامًا عن الوصايا العشر، وأخرى تحوي ما يزيد على أربعين وصية تضم مجموع الوصايا المذكورة في النسخ الثلاث الأخرى.

إن الكلمة أو اللفظ المترجم من العبرانية أو الاغريقية بمعنى "وصية" تعني في الحقيقة لفظة "كلمة". لذا فعلى الرغم من محتوى الوصايا العشر البليغ، فإنه فكان من المفترض في الأصل أن تكون هناك "عشر كلمات" مكتوبة على الألواح.

تتضارب إفادات "الكتاب المقدس" أيضًا بشأن المكان والزمان الذي تلقى فيه بنو "إسرائيل" الألواح. ففي سفر "الخروج" يأتي "موسى" بالألواح إلى بني "إسرائيل" خلال الأشهر الأولى من الخروج حينما عسكروا عند جبل "سيناء". أما في سفر "التثنية" فيسلمهم "موسى" الألواح بعد أربعين سنة في منطقة جبل "حوريب" (Horeb) على مشارف الأرض الموعودة.

تبدأ قصة الوصايا العشر في "الكتاب المقدس" بظهور دخان ورعد وبرق فيما عرض الرب على بني "إسرائيل" عهده. أطيعوني وسأهب لكم وطنًا في أرض "كنعان" وأطرد أهلها. ثم يعلن وصاياه العشر التي يأتي ذكرها في سفر "الخروج" 20: 1 – 17. وتعتبر هذه الوصايا هي النسخة التقليدية من الوصايا العشر.

يروي لنا سفر "التثنية" نفس الأحداث بصياغة مختلفة ثم تأتي في الإصحاح 5: 6 – 21 من سفر "التثنية" نسخة ثانية من وصايا الرب. هاتان المجموعتان من الوصايا تتطابقا فيما عدا اختلافين مهمين.

فبخصوص وصية يوم السبت يذكر سفر "التثنية" أنها فرضت على بني "إسرائيل" كتذكرة لهم بفضل الرب على الشعب العبراني لتحريره من الإستعباد في "مصر". في حين يقول سفر "الخروج" أن الحكمة من راحة السبت هو تذكير بني "إسرائيل" أن الرب ارتاح في اليوم السابع للخلق.

لكن هناك اختلاف آخر بين سفري "الخروج" و"التثنية" يظهر في الوصية الأخيرة التي تتعلق باشتهاء ممتلكات الغير، فيأتي في سفر "الخروج":

"لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ." (خروج 20: 17)

أما سفر "التثنية" فيقول:

"وَلاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلاَ حَقْلَهُ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ." (تثنية 5: 21)

والاختلاف هنا في أن النسخة الأولى تذكر الزوجة بوصفها من ممتلكات بيت الرجل، أما في الثانية فهي كيان مستقل بذاته عن البيت.

ومع أن اللغة تكاد تتطابق في النصين إلا أن الاختلافان يدلان على وجود تضارب بشأن ماهية ما كان محفورًا على الألواح الحجرية. ولكن من الآن فصاعدًا سأستخدم لفظ "النص التقليدي" لوصف هذان النصان. فعندما يذكر أي شخص الوصايا العشر، غالبًا ما يكون هذان النصان هما ما يعنيه.

عندما انتهى الرب من الاعلان عن شروط عهده، إرتعب الناس وسألوا "موسى" أن يتكلم إلى الرب ويعفيهم من هذا العهد "مخافة أن يموتوا". فصعد "موسى" الجبل ليكلم الرب وهناك دار بينهما حديث طويل عرض الرب خلاله سلسلة من الوصايا تتعدى الأربعين لربما الستين وفقًا لتقسيم وترقيم العبارات. (هذه الوصايا مذكورة في سفر "الخروج" 21: 1 – 23: 26) لكن لهذه الوصايا دباجة خاصة هي: "وَهذِهِ هِيَ الأَحْكَامُ الَّتِي تَضَعُ أَمَامَهُمْ: إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ، وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَّانًا." (خروج 21: 1 – 2)

ومع أننا لسنا مضطرون لمراجعة كافة تلك "الأحكام" لابد لنا من ملاحظة أنها تحتوي على الوصايا العشر التقليدية في نصها الكامل، لكنها في نصها وعرضها للأوامر الربانية تختلف بشكل كبير عن النسخة التقليدية للوصايا. وهنا سأسمي هذه المجموعة الجديدة من الآن فصاعدًا بإسم "الأحكام".

وفي نهاية الحديث المطول بين الرب و"موسى" يجيئ التالي:

"فَجَاءَ مُوسَى وَحَدَّثَ الشَّعْبَ بِجَمِيعِ أَقْوَالِ الرَّبِّ وَجَمِيعِ الأَحْكَامِ، فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَقَالُوا كُلُّ الأَقْوَالِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفْعَلُ. فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَكَّرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحًا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَاثْنَيْ عَشَرَ عَمُودًا لأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ." (خروج 24: 3 – 4)

وهنا تأتي أولى تصريحات الرب التي ليس لها وجود على الألواح. فيقول النص أن "موسى" أخبر الناس في البداية "بِجَمِيعِ أَقْوَالِ الرَّبِّ وَجَمِيعِ الأَحْكَامِ" وقال الناس أنهم سيتبعون هذه الأقوال " فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ " وعلى حين أن "موسى" ذكر "أقوال" و"أحكام" الرب. قبل الناس بـ"أقوال" الرب فقط، إذ أن "موسى" كتب "الأقوال"، إذًا فأين ذهبت "الأحكام"؟

هل هذان اللفظان "أقوال" و"أحكام" لهما نفس المعنى أم أن لفظ "أقوال" يعني أوامر الرب التي ألقاها على الناس و"أحكام" تعني الوصايا التي أملاها الرب على "موسى" فوق الجبل؟ وإذ أن الناس سمعوا أوامر الرب وخافوا منها، يبدو من المستبعد أن يعاد أمرهم بها مرة أخرى، خاصة وأن فحواها كان جليًا في المرة الأولى. إذن فهل دوّن "موسى" أوامر الرب التي ألقاها على الناس أم تلك التي ألقاها عليه منفردًا ؟ أم الإثنين معًا؟ وهل معنى كلمتا "أقوال" و"أحكام" متطابقتين بحيث يمكن إبدال واحدة بالأخرى؟

وفق سياق النص، دّون "موسى" وصايا الرب بعد حوارة الشخصي معه، وإن المرء ليتوقع أن يجد نص هذا الحوار مدونًا ضمن ما كُتِب، إلا أننا نرى نموذجًا للتنقيح المعقد الناتج عن اختلاط عدد من التقاليد المختلفة في النص.

أعلن الرب عن وصاياه في سفر "الخروج" الإصحاح 20، في نهاية هذا الإصحاح يعطي الرب توجيهات لبناء مذبح له. وفي الآية الأخيرة من الإصحاح يقول "وَلاَ تَصْعَدْ بِدَرَجٍ إِلَى مَذْبَحِي كَيْلاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ." (خروج 20: 26) لكن يأتي في سفر الخروج 24: 1 استمرارًا لتوجيهات بناء المذبح بأوامر محددة لـ"موسى" "اصْعَدْ إِلَى الرَّبِّ أَنْتَ وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو، وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَاسْجُدُوا مِنْ بَعِيدٍ."

ومع ذلك فيأتي في "الأحكام" تقليد مختلف عن وصايا الرب كان منتشرًا آنذاك، ولقد أدخله أحد منقحي "التوراة" في سفر "الخروج" بداية من الإصحاح 21: 1، ولقد قاطع هذا تسلسل القصة التي تذكر أوامر الرب "التقليدية" في الوصايا العشر. تسبب هذا التدخل في خلط المعلومات فلم يعد من المعروف إن كان السرد يتحدث عن "الأقوال" التي كانت في أوامر الرب أم أنه كان يتحدث عن "الأحكام" التي أدخلت إلى النص.

بعد أن كتب "موسى" أيًا من هاتين المجموعتين، أطلق "موسى" على ما كتبه اسم "سفر عهد الرب" وقرأه على الناس (خروج 24: 7). فهَل كان مرغمًا على قراءة ما قاله الرب ثانية أم أنه كان مرغمًا على هذا لأن "الأحكام" ضمت أوامر لم يسمع بها من الرب شخص سواه؟

بعد مظاهر الاحتفال التي أقيمت لقبول العهد، دعا الرب "موسى" لصعود الجبل مرة أخرى.

"وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ." (خروج 24: 12)

وفي هذا النص يأتي أول ذكر للألواح الحجرية. فيقول أنه كُتب ويلمح إلى – ولا يصرح بذلك علانية – أنها تضم كل من "الناموس" و"الوصايا" معًا، وهو ما يرجح أنها حملت ما يختلف أو يزيد عن الوصايا العشر التقليدية.

عاد "موسى" فصعد الجبل لكن بدلاً من أن يتسلم تلك الألواح المذكورة دخل في نقاش طويل مع الرب، كان هذه المرة بشأن تصميم وبناء هيكل مقدس، فناقشا ماهيته ومظهر رداء الكهنة وكل ما يتعلق به (خروج 24: 16 – 31: 17). وجاء ضمن تلك التوجيهات أن من يخرق راحة السبت يعاقب بالإعدام. وبعد تلك التوجيهات المطولة حول الطريقة السليمة لعبادة الرب، ثم سلم الرب الألواح لـ"موسى".

" ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبِعِ اللهِ." (خروج 31: 17)

والآن تسلم "موسى" للمرة الأولى لوحان حجريان كان يطلق عليهما "لوحي الشهادة" وليس "لوحي الوصايا" أو "الوصايا العشر". إذن فما هي ألواح الشهادة هذه؟ وهل تحتوي على شيئ مخالف لما كتب فيما سبق في سفر العهد؟ من المنطقي أن تكون هذه الألواح هي التي دعى الرب "موسى" لصعود الجبل لتسلمها والتي كانت قد كتبت من قبل واحتوت على "الناموس والوصايا" معًا.

ولكن بينما اجتمع الرب بـ"موسى" في الأعلى، صنع "هارون" عجلاً ذهبيًا في الأسفل. عندما عاد "موسى" واكتشف ما فعله أخاه، والذي كان خرقًا لاثنين من الوصايا التي سبق إملائها على الناس، أصابه الغضب فحطم الألواح. وهنا ذكرت عواقب مختلفة لإثم بني "إسرائيل"، وفي الإصحاح 34 من سفر "الخروج" يقول الرب لـ"موسى" " انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا. "

فيعد "موسى" اللوحين ويقف بين يدى الرب. وفي هذا الحديث يجدد الرب دعوته للعهد ويقول إن أطاعت "إسرائيل" أوامر الرب فسيهب "كنعان" للشعب ويطرد أعدائه منها. فكان هذا هو نفس العهد الذي أقامه أولاً. كان هذا التكرار ضروريًا إذ أنه جزء من

الاتفاقية على اتباع الوصايا فكان من الواجب إضافتها تحريريًا إلى النسخة المكتوبة. كان هذا يعني أيضًا أن الكلمات التالية هي نص الوصايا المقترنة بالعهد.

وبعد أن يجدد الرب عهده، يردد مجموعة أخرى من الوصايا التي اختلفت عن سابقتها بشكل كبير كما سنرى. وأولاً دعونا نبحث في الأمر النهائي الذي ألقاه الرب.

" وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى اكْتُبْ لِنَفْسِكَ هذِهِ الْكَلِمَاتِ، لأَنَّنِي بِحَسَبِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَكَ وَمَعَ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ. " (خروج 34: 27 – 28)

وللمرة الأولى يشير "الكتاب المقدس" للوصايا العشر ويقول أن "موسى" دونهم على الألواح الحجرية. وفي العبارة الافتتاحية يقال لنا أن الألواح الجديدة حملت نفس الكلمات التي كتبت على الألواح المكسورة. تبع ذلك مجموعة من الوصايا الجديدة وخاتمة تقول أن هذه هي الوصايا العشر. وماذا تقول الوصايا؟ (الأرقام التي تسبق كل فقرة موضوعة لتسهيل عملية الفصل بين الوصايا، وهذه الأرقام غير موجودة في "الكتاب المقدس". أما الجزء الرئيسي من كل وصية فهو مكتوب بالخط السميك.)

1. **احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ، بَلْ تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ. فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لإِلهٍ آخَرَ، لأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ. إِلهٌ غَيُورٌ هُوَ.**
2. **احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ، فَيَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ وَيَذْبَحُونَ لآلِهَتِهِمْ، فَتُدْعَى وَتَأْكُلُ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ، وَتَأْخُذُ مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكَ، فَتَزْنِي بَنَاتُهُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ، وَيَجْعَلْنَ بَنِيكَ يَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ.**
3. **لاَ تَصْنَعْ لِنَفْسِكَ آلِهَةً مَسْبُوكَةً.**
4. **تَحْفَظُ عِيدَ الْفَطِيرِ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُ فَطِيرًا كَمَا أَمَرْتُكَ فِي وَقْتِ شَهْرِ أَبِيبَ، لأَنَّكَ فِي شَهْرِ أَبِيبَ خَرَجْتَ مِنْ مِصْرَ.**
5. **لِي كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُلُّ مَا يُولَدُ ذَكَرًا مِنْ مَوَاشِيكَ بِكْرًا مِنْ ثَوْرٍ وَشَاةٍ. وَأَمَّا بِكْرُ الْحِمَارِ فَتَفْدِيهِ بِشَاةٍ، وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ تَكْسِرُ عُنُقَهُ. كُلُّ بِكْرٍ مِنْ بَنِيكَ تَفْدِيهِ، وَلاَ يَظْهَرُوا أَمَامِي فَارِغِينَ.**
6. **سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَتَسْتَرِيحُ فِيهِ. فِي الْفَلاَحَةِ وَفِي الْحَصَادِ تَسْتَرِيحُ.**

7. وَتَصْنَعُ لِنَفْسِكَ عِيدَ الأَسَابِيعِ أَبْكَارِ حِصَادِ الْحِنْطَةِ. وَعِيدَ الْجَمْعِ فِي آخِرِ السَّنَةِ.
8. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَظْهَرُ جَمِيعُ ذُكُورِكَ أَمَامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. فَإِنِّي أَطْرُدُ الأُمَمَ مِنْ قُدَّامِكَ وَأُوَسِّعُ تُخُومَكَ، وَلاَ يَشْتَهِي أَحَدٌ أَرْضَكَ حِينَ تَصْعَدُ لِتَظْهَرَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ.
9. لاَ تَذْبَحْ عَلَى خَمِيرٍ دَمَ ذَبِيحَتِي، وَلاَ تَبِتْ إِلَى الْغَدِ ذَبِيحَةُ عِيدِ الْفِصْحِ.
10. أَوَّلُ أَبْكَارِ أَرْضِكَ تُحْضِرُهُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ.
11. لاَ تَطْبُخْ جَدْيًا بِلَبَنِ أُمِّهِ.

(خروج 34: 12 – 26)

وهذه هي الوصايا العشر الصحيحة وفقًا لـ"الكتاب المقدس" لكن في الحقيقة تختلف هذه بشكل كبير عن تلك التي الوصايا التي أعلنها الرب شفهيًا في سفر "الخروج" 20 وسفر "التثنية" 5. ولهذا فمن الآن فصاعدًا سأطلق على الوصايا الجديدة اسم "الوصايا العشر الطقوسية". يقول النص أن هذه الوصايا هي نفسها التي كتبت على الألواح الأولى. تضم "الأحكام" فحوى الوصايا العشر الطقوسية، لكنهت كما هي الحال مع الوصايا العشر التقليدية، تستخدم لغة وترتيب مختلف.

تتشابه الوصايا العشر الطقوسية مع تلك التقليدية في ثلاثة نقاط فقط. فمع أن المجموعتين تحرمان عبادة الآلهة الأخرى، تأمر النسخة الطقوسية بني "إسرائيل" بتدمير الرموز الدينية للشعوب الأخرى. تحرم المجموعتان أيضًا النحت التصويري، لكن التحريم في الوصايا الطقوسية أقل حزمًا. وفي النهاية فمجموعتا الوصايا تطالب بالإلتزام بالسبت لكن الوصايا الطقوسية تمدد هذا الإلتزام ليطال مناسبات دينية أخرى.

وعلى العكس من نسختي الوصايا العشر التقليدية اللتان تختلفان في تفسير قدسية يوم السبت. فبينما لا توفر لنا الوصايا العشر الطقوسية أي تفسير لهذا. فان "الأحكام" تقدم لنا تفسير مختلف تمامًا.

"سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ عَمَلَكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ تَسْتَرِيحُ، لِكَيْ يَسْتَرِيحَ ثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ، وَيَتَنَفَّسَ ابْنُ أَمَتِكَ وَالْغَرِيبُ" (خروج 23: 12)

ووجهة النظر هنا، أن الماشية والخدم المرهقين من كثرة العمل طيلة الأسبوع لن يكونوا

منتجين بالقدر الكافي لإيفاء الرب حقه. ويبدو هذا التفسير أقرب للتصور كمنشأ لهذه الوصية الربانية.

إن نقاط الإلتقاء بين الوصايا العشر التقليدية والطقوسية تتعلق بالتعليمات الخاصة بطاعة الرب. بينما تختلف الإثنتان في أن الوصايا التقليدية تحرم الإساءة للآخرين في حين تركز الوصايا الطقوسية فقط على قواعد العبادات.

إن وجهة النظر التي تعبر عنها الوصايا العشر الطقوسية تبدو أكثر منطقية كأساس لعهد الرب، وذلك أكثر من وجهة النظر التي تعرضها الوصايا التقليدية. فتحريم الإساءة للآخرين كان شيئًا متعارفًا ومنتشرًا في المجتمعات القديمة. كان الجميع على دراية بأن القتل والسرقة والكذب من الآثام. لماذا إذن يجعل الرب منهم شروطًا لعهده الخاص؟ وكما هو جلي، فالرب كيان غيور، لذا كان حريًا بأي عهد يقطعه أن يرتكز على شروط ملزمة للناس بطاعته وإحسان معاملته وليس بإحسان معاملة الآخرين من البشر.

إن أمر الرب القائل "تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ." المذكور في الوصايا العشر الطقوسية يظهر ميلاً عسكريًا في عرضه للأمور. كما أن مسألة وضعه ضمن قصة العجل الذهبي يعطينا فكرة عن الجماعة الدينية المسئولة عن إضافتها.

كما رأينا كانت قصة العجل الذهبي أسطورة أطلقتها جماعة اللاويين بغرض الاعتراض على نفوذ أتباع "هارون" وانفصال المملكة الشمالية عن "يهوذا". وفي تلك القصة، قتل اللاويون (بجميع فروعهم) ما يزيد على الثلاثة آلاف شخص ممن عصوا وصايا الرب. وهذه الصفة العسكرية المنسوبة للفريق الكهنوتي ترجح أن هذا الفريق من اللاويين، الذي ابتدع قصة العجل الذهبي، هو المسئول عن إضافة الوصايا العشر الطقوسية ذات الطابع العسكري. مما يرجع تاريخ ظهور هذه الوصايا لزمن ما بعد انفصال المملكتين اليهوديتان عن بعضهما.

فإذا كانت قصة العجل الذهبي ضربًا من الخيال، فإن رد الفعل بتحطيم الألواح الحجرية يعد أيضًا ضربًا من الخيال. قبل ابتداع الوصايا العشر الطقوسية كانت هناك مجموعة من الوصايا الأقدم التي حفرت على لوحين حجريين لكنها فقدت فيما بعد. ولقد كان اللاويون هم من ابتكروا هذه الوصايا الجديدة بغرض استبدال الوصايا المنافسة لهم. بعد استخدام اسم "الوصايا العشر" في "الكتاب المقدس" لوصف تلك المجموعة من الأوامر الربانية، وقد

إستخدم هذا الاسم مرتان أخريتان فقط، كلاهما في سفر "التثنية". فيقول سفر "التثنية" 4: 13 أن الوصايا العشر كتبت على لوحين حجريين، لكنها لا تشرح تفاصيلها. ثم يأتي ذكر الوصايا مرة أخرى في سفر "التثنية" حيث كتبت تفصيلاً، فيقول سفر "التثنية" 10: 3 – 4: "فَصَنَعْتُ تَابُوتًا مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، وَنَحَتُّ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الأَوَّلَيْنِ، وَصَعِدْتُ إِلَى الْجَبَلِ وَاللَّوْحَانِ فِي يَدِي. فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ مِثْلَ الْكِتَابَةِ الأُولَى، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ الَّتِي كَلَّمَكُمْ بِهَا الرَّبُّ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ فِي يَوْمِ الاجْتِمَاعِ، وَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ إِيَّاهَا."

تشير هذه الفقرة تحديدًا إلى المجموعة الثانية من الألواح التي تحمل الوصايا العشر، إلا أنها تذكر أن الرب هو من كتبها وليس "موسى". وحيث أن فقرة سفر "التثنية" تأتي بعد قصة العجل الذهبي، فلابد وأنها كتبت بعد ابتكار الوصايا العشر وقُدمت كبديل لها.

مع ذلك يقول سفر "التثنية" في الإصحاح 5: 22 الذي يتبع مجموعة الوصايا العشر التقليدية مباشرة:

"هذِهِ الْكَلِمَاتُ كَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ جَمَاعَتِكُمْ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَالسَّحَابِ وَالضَّبَابِ، وَصَوْتٍ عَظِيمٍ وَلَمْ يَزِدْ. وَكَتَبَهَا عَلَى لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ وَأَعْطَانِي إِيَّاهَا."

إن عبارة " وَلَمْ يَزِدْ " توضح أن الوصايا التقليدية تطورت لتصبح عشرة فقط. ففي سفر "الخروج" عندما دُعي "موسى" لصعود الجبل، كان سيتسلم الألواح المكتوب عليها "الشريعة والوصايا". ويبدو أن كاتب سفر "التثنية" ميز بين تقليد مختلف يتكون من مجموعة من الأوامر تزيد عن العشر وصايا، من المحتمل أنها كانت مجموعة "الأحكام" المؤلفة من العشر وصايا التقليدية والطقوسية معًا. الاحتمال الآخر هو أن الكاتب لربما قلق من أن بعض الناس قد يعتبر العشر وصايا الطقوسية إضافة إلى العشر وصايا التقليدية وأراد لهذا أن يتأكد من أن هذه هي النسخة الوحيدة المقبولة لديهم.

تثبت لنا روايُة الملك "يوشيا" الذي عثر على "شريعة موسى" والذي حكم منذ عام 639 ق. م. وحتى 609 ق. م. أن الوصايا العشر التقليدية المذكورة في سفري "الخروج" و"التثنية" مجرد إضافات متأخرة على "الكتاب المقدس".

فوفقًا لـ"الكتاب المقدس" فإن النسخة الوحيدة من الشريعة كانت قد اختفت من المملكة قبل عصر الملك "يوشيا"، فلم يكن يعرف أحد ماهيته أو ما إذا كان قد اتبعه أحد ذات يوم. ووفقًا لسفر "الملوك الثاني" 22: 8، عثر الكاهن الأكبر للهيكل "حلقيا" (Hilkiah) على

النص في مكان ما من الهيكل وأعطاه لكاتب اسمه "شافان" (Shaphan). والذى بدوره أعطى النص إلى الملك "يوشيا" ثم قرءاه سويًا. ولدهشتهما وجدا أنه يخالف شريعة "موسى"، فاستاء "يوشيا" وأجر ملابسه مخافة أن يغضب الرب من مملكة "يهوذا".

لكن لحظه السعيد تم العثور على نسخة من "الشريعة" الضائعة في الهيكل فإستطاع العبرانيون الكف عن إرتكاب الآثام. وعلى أساس هذه المخطوطة حقق "يوشيا" مجموعة من الإصلاحات الدينية التي كفلت إستعادة شريعة "موسى". لهذا فمن المرجح أن كهنته هم من كتبوا سفر "التثنية".

قد يعجب المرء كيف أن مجموعة بسيطة من القوانين التي تكون عهد الأمة والرب يمكن أن تفقد وتنسى بهذه البساطة، خاصة وأنها قد حفرت على ألواح حجرية. وقد إتضح أنها مكتوبة على لفافات وليس على ألواح حجرية. كما أنها لم توضع في "تابوت عهد الرب" حيث حفظها "موسى".

على أية حال، فالممارسات الدينية والخطط السياسية السابقة لوجود الوصايا التقليدية والموجودة في سفر "التثنية" لم تظهر قبل عهد الملك "يوشيا". وعلية فلابد وأنها كتبت فيما بعد، وإلا لعلم "يوشيا" بها وعلق بشكل ما على الاختلاف بينها وبين النسخة الأخرى.

بإختصار يعرض "الكتاب المقدس" لأربعة صيغ تشريعية مختلفة، كل منها تزعم أنها النسخة الأصلية لعهد الرب مع "إسرائيل". والنسخة الوحيدة التي يصر الكتاب القدس علي أنها "الوصايا العشر" هي النسخة الطقوسية. وهي النسخه التي ظهرت بعد انفصال "إسرائيل" عن "يهوذا" والتى من المفترض أن "موسى" سلمها لبني "إسرائيل" في البرية، ويرجع تاريخها لزمن لاحق على الوصايا العشر الطقوسية وليس قبل حكم الملك "يوشيا".

وفي النهاية لدينا نسخة رابعة بإسم "الأحكام" وهي تغطي الوصايا العشر التقليدية والطقوسية بالإضافة إلى مجموعة من القوانين الأخرى. وتاريخ كتابتها مجهول، كما أن لغتها مختلفة بشكل كبير عن الثلاث نسخ الأخرى. وإن كانت إحداهم قد اقتبست من هذه الأحكام فقد كان من المتوقع أن تتبنى لغتها وترتيب أوامرها إلا أن هذا لم يحدث. وإنه لمن المرجح أيضًا أنها أدخلت على إحدى نسخ الوصايا بسبب إنتشار تعاليمها بين العامة وتبنيها كنوع من التقليد المتعارف عليه.

الأسطورة رقم 79

واحتوى تابوت عهد الرب على الوصايا العشر

الأسطورة: "وَتَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى التَّابُوتِ مِنْ فَوْقُ، وَفِي التَّابُوتِ تَضَعُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ." (خروج 25: 21)

الواقع: إحتوى التابوت على تاج مصري مرصع بثعبان مما يدلل على تبعية "إسرائيل" للإله المصري.

عندما تلقى "موسى" أوامر الرب بشأن أشكال العبادة الصحيحة أمره بأن يصنع تابوتًا له مواصفات خاصة به توضع به "الشهادة". وهذه "الشهادة" كانت حفرًا على ألواح حجرية حملت "الشريعة والوصايا".

أثناء مناقشة الأسطورة رقم 78 راينا أن الوصايا العشر التقليدية لم توجد في عصر "موسى" لذا فلا يمكن أن تكون قد وضعت في "تابوت عهد الرب". لكن إذا افترضنا أن "الشهادة" و"الوصايا العشر" هما نفس الشيء، يمكننا أن نبحث في الأمور المتعلقة بمحتويات التابوت.

في بعض أجزاء "الكتاب المقدس" يوصف التابوت بكونه ذو قوى سحرية تحمي مالكه. ولأسباب منطقية عدة كان رمزًا للرب بنفسه. فلننظر هذا المثال في النص التالي:

"وَعِنْدَ ارْتِحَالِ التَّابُوتِ كَانَ مُوسَى يَقُولُ قُمْ يَا رَبُّ، فَلْتَتَبَدَّدْ أَعْدَاؤُكَ وَيَهْرُبْ مُبْغِضُوكَ مِنْ أَمَامِكَ. وَعِنْدَ حُلُولِهِ كَانَ يَقُولُ ارْجِعْ يَا رَبُّ إِلَى رِبْوَاتِ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ. " (عدد 10: 35 – 36)

عادة ما يوصف إرتحال ووجود التابوت كإرتحال ووجود للرب. فعندما يتقدم التابوت إلى الحرب ينهض الرب وعندما يستريح، يستريح الرب أيضًا. وفي تاريخ "إسرائيل" منذ "موسى" وحتى "سليمان" يلعب التابوت دورًا محوريًا في شئون "إسرائيل".

كان التابوت في الأصل موجود في "شيلون" ومقترنًا بالسبط الشمالى لـ"إفرايم"، ثم نقله "داود" إلى "القدس" ووضعه "سليمان" في الهيكل" جاعلاً مفتاح "إسرائيل" في أيد "يهوذا". ومن ناحية أخرى تتعامل فقرات أخرى من "التوراة" خاصة في سفر "التثنية" مع التابوت بوصفه مجرد صندوق يحتوي على الوصايا العشر.

إن عدد الأسماء التي اطلقت علي "التابوت" تعكس التباين في وجهات النظر تجاهه. فأحيانا يسمى "تابوت عهد الرب" وأحيانًا "تابوت الشهادة" وفي مناسبات أخرى يكون

لقبًا للرب كما في قول "تابوت يهوا" و"تابوت إله إسرائيل". وعادة ما يذكر اسم "تابوت عهد الرب" في سفر "التثنية" بينما يظهر لقب "تابوت الشهادة" في الفقرات المقترنة بالمصدر "الكهنوتي". إن إستخدام كلمتا "شهادة" و"عهد الرب" في وصف الوصايا العشر لدليل على وجود مصادر متنافسة أثناء تطور نص "الكتاب المقدس".

لكن أكثر الأمور تشويقًا حول "التابوت" هو أنه اختفى فجأة بلا أدنى أثر، مما نتج عنه خيالات وأساطير وتخمينات لا نهائية. فآخر مرة يظهر فيها التابوت كان في عهد "هيكل سليمان"، وبعدها لم يأتي "الكتاب المقدس" على ذكره مره أخري. فلم يذكر أي نص لاحق سرقة الأعداء له أو حتى تدميره. لكن الجلي هو أنه اختفى لأنه لم يعد في حوزة أحد. يقول التراث الاثيوبي أن إبن "سليمان"، من ملكة "سبأ"، قد أتى بالتابوت إلى مدينة "أكسيوم" (Axxum)، كما توجد بعض التخمينات حول استيلاء الأعداء عليه عند نهب "القدس"، لكن وبينما يحصر "الكتاب المقدس" الأشياء التي سرقت من الهيكل لا يأتي على أي ذكر للتابوت.

كيف يمكن لأكثر ممتلكات الأمة قداسة والتي تحوي أقدس النصوص الموهوبة لها من الرب أن تختفي بلا أثر؟ يعود هذا بنا للسؤال عن الغرض من هذا التابوت ومعناه.

تقول النسخة التقليدية الثانية للوصايا العشر:

"لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ." (خروج 10: 4 – 6)

أما الوصية الموجوده في النسخة الطقوسية فتقول: "لاَ تَصْنَعْ لِنَفْسِكَ آلِهَةً مَسْبُوكَةً"

والوصية الموجودة في الأحكام فتقول: "لاَ تَصْنَعُوا مَعِي آلِهَةَ فِضَّةٍ، وَلاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةَ ذَهَبٍ."

ومع كل هذا التحريم بشأن المنحوتات الذهبية ماذا نفهم من وجود نحت الملاكين (Cherubim) الذهبيين الموجودين فوقه؟ كانت الملائكة أيقونات متعارفة في الشرق الأدنى. وكانوا مخلوقات مجنحة تمثل ملوك الشرق الأدنى أو ممثليهم. وإن مصدر كلمتا "ملاك"

(Cherub) و"الغرفين" (Griffin) واحد. وإن وجود "الملاك" الذهبي على "التابوت" خرقًا صريحًا لهذا التحريم.

وإن لم يكن هذا كافيًا، يأمر الرب "موسى" في فقرة أخرى قائلاً:

"اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا. فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا" (عدد 21: 8 – 9)

وهنا يوصف تمثال لحية لها قوى شفائية. وكما يتضح فهذا التمثال خرقًا آخر للوصية ذاتها. لكن ليس هذا كل شيئ فلنعد إلى حكم الملك "حزقيا" (Hezekiah) المصلح الديني الذي حكم لفترة قصيرة قبل الملك "يوشيا". يقول سفر "الملوك الثاني" 18: 4

"هُوَ أَزَالَ الْمُرْتَفَعَاتِ، وَكَسَّرَ التَّمَاثِيلَ، وَقَطَّعَ السَّوَارِيَ، وَسَحَقَ حَيَّةَ النُّحَاسِ الَّتِي عَمِلَهَا مُوسَى لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِلَى تِلْكَ الأَيَّامِ يُوقِدُونَ لَهَا وَدَعَوْهَا نَحُشْتَانَ. "

وكما هو جلي فقد رأى "حزقيا" في تمثال الحية البرونزي إثمًا عظيمًا. وبعد حكم "حزقيا" بفترة قصيرة جاء "يوشيا" الذي شن حربًا ضروسًا على جميع أشكال الآثام. ومن هنا كان نحت الملاكين وقدرات التابوت السحرية نفسها نوع من الإثم بالنسبة له. لذا فلا يمكن بأي حال أن يحمل حاوي عهد الرب مثل هذا الشكل الفاضح من خرق وصايا الرب.

وعليه فإذا لم يؤدي التابوت عمله كحاوية لوصايا الرب العشر، فماذا إذن كان الغرض منه؟ كان التابوت رمزًا لسلطان الرب على "إسرائيل" فكان بمثابة عرش للرب وبالتالي رمزًا لوجود الرب. أما في حضارات الشرق الأدنى فكان من

المعتاد أن تصور الآلهة في أشكال تماثيل مقدسة، فيكون التمثال بمثابة صورة للإله. وإذ كان الرب العبراني غير مرئيًا فإنه من غير الممكن تصويره ماديًا. لذا يمكننا الثقة بأن التابوت لم يحمل أي شبه به.

إن عمل التابوت كرمز للسلطة الملكية يوفر دليلاً مهمًا على نوع محتوياته. فعندما خرج بنو "إسرائيل" من "مصر" ابتدعوا أفكارًا سياسية جديدة. وكان في هذه الأفكار الجديدة هجومًا مباشرًا على مفهوم الملكية المصرية التي يصور فيها الملك المصري كإله. فعند بنو "إسرائيل" كان الرب ملكا، لكنه لم يتخذ أي هيئة بشرية.

لعبت الرمزية المصرية دورًا مهمًا في حياة بني "إسرائيل" المبكرة، فكانت إيجابية أحيانًا وسلبية أحيانًا أخرى. لذا ففكرة السلطة الملكية للرب كانت مصممة على أساس الفكر المصري إلا أن الجوانب التشخيصية فيها قد محيت.

كان الرب حاكمًا لـ"إسرائيل" كما كان حال ملوك "مصر"، لذا فلابد من وجود رمزًا ملكيًا للرب. كان هذا الرمز الملكي في "مصر" هو تمثال الحية الذهبية المعروف بإسم "تاج الأفعى" (Serpent Crown). لكن الدليل على احتمالية أن يكون هذا التاج قد اقترن بالتابوت العبراني– موجود في أسطورة مصرية تضم تصميمًا أوليًا لهذا التابوت.

وفقًا للأسطورة المصرية، قبل أن يصبح "أوزوريس" و"حورس" آلهة، أراد الإله "جب" أن يستولي على التاج من "شو". كان رمز الملكية هو "تاج الأفعى" وعليه كان على "جب" أن يستولي علي التاج كي يمارس سلطته. ولقد وضع الإله الأكبر "رع" التاج المذكور في داخل صندوق ومعه خصلة من شعره وعصا. عندما اقترب "جب" ورفاقه من الصندوق وفتحوه وجدوا مفاجأة تنتظرهم. فلقد تغلبت الأفعى التي ترصع التاج على الجميع فقتلتهم عدا "جب"، لكنه لم يسلم منها، فقد أصيب بحروق في شتى أنحاء جسده. و لم يستطع شيء مداواة جراحه سوى خصلة شعر "رع" الذي استخدمها الإله الأكبر لمداواة الإله "جب" الجريح. تبع ذلك أن غمس "رع" خصلته في بحيرة "أت نوب" (At Nub) فتحولت إلى تمساح. وبعد أن شُفي "جب" أصبح ملكًا عادلاً وحكيمًا.

قارن هذه الرواية بقصة ثعبان "موسى" النحاسي.

"**وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ "مصر" لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ. فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا الْحَيَّاتِ. فَصَلَّى مُوسَى لأَجْلِ الشَّعْبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا. فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا.** " (عدد 21: 5 – 9)

تشترك القصتان في التشابهات التالية: كان هناك ثورة على حكم الإله، بعث الإله بأفعى لقتل الثائرين، فلم يمت كل الثائرين، ثم أن هناك رمز للملك في هيأة الأفعى الذي داوى الجرحى، فكان أفعى في "الكتاب المقدس"، وأفعى في شكل تمساح في الأسطورة المصرية.

والأهم هو أن نلاحظ أن رمز السلطة الملكية كانت تاجًا وعصًا حُفظت بداخل الصندوق الذي يوازي التابوت في هذه الحالة. فذمنيا كان هذا الصندوق سباقًا في مفهومه على التابوت التوراتي، هذا الصندوق حوى رموز سلطان الرب التي هي "تاج الأفعى" والعصا الشافية وكلاهما لربما اتحدا رمزيًا في شكل أفعى "موسى" النحاسية التي فوق الراية.

بحلول زمن "يوشيا" غدت فكرة تصوير الآلهة شيئًا كريها لذا دمرت تلك الرموز. أما في الديانات الإشراكية التي فقد ساد بها الإعتقاد بأن تماثيل الآلهة كانت لها قوى سحرية. وكان في هذا الإعتقاد تعارضًا صارخًا مع فكرة وجود كيان غير متجسد يشمل كل الخلق. مثل هذا الإله لا يمكن احتوائه في صنم. لهذا السبب يقول "الكتاب المقدس" أن "حزقيا" دمر أفعى الراية. فالناس بدأت تحرق لها البخور لأنها غدت جزءًا من العبادة المقدسة.

والتابوت أيضًا غدا جزءًا من العبادة المقدسة، حتى أنه صار مقترنًا بالرب ذاته. لكن نظرة "يوشيا" المبينة في سفر "التثنية" كانت لترى في هذا التابوت تجديفًا. وكما حطم "حزقيا" أفعى "موسى" النحاسية لأنها صارت مقدسة، كان "يوشيا" ليحطم التابوت. وهنا لنذكر تقليل سفر "التثنية" من شأن "تابوت العهد" إذ يصفه بكونه مجرد صندوق عادي ليس له أي قوى سحرية. فلابد أن "يوشيا" قد استبدل الصندوق المنقوش الأول بصندوق خشبي بسيط ليحمل سفر الشريعة الذي عثر عليه أتباعه في الهيكل. لذا فلابد أن الرموز الملكية التي بداخله قد تم تدميرها.

أما بشأن إبدال "يوشيا" للتابوت بالصندوق الخشبي، فهذا واضح من وصف سفر "التثنية" للتابوت على أنه مجرد علبة صنعها "موسى" بنفسه.

" فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَالَ لِيَ الرَّبُّ انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الأَوَّلَيْنِ، وَاصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَاصْنَعْ لَكَ تَابُوتًا مِنْ خَشَبٍ. فَأَكْتُبُ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا، وَتَضَعُهُمَا فِي التَّابُوتِ. فَصَنَعْتُ تَابُوتًا مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، وَنَحَتُّ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الأَوَّلَيْنِ، وَصَعِدْتُ إِلَى الْجَبَلِ وَاللَّوْحَانِ فِي يَدِي. " (تثنية 10: 1 – 3)

قارن هذا القول بما جاء في سفر "الخروج" من أن التابوت قد صنع على يد الصانع الحاذق "بصلئيل" (Bezaleel):

"وَصَنَعَ بَصَلْئِيلُ التَّابُوتَ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ، وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ نَقِيٍّ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ. وَصَنَعَ لَهُ إِكْلِيلاً مِنْ ذَهَبٍ حَوَالَيْهِ. وَسَبَكَ لَهُ

أَرْبَعَ حَلَقَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمِهِ. عَلَى جَانِبِهِ الْوَاحِدِ حَلْقَتَانِ، وَعَلَى جَانِبِهِ الثَّانِي حَلْقَتَانِ. وَصَنَعَ عَصَوَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ وَغَشَّاهُمَا بِذَهَبٍ. وَأَدْخَلَ الْعَصَوَيْنِ فِي الْحَلَقَاتِ عَلَى جَانِبَيِ التَّابُوتِ، لِحَمْلِ التَّابُوتِ.

وَصَنَعَ غِطَاءً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَصَنَعَ كَرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ صَنْعَةَ الْخِرَاطَةِ، صَنَعَهُمَا عَلَى طَرَفَيِ الْغِطَاءِ. كَرُوبًا وَاحِدًا عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَا، وَكَرُوبًا وَاحِدًا عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ الْغِطَاءِ صَنَعَ الْكَرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. وَكَانَ الْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ، مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا فَوْقَ الْغِطَاءِ، وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ الْوَاحِدِ إِلَى الآخَرِ. نَحْوَ الْغِطَاءِ كَانَ وَجْهَا الْكَرُوبَيْنِ " (خروج 37: 1 – 9)

إذن فالصندوق الخشبي البسيط المذكور في سفر "التثنية" ليس هو نفس التابوت المنقوش المذكور في سفر "الخروج". ولقد دمر "يوشيا" هذا التابوت المترف الذي احتوى على تاج الأفعى المصري الموضوع بداخله ونقل بداخله سفر الشريعة الذي عثر عليه.

الأسطورة رقم 80

وانتصر موسى على سيحون ملك حشبون

الأسطورة: " فَأَخَذَ إِسْرَائِيلُ كُلَّ هذِهِ الْمُدُنِ، وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الأَمُورِيِّينَ فِي حَشْبُونَ وَفِي كُلِّ قُرَاهَا. لأَنَّ حَشْبُونَ كَانَتْ مَدِينَةَ سِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ، وَكَانَ قَدْ حَارَبَ مَلِكَ مُوآبَ الأَوَّلَ وَأَخَذَ كُلَّ أَرْضِهِ مِنْ يَدِهِ حَتَّى أَرْنُونَ. " (عدد 21: 25 – 26)

الواقع: لم يكن هناك وجود لمدينة "حشبون" (Heshbon) في عصر "موسى".

أثناء فترة تيه بنو "إسرائيل" في البرية دخل "موسى" في عدد من الحروب، إحداها كانت بين "إسرائيل" و"سيحون" (Sihon) ملك "حشبون". وكانت "حشبون" تقع شرق "الأردن" في السهل الأوسط. ولقد صورت "التوراة" "سيحون" على أنه ملك جبار استولى على جميع أراضي "الأردن" وحكم مدينة "حشبون".

لكن الاستكشافات الأثريه تظهر أن "حشبون" (التي تدعى الآن تل حسبان Tell Hesban) لم تكن مأهولة قبل عام 1200 ق. م. ولم تكن عاصمة لأي ممالك في المنطقة إلا في زمن متأخر جدًا، بعد زمن "موسى" و"الخروج" بكثير.

إن ما عزز أسطورة حروب "موسى" هو ما جاء في سفر "العدد" (32:37)، والذي يقول أنه بعد الغزو الكنعاني، بني أبناء "رأوبين" مدينة "حشبون". وأغلب الظن أن هذه القصة ضربت بجذورها في الفلكلور المحلي والذي دار حول معركة وقعت بين "سيحون" وشخص آخر، إلا أن كتبة التوراه جعلوا من "موسى" بطلاً لهذا النزاع.

الأسطورة رقم 81

وحُرِم الرب موسى من دخول كنعان لأنه أذنب في حقه

الأسطورة: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ مِن أَجْلِ أَنَّكُمَا لَمْ تُؤْمِنَا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِذلِكَ لاَ تُدْخِلاَنِ هذِهِ الْجَمَاعَةَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا." (عدد 20: 12)

الواقع: حرم "موسى" من دخول الأرض الموعودة بسبب آثام بنو "إسرائيل" وليست آثامه.

خلال تيه بنو "إسرائيل" وصلوا إلى برية "زين" (Zin) حيث أصابهم العطش فلم يجدوا ماء. أدى هذا إلى تعالي تذمرهم على "موسى" و"هارون". "لِمَاذَا أَتَيْتُمَا بِجَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى هذِهِ الْبَرِّيَّةِ لِكَيْ نَمُوتَ فِيهَا نَحْنُ وَمَوَاشِينَا؟" (عدد 20: 4)

فخرج "موسى" و"هارون" مستاءان وذهبا إلى خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما في انتظار إرشاد الرب. وعندما تبدى الرب لهما، أملى عليهما بعض التوجيهات.

"خُذِ الْعَصَا وَاجْمَعِ الْجَمَاعَةَ أَنْتَ وَهَارُونُ أَخُوكَ، وَكَلِّمَا الصَّخْرَةَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ أَنْ تُعْطِيَ مَاءَهَا، فَتُخْرِجُ لَهُمْ مَاءً مِنَ الصَّخْرَةِ وَتَسْقِي الْجَمَاعَةَ وَمَوَاشِيَهُمْ" (عدد 20: 8)

وكان الأمر الرئيسي الموجه لـ"موسى" هو أن يخاطب الصخر حتى تخرج كلماته الماء منه. ولكن بدلاً من ذلك قال "موسى" عند ذهابه إلى بني "إسرائيل":

"وَجَمَعَ مُوسَى وَهَارُونُ الْجُمْهُورَ أَمَامَ الصَّخْرَةِ، فَقَالَ لَهُمُ اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَةُ، أَمِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟ وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ مَرَّتَيْنِ، فَخَرَجَ مَاءٌ غَزِيرٌ، فَشَرِبَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَوَاشِيهَا. بِعَصَاهُ" (عدد 20: 10 – 11)

فأخفق "موسى" في اتباع أوامر الرب. فبدلا من مخاطبة الصخر، لكي يخرج الماء من الصخر، قام بضرب الصخر مرتين بعصاة، فغضب الرب لعصيان "موسى" و"هارون" لأوامره، فأعلن: "مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمَا لَمْ تُؤْمِنَا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِذلِكَ لاَ تُدْخِلاَنِ هذِهِ الْجَمَاعَةَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا" (عدد 20: 12) كعقاب لهما على إثمهما، لهذا حرم "موسى" و"هارون" من دخول الأرض الموعودة.

لكن هناك بعض الأخطاء في هذه القصة. فأولاً، إذا كان الرب قد غضب من فعلهما، لماذا أخرج الماء من الصخر؟ فالرب وحده القادر على ذلك. إذ أن "موسى" كان سيضرب صخور الصحراء بعصاة فلا يخرج شيئ إلا بإذن الرب. وإن كان هذا مثار حنق للرب، كان الصخر ليظل جافًا إذا لم يفعل "موسى" ما أمره به.

ثانيًا، لماذا عوقب "هارون"؟ فهو لم يفعل شيئ. فالأمر على أية حال كان موجهًا لـ"موسى" فقط، فهو من كان سيضرب الصخر فلا يستجيب له.

ثالثًا، أهم ما في الأمر هو أن "موسى" قد سبق له وأن حُرِمَ من دخول الأرض الموعودة فيما سبق وكان السبب في ذلك هو عصيان بني "إسرائيل" وليس عصيانه هو. فلقد بعث "موسى" بالكشافة لبعض الأغراض الحربية، ثم عادوا ليخبروه بأن العدو من القوة بحيث لن يستطيعوا هزيمته. فلم يرغب العبرانيون في القتال. لكن الرب أخبرهم بانه سيهزم الأعداء، وعليه فعندما شككوا بمقدرة الرب على فعل ذلك، كانوا في الحقيقه يشككون في كلمات الرب. لذا ندم الرب على إخراجهم من "مصر" وأراد تدميرهم.

"وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ" (عدد 14: 11 – 12)

لكن "موسى" الشهم لم يقبل بهذا وناشد الرب أن يعفو عن أهله. وذكر الرب بأن الأمم الأخرى سترى في ذلك إخفاقًا للرب في الإيفاء بوعوده لشعبه المختار، وأنهم سيرون في هذا نذيرًا لوهن الرب. وهنا تغلب غرور الرب عليه فلان لمطالب "موسى".

لكن مغفرة الرب كان لها ثمن. فلقد حرم الجيل الحالي عدا "يشوع" و"كالب" (Caleb). فلم يسمح لـ"موسى" بالعبور كما قال الرب للجمع: "وَعَلَيَّ أَيْضًا غَضِبَ الرَّبُّ بِسَبَبِكُمْ قَائِلاً: وَأَنْتَ أَيْضًا لاَ تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ." (تثنية 1: 37)

"وَتَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً يَا سَيِّدُ الرَّبُّ، أَنْتَ قَدِ ابْتَدَأْتَ تُرِي عَبْدَكَ عَظَمَتَكَ وَيَدَكَ الشَّدِيدَةَ. فَإِنَّهُ أَيُّ إِلهٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ يَعْمَلُ كَأَعْمَالِكَ وَكَجَبَرُوتِكَ؟ دَعْنِي أَعْبُرْ وَأَرَى الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، هذَا الْجَبَلَ الْجَيِّدَ وَلُبْنَانَ. لكِنَّ الرَّبَّ غَضِبَ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ وَلَمْ يَسْمَعْ لِي، بَلْ قَالَ لِي الرَّبُّ: كَفَاكَ! لاَ تَعُدْ تُكَلِّمُنِي أَيْضًا فِي هذَا الأَمْرِ." (تثنية 3: 23 – 26)

"وَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ، وَأَقْسَمَ إِنِّي لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَّ وَلاَ أَدْخُلُ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُكَ يُعْطِيكَ نَصِيبًا. فَأَمُوتُ أَنَا فِي هذِهِ الأَرْضِ، لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَّ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْبُرُونَ وَتَمْتَلِكُونَ تِلْكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ." (تثنية 4: 21 – 22)

لذا كان قدر "موسى" قد تقرر قبل واقعة الحجر. فكان قد حرم من دخول "كنعان" و لم يكن لضربه الحجر بعصاة أي دخل في الأمر. الواقع أن هذه القصة برمتها مجرد رواية مضللة لحادثة أظهر فيها "موسى" تجديفًا بشأن الرب.

فيبدو أنه قبل حدوث واقعة برية "زين" كان هنالك عجزًا في المياه في برية "سين" (Sin). وهناك أيضًا تذمر القوم مستخدمين ألفاظًا مشابهة لتلك التي في رواية "زين".

"ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سين بِحَسَبِ مَرَاحِلِهِمْ عَلَى مُوجَبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَقَالُوا أَعْطُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ الرَّبَّ؟ وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ "مصر" لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمَوَاشِيَنَا بِالْعَطَشِ؟" (خروج 17: 1 – 3)

وفي هذه النسخة ذهب "موسى" ليكلم الرب. فماذا أوعز إليه الرب في حل هذه المسألة؟ "تَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. فَفَعَلَ مُوسَى هكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ." (خروج 17: 6)

وانه لمن المثير للعجب أن أحداث إحدى القصتين جرت في برية "زين" والأخرى في برية "سين". فبالرغم من الاختلاف الطفيف في تهجئة الكلمتين فهما تنطقان بنفس الطريقة تقريبًا. وإن لم تكن هذه بمصادفة كافية فإن هناك مصادفة أخرى، فلقد دعى الرب هذا الموقع

في "سين" بعد أحداث القصة باسم "مربية"، ثم دعى الموقع الآخر بعد أحداث برية "زين" باسم "مربية" أيضًا.

إذن فماذا حدث هنا؟ هل أخذ أحدهم القصة عن "موسى" وغير من أحداثها ليجعل منها قصة عوقب فيها "موسى" و"هارون". وهنا نتساءل ثانية، لماذا عوقب "هارون"؟

الحقيقة، لا بد أنه كانت توجد قصة تدور حول "هارون" حيث أثم في حق الرب فاستحق أن يُحرم من دخول الأرض الموعودة. أما القصة التي تتناول "موسى" وضربة للصخور بعصاه فهي تنتمي للمصدر الكهنوتي الذي كان مساندًا لـ"هارون" وسلبيًا تجاه "موسى".

لذا فلقد ضم الكاتب الكهنوتي الوقائع التي تم فيها حرمان "موسى" و"هارون" من دخول "كنعان"، بحيث قلل من أهمية أفعال "موسى" وقلل من شأن إثم "هارون". ولقد كان من أسباب الخلاف بين شعبة "موسى" وشعبة "هارون" بروز دور كهنة اللاويين. فعلي حين عاملت مصادر "موسى" جميع شعب اللاويين على قدم المساواة من حيث التحاقهم بالسلك الكهنوتي؛ اقتنعت شعبة "هارون" بأن لها الحق في أسبقية الالتحاق بمناصب الكهنوت الرئيسية، أما باقي اللاويين فمن المفروض أن يعملوا كأتباع لهم.

الأسطورة رقم 82
وشطر يشوع نهر الأردن شطرين

الأسطورة: " فَعِنْدَ إِتْيَانِ حَامِلِي التَّابُوتِ إِلَى الأُرْدُنِّ وَانْغِمَاسِ أَرْجُلِ الْكَهَنَةِ حَامِلِي التَّابُوتِ فِي ضَفَّةِ الْمِيَاهِ، وَالأُرْدُنُّ مُمْتَلِئٌ إِلَى جَمِيعِ شُطُوطِهِ كُلَّ أَيَّامِ الْحَصَادِ، " (يشوع 3: 15)

الواقع: استقيت هذه القصة في الأساس من أسطورة تدور حول ديانة "جلجال" (Gilgal) إذ استغل الكتبة التوراتيون القصة ليوحوا كما لو كان "يشوع" على صلة وطيدة بالرب كما كان "موسى".

ففي بداية القصة، عندما استعد "يشوع" لعبور نهر "الأردن" ليصل إلى "كنعان" حدثت

معجزة، فلقد أوعز الرب إليه أن يدع بعض الكهنة ليحملوا "تابوت عهد الرب" إلى نهر "الأردن". فما أن وطأوا النهر حتى انحسرت المياه وظهرت الأرض، فأتاحت لبني "إسرائيل" أن يعبروا. ويشبه هذا انشقاق البحر الأحمر أثناء الخروج من "مصر" بقيادة "موسى". فمن الناحيه الرمزيه جعل هذا من "يشوع" خليفة لـ"موسى" وندًا له أمام الرب.

وتتضارب معلومات "الكتاب المقدس" حول هذا الحدث. فعند مرحلة شق نهر "الأردن" يطلب من "يشوع" بأن يؤخذ إثنى عشر حجرًا من المكان الذي وقف عليه الكهنة في النهر وينقل إلى موقع المعسكر الذي سيبيتون فيه ليلتهم.

"احْمِلُوا مِنْ هُنَا مِنْ وَسَطِ الأُرْدُنِّ، مِنْ مَوْقِفِ أَرْجُلِ الْكَهَنَةِ رَاسِخَةً، اثْنَيْ عَشَرَ حَجَرًا، وَعَبِّرُوهَا مَعَكُمْ وَضَعُوهَا فِي الْمَبِيتِ الَّذِي تَبِيتُونَ فِيهِ اللَّيْلَةَ" (يشوع 4: 3)

لكن بعد هذا ببضع آيات يقول النص أن "يشوع" وضع إثنى عشر حجرًا في وسط نهر "الأردن" في نفس البقعة التي وقف فيها الكهنة، وهذه الأحجار يمكن رؤيتها حتى يومنا هذا. " وَنَصَبَ يَشُوعُ اثْنَيْ عَشَرَ حَجَرًا فِي وَسَطِ الأُرْدُنِّ تَحْتَ مَوْقِفِ أَرْجُلِ الْكَهَنَةِ حَامِلِي تَابُوتِ الْعَهْدِ. وَهِيَ هُنَاكَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (يشوع 4: 9)

إذن، هل حمل بنو "إسرائيل" الأحجار من الشاطئ ووضعوها بداخل النهر، أم أنهم أخذوا الأحجار من النهر ووضعوها على الشاطئ؟ لابد أن حدث إعجازي كهذا لا يدع مجال لسوء الفهم حول ماهية ما حدث فعلاً، خاصة وأن الأحجار المختلف بشأنها كانت تذكارًا يميز هذا الحدث.

ومن المميز أن المكان الذي عسكر فيه بنو "إسرائيل" في إحدى الروايتين كان يدعى "جلجال" وهي كلمة ترجمتها تعني "الدائرة" والتي كانت مركز لطائفة دينية قديمة لدى الإسرائيليين القدماء. إذ أن القصة تقول بأن المنطقة كانت تدعى باسم "جلجال" في عصر "يشوع" وأنها كانت مشهورة بأنها مكان مقدس مكون من دائرة من الأحجار. لذا فببساطة حاول الكتبة التوراتيون استغلال هذا الموقع الديني القديم بإكسابه أصول إسرائيلية.

الأسطورة رقم 83
وهدم يشوع أسوار أريحا

الأسطورة: "فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالأَبْوَاقِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هُتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ" (يشوع 6: 20)

الواقع: تظهر الكشوفات الأثريه أن أسوار "أريحا" (Jericho) هدمت قبلُ مجيئ "يشوع" بثلاثة قرون.

تبرز واقعة هدم "يشوع" لأسوار "أريحا" كنموذج لإحدى أهم القصص الحربية في التاريخ. فلمدة ستة أيام دار محاربو "يشوع" مرة يوميًا حول أسوار المدينة فيما ينفخ سبعة كهنة في أبواق من قرون الكباش مع بطانة من الكهنة يحملون "تابوت عهد الرب" ويدورون به حول أسوار المدينة. وفي اليوم السابع دار الكهنة سبعة مرات حول الأسوار. وأثناء نفخ الأبواق أمر "يشوع" بني "إسرائيل" بأن يصيحوا بصوت عال، فتردد صدى صياحهم عاليًا حتى هدم أسوار المدينة. ثم دخلت قوات "يشوع" إلى المدينة حيث قضوا على كل ما بقي منها، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والثيران والغنم والحمير.

كانت هذه صورة بشعة مرعبة وشهادة على قوة إله "إسرائيل". وبالرغم من الصورة الخيالية لهذه المعركة إلا أن العديد من الناس المصممين على الحفاظ على نزاهة "الكتاب المقدس" يجادلون بأن تردد الضوضاء التي وقعت أدت لإضعاف الأسوار وأن القصة لها بعض الوجاهة العلمية. لكننا حتى لو أردنا البلوغ بخيالنا هذا الحد من الشطط شبه المستحيل، تظهر لنا الدلائل الأثريه أنه في زمن "يشوع" لم تكن لـ"أريحا" أية أسوار ولا أي سكان. فالمدينة أخليت من كل شيئ قبل ذلك بعدة قرون.

كانت "أريحا" إحدى أقدم المدن في العالم. فالدلائل الأثريه ترجح أنها كانت مأهولة منذ الألفية الثامنة قبل الميلاد. أما دلائل تدميرها فتعود لعام 2300 ق. م. إلا أن سكان المدينة أعادوا بنائها وأقاموا تحصينات جديدة. ويبدو أن "أريحا" قد إحترقت خلال القرن السادس قبل الميلاد ثم لم يسكنها أحد إلا فيما ندر بعد ذلك. وقبل عام 1300 ق. م. كانت كل التحصينات قد دمرت مما لم يبقي على أية أسوار لـ"يشوع" كي يهدمها. ففي زمن المعركة

المذكورة في "التوراة" كانت المدينة مهجورة منذ قرن أو قرنان على الأقل. ولا يوجد أي دليل على إعادة سكناها حتى القرن السابع قبل الميلاد.

الأسطورة رقم 84

وساعدت راحاب الجواسيس الإسرائيليين

الأسطورة: "فَأَرْسَلَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ مِنْ شِطِّيمَ رَجُلَيْنِ جَاسُوسَيْنِ سِرًّا، قَائِلاً اذْهَبَا انْظُرَا الأَرْضَ وَأَرِيحَا. فَذَهَبَا وَدَخَلاَ بَيْتَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ اسْمُهَا رَاحَابُ وَاضْطَجَعَا هُنَاكَ" (يشوع 2: 1)

الواقع: أخذ الكتبة العبرانيون إحدى القصص الفلكلورية القديمة وأضافوا إليها بعض الروايات الخيالية حول "أريحا".

إن لم تكن "أريحا" مأهولة في زمن "يشوع" يصبح من واجبنا إختبار صحة قصة "راحاب" (Rahab) المومس التي عاشت في المدينة وساعدت جواسيس "يشوع". بحسب الرواية التوراتية بعث "يشوع" بجاسوسين لاستكشاف "أريحا" والمجتمعات المحيطة بها. فعلم ملك "أريحا" بأنهم ذهبوا إلى بيت "راحاب" وبعث لها رسالة تأمرها بتسليمهم لقواته. وعندما وصل الجنود إلى منزلها كذبت وقالت بأن الإسرائيليان رحلا.

وفيما بعد قالت "راحاب" للجاسوسين أنها سمعت بأعمال إله "إسرائيل" العظيمة وأنها عرفت أن جيش "يشوع" يتغلب على المدينة. ثم عرضت عليهما أن تخبئهما إذا ما أمنها بنو "إسرائيل" على حياتها وحياة أفراد عائلتها أثناء الهجوم على المدينة.

تحمل قصة "راحاب" تشابهات قوية بقصة أخرى تظهر في سفر "القضاة"، لكن تلك القصة تدور حول محاولات بيت "يوسف" الإستيلاء على "بيت إيل". فلقد رأى الجواسيس رجلاً يخرج من المدينة. هذا الرجل وافق على إرشادهم على طريقة للدخول خلسة إلى المدينة شرط أن يعاملاه بالحسنى بعد الهجوم. فقادهم الرجل خلال مدخل خفي وبعد أن استولى بنو "إسرائيل" على "بيت إيل" عفوا عنه وعن عائلته.

وحيث أن "أريحا" لم تكن موجودة في زمن "يوشع"، لا يمكن لقصة "راحاب" أن

تكون صحيحة. والقصة الموازية لها في سفر "القضاة" حول جواسيس "بيت إيل" ترجح وجود أسطورة قديمة استخدمها بعض الكتبة العبرانيين خلال أزمنة مختلفة لعرض وجهات نظر مختلفة من تاريخ "إسرائيل". أغلب الظن هو أن "راحاب" كانت مدينة أو قرية وليست شخصًا بعينه. ومن المحتمل أن وصفها بأنها مومس هو تجسيد لبعض الأحداث التاريخية في تاريخ المدينة حيث خانت أحد حلفائها كما فعلت "راحاب" في قصة "أريحا". أما في الكتابات المتأخرة فيبدو أن للإسم "راحاب" بعض الدلالات القديمة على الشر. ففي "مزامير 87: 4" (Psalms) يشار إلى "مصر" بإسم "راحاب" في مضمون سلبي لها ويخبرنا سفر "إشعياء 51: 9" (Isaiah) أن الرب قتل تنين متوحش اسمه "راحاب"،

الأسطورة رقم 85

ودمر يشوع مدينة عاي

الأسطورة: " وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاً أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (يشوع 8: 28)

الواقع: كلمة "عاي" (Ai) تعني "مكان خَرِب". إذ أن الدراسات الأثريه تشير إلى أن المدينة كانت خربة لآلاف السنين من قبل زمان "يشوع".

بعد معركة "أريحا" حاصر"يشوع" مدينة "عاي" والتي يعني اسمها "المكان الخرب". وتقول القصة بوجود "خراب" بين "بيت إيل" (أي "بيت الرب") و"بيت آفن" (House of Aven) (أي "بيت الشر") مما يحمل مضمونًا ملحميًا.

ففي "أريحا" يبعث "يشوع" ببعض الجواسيس الذين يعودون محملين بأنباء عن انتصار سهل يتطلب القليل من القوات لتحقيقه. فيتقدم "يشوع" بفرقة قليلة العتاد ليبعث بها إلى "عاي". وهناك للأسف يتكبد يشوع وجيشه خسارة عظيمة تصيب "يشوع" بيأس كبير. فيلجأ "يشوع" للرب الذي يخبره بأن أحد أبناء بني "إسرائيل" استولى على بعض غنائم الرب مما أجبر "يشوع" على فضح أمر هذا النذل ومن ثم إقامة بعض طقوس التطهر.

أجرى "يشوع" بعض التحقيقات لمعرفة الخائن فاعترف رجل يدعى "عخان" (Achan)

بالجُرم. فأقام "يشوع" عليه الحد المعتاد بالرجم بالحجارة ثم دفنه تحت كومة من الحجارة. ومن ثم حقق هذا الإعدام التطهر اللازم وأعيدت خطط الهجوم على "عاي" وفقًا لأوامر الرب.

وهذه المرة كانت في جعبته خدعة جديدة. فأرسل في المرة الثانية فرقة صغيرة من الجنود مفترضًا أن جنود "عاي" الممتلئين ثقة بالنصر سيخرجون من وراء أسوار المدينة ليهاجموهم. وهنا تلقت الفرقة الأوامر بالانسحاب حتي تستدرج جيش الأعداء. وكان "يشوع" قد أعد فخًا لهم، فقد خرجت من خلفهم جماعة لتحاصرهم، كما ذهبت فرقة أخرى لمهاجمة المدينة العزلاء. نجحت الخطة نجاحًا باهرًا وسقطت "عاي" ودمرت تدميرًا كاملاً وذبح أهلها عن بكرة أبيهم.

لكن وكما حدث مع "أريحا" تظهر المعلومات الأثريه صورة مختلفة لمدينة "عاي". فهذه المدينه، والتي كانت مدينه محصنه وعامره، دمرت حوالي عام 2400 قبل الميلاد. وظلت غير مسكونه حتي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عدا عن قرية صغيرة شيدت فوق الخرائب في هذا التاريخ تحديدًا. وكما أشرنا من قبل كان معنى الكلمة العبرانية "عاي" هو "المكان الخرب". والراجح هو أن اسم "عاي" أطلق على بقايا حصن كان ذائع الصيت في قديم الأزل. لذا عندما هجم "يشوع" على هذا "المكان الخرب" كان الموقع مهجورًا منذ ما يزيد عن الألف عام، فلم تكن هناك أي تحصينات حوله.

وهنا أيضًا استعار كاتب سفر "يشوع" نصًا مختلفًا يحمل قصة تدور حول أحداث أخرى. يصف لنا سفر "القضاة" معركة تكاد تكون مطابقة لتلك التي وقعت في "عاي" وفيه تقول الرواية بأن بعض أفراد سبط "بنيامين" اعتدوا على محظية أحد الكهنة وقتلوها. وعندما طالبت الأسباط الأخرى أن تسلم "بنيامين" هؤلاء الخطاة أبت أن تفعل ذلك، فأعلنت "إسرائيل" الحرب عليهم.

لكن ما بدا أولاً كنصر سهل المنال تحول إلى هزيمة نكراء تمامًا كما حدث في "عاي". لكن هنا لم يأت أي ذكر لسبب هذه الهزيمة. ففي "عاي" تسبب أحد بني "إسرائيل" في الهزيمة أما هنا فبعض أفراد بني "إسرائيل" هم الأعداء. مع ذلك فبعد آداء بعض طقوس التطهر في موقع لـ"بيت إيل" حث الرب بني "إسرائيل" على التقدم ووعدهم بالنصر. فاتبع بنو "إسرائيل" نفس خطة "يشوع" في "عاي". فتقدمت فرقة صغيرة من العدو وقادتهم بعيدًا عن المدينة المحصنة

ثم حاصروهم وبعثوا بفرقة أخرى لتهاجم المدينة العزلاء حيث قتل الإسرائيليون معظم بني "بنيامين".

كان "بيت إيل" قريب من الموقع في القصتين وكان بعض الإسرائيليون على قدر كبير من الشر وكان هناك هزيمة حيث كان النصر سهلاً وأيضًا حث الرب على الهجوم الثاني ثم في النهاية اتبع بنو "إسرائيل" نفس الخطة الحربية.

مع وجود الأسماء الرمزية لـ"بيت الرب" و"بيت الشر" و"الخراب" يكون من الصعب عدم توقع وجود أسطورة مبكرة حول وقوع مواجهة بين مدينة الرب ومدينة الشر. فمبدئيًا يكابد الأخيار الهزيمة نتيجة عصيان أوامر الرب ثم ينتصر "بيت الرب" بعد قيامهم بطقوس التطهر ويعاودون الهجوم مستعينين بخطة استدراج العدو إلى خارج المدينة والإيقاع بهم. فيهزم "بيت الشر" وأهله أمام الرب.

الأسطورة رقم 86

ودامت الشمس على جبعون

الأسطورة: "يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيَّلُونَ " (يشوع 10: 12)

الواقع: الشمس والقمر لم يرمزا للأجرام السماوية وإنما لآلهة كانت تعبد في ديانات أرضية.

بعد هزيمة "عاي" يقول "يشوع" أن أهل "جعبون" التي كانت مدينة قوية هناك، خشوا من هجوم بني "إسرائيل" عليهم. فتخفى العديد من قادتهم في هيئة فقراء من "الحويين" (Hivites) (وهم من الشعوب الغير مدرجة في القوائم الأثريه لـ"الكتاب المقدس" حتى الآن) القادمين من أماكن نائية. ذهب هؤلاء إلى "يشوع" وعرضوا عليه إقامة عهد معه بأن يلتحقوا ببني "إسرائيل" مقابل حمايتهم من الأعداء. فوافق "يشوع". إلا أن بنوا "إسرائيل" علموا بالخديعة بعد ذلك بقليل، لكنهم لم يستطيعوا التنصل من العهد لأن العهود مقدسة لديهم.

وعندما علم ملك "القدس" بهذا العهد أقلقة تصاعد قوة "إسرائيل" فكون حلفًا مكونًا من عدة ملوك محليين وأعد للهجوم على "جعبون". وعندما عرف أهل "جعبون" بمخططه استصرخوا "يشوع" بإسم العهد الذي بينهم. فخرج "يشوع" مع مقاتليه أثناء الليل وفاجأ حلفاء الأعداء مكبدًا إياهم هزيمة بائنة. لكن الغريب في الأمر هو دعاء "يشوع" للرب أن يوقف الشمس والقمر.

" يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيَّلُونَ. فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِه. " (يشوع 10: 12 – 13)

ثم يقول النص:

"أَلَيْسَ هذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ. وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذلِكَ الْيَوْمِ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسَانٍ، لأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ. " (يشوع 10: 13 – 14)

إذا نظرنا لأمر توقف الشمس والقمر منطقيًا سنجد أنه ليس له معنى. فماديًا الشمس لا تتحرك. إذ أن الأرض هي التي تدور حولها. لكن لنرى القصد من ذلك فلنسأل ما الهدف من هذا الأمر؟ كيف له أن يكون عونًا لبني "إسرائيل"؟

إحدى التفسيرات هي أنه كلما طال النهار كلما أتاح ذلك الوقت لبني "إسرائيل" كي يفتكوا بجنود أعدائهم قبل أن يتمكنوا من الهرب في ظلمات الليل. ومع ذلك، يظهر النص السابق للنص المذكور أن جنود الأعدأ تمت إبادتهم قبل ذلك.

"وَبَيْنَمَا هُمْ هَارِبُونَ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي مُنْحَدَرِ بَيْتِ حُورُونَ، رَمَاهُمُ الرَّبُّ بِحِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى عَزِيقَةَ فَمَاتُوا. وَالَّذِينَ مَاتُوا بِحِجَارَةِ الْبَرَدِ هُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالسَّيْفِ. " (يشوع 10: 11)

أما فكرة إيقافهم عن الهرب بالإستعانة بضوء الشمس فلا يوجد ما يعزز ذلك في النص فلم يذكر أي فعل إضافي ناتج عن توقف الشمس والقمر. لكن حتى إذا ما وافقنا على أن جيش "اسرائيل" احتاج لضوء الشمس كي ينتهي من قتل الأعداء، ما حاجتهم لوقوف القمر أيضًا؟ ما الفارق إذا ما تحرك القمر أم لم يتحرك؟

وكما يقول النص، لم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده. إذن فلابد أن هذه المعجزة قد حظيت بانتباه واسع وكبير خاصة من قبل جيران "إسرائيل" الذين اهتموا بشكل خاص

بتحركات الشمس والقمر، مثل المصريين والبابليين. ومع ذلك، لا يوجد أي ذكر لذلك في الكتابات والأساطير المحلية. ذلك بالإضافة إلى أن "جعبون" كمثلها من المواقع المذكورة في سفر "يشوع" لا يوجد أي دليل أثري على وجودها في ذلك العصر، إذ أنها كانت مستوطنة أعيد تعميرها عام **1200** ق. م.

لكن بالنسبة للكتبة التوراتيون كانت هذه القصة معجزة شمسية دللت على مقدرة الرب الإعجازية على تغيير الظواهر الطبيعية. كما كانت تمثيلاً لهدية الرب إلى "يشوع" في انتصاره على الملوك الآخرين. لكن هؤلاء الكتبة اعتمدوا على المصادر السابقة على كتاباتهم عن هذه القصة، خاصة سفر "ياشر" المفقود. لذا فليس لدينا معرفة بما روته القصة الأصلية أو بالمضمون التي جاءت ضمنه القصة.

تثير هذه القصة العديد من المشاكل من جهة تفسيرها. فبادئ ذي بدء، يتم دوام الشمس والقمر على مكانان مختلفان هما "جعبون" ووادي "إيلون"(Valley of Ajalon). فبأي طريقة يمكن لأحد التحقق من أن الشمس دامت فوق "جعبون" والقمر دام فوق وادي "إيلون"؟ فمن وجهة نظر المشاهد، الأمر لا يعقل. فبإمكان أي شخص رؤية الجرمان السماويان من أي مكان في "كنعان" (بفرض أن في الإمكان رؤية القمر والشمس مشرقة.)

لكن إذا ما وضعنا القصة في إطارها التاريخي والأدبي الصحيح يمكننا حل اللغز. ففي زمن "يشوع" كانت الشمس والقمر، في حضارات الشرق، إلهين منافسين لـ"يهوا". والأمر بتوقف الشمس والقمر المعبودين من قبل أعداء "إسرائيل" هو أمر لهذين الإلهين بألا يتدخلا في الصراع وألا يحاولا الانتقام، فلقد كان "يهوا" إله أشد بأسًا منهما لذلك وجب عليهما الخضوع له. والإشارة لأماكن معينة لهما يقفا فيهما هو أمر لهما بالاقتصار على أماكن عبادتهما. ولقد كان إخفاق هذين الإلهين في عون المؤمنين بهما دليلاً على سطوة الرب العبراني.

ولأن الناس غالبًا ما يخفقون في فهم الرموز المستبطنة في هذه التعبيرات الشعرية فإنهم دائمًا ما لا يبصرون قيمتها الدفينة. لهذا كان من الصعب على الكتبة العبرانيون، العميقي الإيمان بالتوحيد، أن يفهموا الإشارة لتلك الآلهة القديمة. نتيجة لذلك استغلق عليهم فهم الوصف الشعري لآلهة الشمس والقمر المذكورين.

الأسطورة رقم 87
واحتل يشوع القدس

الأسطورة: "فَاجْتَمَعَ مُلُوكُ الأَمُورِيِّينَ الْخَمْسَةُ: مَلِكُ أُورُشَلِيمَ، وَمَلِكُ حَبْرُونَ، وَمَلِكُ يَرْمُوتَ، وَمَلِكُ لَخِيشَ، وَمَلِكُ عَجْلُونَ، وَصَعِدُوا هُمْ وَكُلُّ جُيُوشِهِمْ وَنَزَلُوا عَلَى جِبْعُونَ وَحَارَبُوهَا.... وَأَخَذَ يَشُوعُ جَمِيعَ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَأَرْضِهِمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ. " (يشوع 10: 5، 42)

الواقع: أخفق الإسرائيليون في الايقاع بـ"القدس" حتى زمن الملك "داود" وهو حوالي عام 1000 ق. م. أي أنه بعد زمن "يشوع" بقرنين أو ثلاث.

ضم الملوك الخمس الذين تحالفوا ضد "إسرائيل" في "جعبون" ملوك "القدس" (Jerusalem) و"حبرون" (Hebron) و"لخيش" (Lachish) و"عجلون" (Eglon) و"يرموت" (Jarmuth). طارد "يشوع" جيوشهم وأوقع بملوكهم (الذين اختبأوا في كهف) ثم قتل هؤلاء الملوك. يقول النص أن "يشوع" حرص على إعدام العائلات الملكية بأن تعدى الحدود بغرض القبض عليهم. لكن لم تزل التساؤلات تدور حول احتلال "القدس". فالآيات التي تصف الحملة الحربية تحدد أن الهزيمة كانت من نصيب "حبرون" و"لخيش" و"عجلون"، لكنها لا تشير على وجه التحديد إلى "يرموت" و"القدس". فهناك إدعاء عام بأن المناطق التابعة لهؤلاء الملوك قد سقطت. لكن بعد ذلك بقليل في سفر "يشوع" يقول النص "وَأَمَّا الْيَبُوسِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو يَهُوذَا عَلَى طَرْدِهِمْ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي يَهُوذَا فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (يشوع 15: 36). لا نعلم متى كان ذلك اليوم تحديدًا لكن "القدس" كانت تابعة لـ"بنيامين" فلم يسكنها أتباع "يهوذا" حتى زمن الملك "داود" على الأقل، أي بعد زمن "يشوع" بثلاثة قرون.

ومع ذلك يحدد سفر "القضاة" 1: 8 أن "القدس" وقعت في قبضة "يشوع" حيث أضرم النار فيها. لكن بعد ذلك ببضعة آيات يقول سفر "القضاة" "وَبَنُو بَنْيَامِينَ لَمْ يَطْرُدُوا الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي بَنْيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (قضاة 1: 21)

إذن ينسب "الكتاب المقدس" الإخفاق لكل من "يهوذا" و"بنيامين". فلم يستطع أي منهما احتلال المدينة التي تقع على جانب "يهوذا" من الحدود بين "بنيامين" و"يهوذا" أو

طرد سكانها. علاوة على هذا الخلط تخبرنا آيات أخرى من "الكتاب المقدس" عن سقوط "القدس" في عصر الملك "داود"، الذي جعل منها عاصمة له.

"وَذَهَبَ الْمَلِكُ وَرِجَالُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانِ الأَرْضِ. فَكَلَّمُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ لاَ تَدْخُلْ إِلَى هُنَا، مَا لَمْ تَنْزِعِ الْعُمْيَانَ وَالْعُرْجَ. أَيْ لاَ يَدْخُلُ دَاوُدُ إِلَى هُنَا. وَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ." (صموئيل الثاني 5: 6 – 7)

إذن ففي زمن "داود" لم يزل اليبوسيين (Jebusites) يسكنون "القدس"، لكن حتى ذلك الوقت لم يكن هناك أحد من بني "يهوذا" ولا بني "بنيامين". مما يرجح أن أي فقرة مكتوبة عن وجود بنو "إسرائيل" في "القدس" مع اليبوسيين "لهذا اليوم" كانت قد كتبت بعد أن أصبح "داود" ملكا وانتقل بنو "إسرائيل" إليها. ومن هذه الآيات يبدو من الجلي أن "يشوع" لم يحتل "القدس" أبدًا.

الأسطورة رقم 88

وحارب يشوع يابين ملك حاصور

الأسطورة: " فَلَمَّا سَمِعَ يَابِينُ مَلِكُ حَاصُورَ، أَرْسَلَ إِلَى يُوبَابَ مَلِكِ مَادُونَ، وَإِلَى مَلِكِ شِمْرُونَ، وَإِلَى مَلِكِ أَكْشَافَ... ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلاً رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ، وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ " (يشوع 11: 1، 10 – 11)

الواقع: تظهر لنا الفقرات الموثوق بها من "الكتاب المقدس" أن "يابين" (Jabin) و"حاصور" (Hazor) كانا يسيطران على "القدس" بعد عصر "يشوع".

بعد أحداث "جعبون" واحتلال مدن الحلفاء اتجه "يشوع" شمالاً ليواجه "يابين" ملك "حاصور" الذي نظم صفوف ملوك شمال "كنعان" للتصدي لـ"إسرائيل". لكن "يشوع" انتصر في النهاية وأحرق مدينة "حاصور". لكن الدلائل الأثريه تقول بأن عاصمة "يابين" دمرت بعد عصر "يشوع" بقليل. كما أنه توجد فقرات أخرى في "الكتاب المقدس" تشير

إلى أن "يابين" و"حاصور" استمرتا في الازدهار والسيطرة على شمال "كنعان" بعد زمان "يشوع".

أما في سفر "القضاة" الإصحاح الخامس فهناك ترنيمة تسمى ترنيمة "دبورة"، يأتي فيها ذكر لمعركة دارت بين عدد من أسباط "إسرائيل" وتحالف من الملوك الكنعانيين. في حين تُذكر في الإصحاح الرابع نسخة نثرية من نفس هذه القصة فيها يُقال أن قائد التحالف كان "يابين" ملك "حاصور" الذي حكم معظم شمال "كنعان". وانتصرت "إسرائيل" وهزمت "يابين" ودمرت مملكته رغم أنها لم تصرح بأن "حاصور" بذاتها دُمرت.

إن أغلب الظن أن ترنيمة "دبورة" هي أقدم نصوص "الكتاب المقدس" الباقية من نسخته الأصلية في النسخة الحالية وأغلب الظن أنها نشأت في زمن الأحداث التي تم وصفها ها هنا خلال الفترة ما بين القرن الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد. ووفقًا للنص التوراتي جرت أحداث ترنيمة "دبورة" في زمن "يشوع" (أي في القرن الثالث عشر). وهذا لا يدع الكثير من الوقت لـ"يشوع" كي يقتل الملك "يابين" ويحرق "حاصور" ثم يجيئ ملك آخر يدعى "يابين" ليستولي على شمال "كنعان" ويحكمها من نفس هذه المدينة.

إن الدلائل ترجح أنه في فترة مبكرة من التاريخ الإسرائيلي الكنعاني، دارت معركة –حقيقية أو خيالية– بين بني "إسرائيل" و"يابين" ملك "حاصور". هذه المعركة في عصر كتابة سفر "يشوع" كانت سبق وأن اقترنت في التراث المحلي بزمن فيه سبق أن استقر بنو "إسرائيل" في "كنعان" منذ فترة. فاستعار كتبة سفر "يشوع" القصة وأعادوا كتابتها ليجعلوا من "يشوع" بطلاً.

وكما هو حال العديد من القصص التوراتية، نجد القصة وقد رويت مرتان مع إدخال بعض التعديلات عليها أو تغيير بعض الشخصيات فيها.

الأسطورة رقم 89
وانتصر يشوع على كنعان

الأسطورة: "فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ الأَرْضِ حَسَبَ كُلِّ مَا كَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ مُوسَى، وَأَعْطَاهَا يَشُوعُ مُلْكًا لإِسْرَائِيلَ حَسَبَ فِرَقِهِمْ وَأَسْبَاطِهِمْ. وَاسْتَرَاحَتِ الأَرْضُ مِنَ الْحَرْبِ." (يشوع 11: 23)

الواقع: لم ينتصر بنو "إسرائيل" على "كنعان" في زمن "يشوع".

تعود أقدم الأدلة الأثريه على خروج "إسرائيل" إلى الوجود، إلى مسلة مصرية نُصبت في العام الخامس من حُكم الملك "مرنبتاح" في حوالي 1235 ق. م. إلى 1220 ق. م. تذكر المسلة عدد من الشعوب الكنعانية القوية بما في ذلك "إسرائيل"، لكنها تصف شعب "إسرائيل" بأنه شعب بلا أرض. ولا يُلمح إلى خضوع أي شعب من شعوب "كنعان" لحكمهم. وهكذا تبني المسلة تسلسلاً منطقيًا، إما منذ زمن تية بني "إسرائيل" في البرية بعد الخروج أو منذ دخول بني "إسرائيل" إلى "كنعان" تحت قياد "يشوع". لكن للأسف لا ترشدنا الآثار الأثريه على وجود أي دليل فعلي لـ"إسرائيل" خلال الأربعمئة عام التالية. وهذه الفجوة الزمنية تشمل عصور الملوك "شاؤل" و"داود" و"سليمان". علاوة على ذلك لا يمكننا التأكد من أن "إسرائيل" المذكورة على مسلة "مرنبتاح" هي نفس "إسرائيل" التوراتية.

أيضًا لا يظهر الدليل الأثري وجود أي غزو في زمان "يشوع" (في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الثاني عشر قبل الميلاد). فإذا ما كانت هذه الاصوات قد تمت كما جاء وصفها في الكتاب المقدس، فلابد لنا من أن نتوقع وجود أدله أثريه على ذلك، أو نجد معلومات تاريخية تؤيد النفوذ القوي لـ"إسرائيل" في وسط شمال "كنعان" حيث شيد "يشوع" مجده العسكري وحيث حكمت قبيلته "إفرايم". لكن بدلاً من ذلك نجد أن وسط البلاد الشمالية لم تكن ماهوله أو كانت قليله السكان.

تظهر الدلائل كذلك أنه بعد مدونة "مرنبتاح" بأكثر من قرن، بعد زمن "يشوع"، ظهرت بشكل مفاجئ كثير من المجتمعات القوية في منطقة شمال "كنعان"، فتظهر الدلائل الأثريه المكتشفة أن هذه المجتمعات أقامت صلات بينهم وبين "إسرائيل". وفي حين يرجح السياق التاريخي والتوراتي أن هذه المستعمرات تعد دليل على الوجود الإسرائيلي الممتد في منطقة التلال ومحيطها. لا تظهر هذه الأدله أن هذه المجتمعات نمت نتيجة غزو خارجي. ويعني هذا

أن صعود "إسرائيل" إلى السلطة حدث على مدى عدة قرون وليس على حين غرة كنتيجة لغزو خلال أواخر القرن الثالث عشر.

وفي النهاية، لا تكتفي المعلومات التاريخية المتوفرة بضحد وجود غزو لـ"كنعان" خلال عصر "يشوع"، بل إن "الكتاب المقدس" يقر بأن هذا الغزو لم يحدث قط. ويرسم الإصحاح الأول من سفر "القضاة" صورة أخرى لحملة "يشوع" وفشلها الذريع. فلم ينتصر أي سبط من الأسباط في اختراق منطقة من المناطق المستهدفة عدا بعض الانتصارات المحدودة. يصف سفر "القضاة" سيل من الإخفاقات، فـ"يهوذا" لم تتمكن من طرد سكان السهول؛ و"بنيامين" لم تستطع طرد سكان "القدس"؛ و"منسى" و"إفرايم" و"زبولون" و"ياشر" و"نفتالي" و"دان" أخفقن جميعًا. وفي الإصحاح الثاني من سفر "القضاة" يلعن الرب بني "إسرائيل" بسبب إخفاقاتهم، فيقول "لَمْ تَسْمَعُوا لِصَوْتِي. فَمَاذَا عَمِلْتُمْ؟ 3 فَقُلْتُ أَيْضًا: لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ، بَلْ يَكُونُونَ لَكُمْ مُضَايِقِينَ، وَتَكُونُ آلِهَتُهُمْ لَكُمْ شَرَكًا".

إن الأغلب الأعم من سفر "يشوع" كتب بعد وقوع هذه الأحداث بعدة قرون. ومن الأدلة الأثريه والتوراتية الظاهرة في الروايات الأخرى يمكننا إدراك أن الكاتب ركب قصص الغزو من مجموعة من الخرافات والأساطير. وذلك بغرض الدعاية السياسية لتصوير العبرانيين كورثة لأقوى آلهة العالم.

الأسطورة رقم 90
وقاد يشوع إسرائيل بعد وفاة موسى

الأسطورة: "وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنَ نُونَ خَادِمَ مُوسَى قَائِلاً مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمُ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ." (يشوع 1: 1 – 2)

الواقع: اسم "يشوع" هو رمز لشخصية أسطورة سُميت على اسم إلهين من آلهة الخلق المصريين.

قبل أن نفرغ من أمر حملة "يشوع" على "كنعان" لا بد أن نسأل أنفسنا إذا ما كانت معظم قصص الحروب العظيمة مجرد قصص خيالية وهل كان "يشوع" موجودًا حقًا؟ الإجابة هي، لا، لم يوجد حقًا.

يدعو "الكتاب المقدس" "يشوع" أحيانًا بإسم "يشوع ابن نون". يثير هذا الإسم بعض التساؤلات. فبالعبرانية الإسم الأصلي لـ"يشوع" هو "يهو-شوا" (Jeho-shua). أما الجزء "يهو" فهو يمثل "يهوا" اسم الرب العبراني ولقد كان يضاف لأسماء الكثيرين. ولقد ترجم العلماء اسمه إلى "الله الحافظ" أو "الله الغفور" (والإسم يهو-شوا يمثل بالعبرانية اسم يسوع)

لكن وجود عنصر "يهو" في اسم "يشوع" يسبب لنا مشكلة أثريه. فالإسم "يهوا" لم يصبح مألوفًا لدى بني "إسرائيل" إلا بعد أن خروجهم مع "موسى" من "مصر". وهو بنفسه لم يعلم بإسم الرب إلا قبل مواجهته مع الفرعون. فمن الواضح أن آباء "إسرائيل" الأوائل عرفوا الرب بإسم "الشداي" (El Shaddai) وسفر "الخروج" 6: 3 يثبت ذلك: "**وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي "يَهْوَهْ" فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ.**" (الترجمة العربية تترجم الكلمة العبرانية "الشداي" بكلمة "الرب القادر"، و"الشداي" تعني "ال العظيم"، و"ال" هو الإله الكنعاني الأكبر الذي أدمج اسمه في اللفظ العبراني "الله" (Elohim

لكن "يشوع" كان قد بلغ سن الشباب وعمل تحت إمرة "موسى" في زمن الخروج. لذا لا يمكن أن يكون اسمه احتوى على لفظ "يهو" الذي لم يكن معروف بعد في ذلك الحين. لذا فالإسم "يشوع" بصفته اسم عبرانيًا لا بد وأنه كان تغييرًا من اسم آخر لهذا الإسم بعد الخروج أو مجرد اختراع متأخر أضيف للنص. وعلى هذا فقد أضاف الكتبة زعم أن "موسى" غير اسمه من "هوشيا" إلي "يشوع".

وبما أن "يشوع" كان ينتمي لسبط "إفرايم" فإنه لمن السهل إثبات أن اسمه كان مصريًا وليس عبرانيًا وأنه كان رمز لشخصية أسطورية. كان "إفرايم" أصغر أبناء "يوسف" وزوجته المصرية "أسنات" (Asenath)، وكانت ابنة كبير كهنة "هوليوبوليس"، التي كانت مركزًا دينيًا هامًا في "مصر"، حيث كان يتلقى فيه أفراد العائلة الحاكمة تعليمهم بما فيهم "موسى". أما الاسم "يشوع ابن نون" فيضم اسما أهم آلهة "هوليوبوليس" "نون" و"شو".

وكان الإله "نون" هو رمز إله طوفان الخلق البدائي. فهو من أثار المياه ودفع بالإله "آتوم" للخروج. كذلك أنجب "آتوم" ابنًا هو "شو" الذي كان رمزا للفراغ بين السماء والأرض، وأنجب بنتًا هي "تفنوت" التي رمزت للرطوبة. فأصبح "شو" و"تفنوت" آباء كل آلهة "مصر" وتقول بعض النصوص أن "نون" أخرجهم من الهوة البدائية.

كان من تقاليد الشرق الأدنى أن يعد الأحفاد أبناء لجدودهم ولقد فعل "الكتاب المقدس" هذا أحيانًا فنسب بعض الأبناء لأجدادهم. من هنا كان "شو" أيضًا بمثابة ابن لـ"نون". وبهذا يكون مرادفًا لإسم "يهو–شوا ابن نون". وهما فالعنصر الغير مصري الوحيد هو اللفظ "يهو" الذي يمكن لنا إدراك أنه كان جزء من اسمه الأصلي.

لذا فإسم "يشوع" يدل على الإله الملقب بـ"شو ابن نون" الذي كان يعبده بني "إسرائيل" بوصفه شخصية دينية بعد رحيلهم عن "مصر". وفيما نفض بنو "إسرائيل" زخارف الديانة المصرية عنهم وفيما اكتسب الإله "يهوا" صفة الوحدانية أكثر فأكثر في الحياة العبرانية، تراجع "يشوع" من مكانته كإله إلى مكانة آدمية. وفي النهاية أضاف الكتبة مقطع "يهوا" إلى إسمه ليطمسوا الصورة القدسية السابقة. ومع مرور الزمن اختلط الإسم المصري العبراني "يهو–شو" بالكلمة العبرانية المشابهة "يشوع" التي تعني "الله الحافظ".

الأسطورة رقم 91
وكان شمجر ابنًا لعناة

الأسطورة: "وَكَانَ بَعْدَهُ شَمْجَرُ بْنُ عَنَاةَ، فَضَرَبَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سِتَّ مِئَةِ رَجُل بِمِنْسَاسِ الْبَقَرِ. وَهُوَ أَيْضًا خَلَّصَ إِسْرَائِيلَ" (قضاة 3: 31)

الواقع: لم تكن "عناة" (Anath) أم "شمجر" (Shamgar). فاللقب "ابن عناة" هو استعارة تعني "الذي يقتل الكثيرين من الأعداء".

ووفق سفر "القضاة" كان "شمجر ابن عناة" من أقدم مخلصي "إسرائيل". وتتكون قصته الكاملة من فقرتين مختصرتين. إحداهما ذكرناها بالأعلى والأخرى موجودة داخل ترنيمة

"دبورة". وفي الإشارة الثانية يقال أن في زمن "شمجر" "فِي أَيَّامِ شَمْجَرَ بْنِ عَنَاةَ، فِي أَيَّامِ يَاعِيلَ، اسْتَرَاحَتِ الطُّرُقُ، وَعَابِرُو السُّبُلِ سَارُوا فِي مَسَالِكَ مُعَوَّجَةٍ. خُذِلَ الْحُكَّامُ فِي إِسْرَائِيلَ. خُذِلُوا حَتَّى قُمْتُ أَنَا دَبُورَةُ. قُمْتُ أُمًّا فِي إِسْرَائِيلَ." (قضاة 5: 6 – 7).

لا يوضح النص لنا ما إذا كان والد "شمجر" "عناة" هو الأم أم الأب. لكن الإسم يعود لربة كنعانية شهيرة وهي إمرأة متعطشة للدماء كانت توصف بأنها عذراء. وهكذا فلم تكن أمًا لأي طفل وفي أساطير الشرق الأدنى لم يكن لها أي طفل.

وإذا كان "شمجر" قد خلص "إسرائيل" من الظلم الكنعاني، فإن من غير المرجح أن أمه ستقترن بالربة الكنعانية. وعلى أية حال، عوقبت "إسرائيل" في الأساس، بمعاناة وطأة الإحتلال الكنعاني، لأنها أثمت واعتنقت ديانات آلهة أخرى غير إله "إسرائيل". لذا فلا يمكن أن يكون المخلص هو من عُرف بأنه ابن الربة الكنعانية.

لكن اللقب "ابن عناة" ببساطة مجرد استعارة،فهو يعني أن "شمجر" محارب صنديد على شاكلة الربة الوحشية "عناة" التي كانت تصور أحيانًا وهي تخوض بقدميها حتى الركبتين في دماء وأحشاء ضحاياها. يمكننا أيضًا رؤية مثل هذه الصورة في وصف "شمجر" – فضرب ست مئة رجل بمنساس البقر (رمح طويل) قطعًا كان سيتركه غرقًا في بقايا ضحاياه.

تبدو القصة كما لو أنها أسطورة تم الزج بها بين قصتا "إيهود" (Ehud) و"دبورة"، فالآية السابقة لها تمامًا تقول أن "إسرائيل" تمتعت بثمانين سنة من الرفاهية نتيجة انتصارات "إيهود". ثم تتبع ذلك مباشرة بقول أن بعد موت "إيهود" أثمت "إسرائيل" مرة أخرى فأسلمهم الرب إلى "يابين" ملك "كنعان" الذي حكمهم طيلة عشرين عامًا حتى قادت "دبورة" ثورة ضده.

إذن فمتى أتيح الوقت لـ"شمجر" كي يخلص "إسرائيل" ويخلصهم ممن؟ من الواضح أن إشارة ترنيمة "دبورة" إلى وجود "جشمر" في نفس عصر ثورتها ضد "يابين" حدت بكتبة "الكتاب المقدس" إلى إضافة قصة عنه قبل قصة "دبورة"، وعليه كان وصفه بأنه "ابن عناة" عنى فقط أنه قتل العديدين من جنود الأعداء.

الأسطورة رقم 92
وقادت دبورة تظاهرات بني إسرائيل على كنعان

الأسطورة: " فَتَرَنَّمَتْ دَبُورَةُ وَبَارَاقُ بْنُ أَبِينُوعَمَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلَيْنِ لأَجْلِ قِيَادَةِ الْقُوَّادِ فِي إِسْرَائِيلَ، لأَجْلِ انْتِدَابِ الشَّعْبِ، بَارِكُوا الرَّبَّ. اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمُلُوكُ وَاصْغَوْا أَيُّهَا الْعُظَمَاءُ. أَنَا، أَنَا لِلرَّبِّ أَتَرَنَّمُ. أُزَمِّرُ لِلرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. يَا رَبُّ بِخُرُوجِكَ مِنْ سَعِيرَ، بِصُعُودِكَ مِنْ صَحْرَاءِ أَدُومَ، الأَرْضُ ارْتَعَدَتِ. السَّمَاوَاتُ أَيْضًا قَطَرَتْ. كَذلِكَ السُّحُبُ قَطَرَتْ مَاءً. تَزَلْزَلَتِ الْجِبَالُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، وَسِينَاءُ هذَا مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ.

فِي أَيَّامِ شَمْجَرَ بْنِ عَنَاةَ، فِي أَيَّامِ يَاعِيلَ، اسْتَرَاحَتِ الطُّرُقُ، وَعَابِرُو السُّبُلِ سَارُوا فِي مَسَالِكَ مُعْوَجَّةٍ. خُذِلَ الْحُكَّامُ فِي إِسْرَائِيلَ. خُذِلُوا حَتَّى قُمْتُ أَنَا دَبُورَةُ. قُمْتُ أُمًّا فِي إِسْرَائِيلَ." (قضاة 5: 1 – 7)

الواقع: كانت "دبورة" شخصية أسطورية أُلفت على أساس شخصية الإلهة المصرية "نيث".

لسفر "القضاة" روايتان من قصة "دبورة"، فالإصحاح الرابع يأتي نثرًا والإصحاح الخامس شعرًا. والأخير عادة ما يشار إليه باسم "ترنيمة دبورة". ومع أن النسختان يرويان نفس القصة العامة توجد اختلافات هامة بينهما.

فكلتاهما تصوران "دبورة" على أنها إحدى قضاة "إسرائيل" التي ألهمت بني "إسرائيل" بالخروج في ثورة على الظلم الكنعاني. وكان حينئذ "باراق" (Barak) قائد لجيش إسرائيل بينما كان "سيسرا" (Sisera) قائد لجيش الأعداء. وفي مفاجأة عظيمة انتصر "باراق" على جيش "سيسرا" المتفوق العتاد (الذي احتوى على أكثر من تسعمئة عربة حربية حديدية) فهُزم القائد الكنعاني وفر طلبًا للنجاة. وأثناء هروبه بلغ خيمة "حابر القيني" (Heber the Kenite) الذي كان من المفترض أنه من المحايدين، لذا لجأ إليه. فقدمت له زوجة "حابر" "ياعيل" (Jael) بعض الطعام، وعندما تغافل عنها غرزت وتد الخيمة في صدغه. وتذكر النسخة الشعرية أنه كان يأكل طعامها حينها بينما تقول النسخة النثرية أنه كان نائمًا.

جاء في النسخة الشعرية للترنيمة أن المعركة وقعت في مكان يطل على "مياه مجدو" (waters of Megiddo) التي كانت تقع على حدود "منسه"، بينما جاء في النسخة النثرية أن المعركة وقعت عند جبل "تابور" (Tabor) الذي كان على حدود "يساكر" أو "زوبولون"

أو لربما "نفتالي"، أي في مكان ما بين هذه الأسباط الثلاث.

وفيما عددت النسخة الشعرية الأقدم كل الأسباط التي إشتركت والتي لم تشترك في الحرب، ذكرت النسخة النثرية سبطا "زبولون" و"نفتالي" فقط. وفيما تذكر النسختان أن "سيسرا" هو قائد جيش العدو، تصف النسخة الشعرية الأعداء بأنهم تحالف من ملوك "كنعان" فيما تحدد النسخة النثرية أن "يابين" ملك "حاصور" كان هو الملك الظالم الذي ثارت عليه "إسرائيل". ولقد كان الملك هو نفسه الذي هزم سابقًا على يد "يشوع" الذي من المفترض أنه دمر مدينة "حاصور" حينها. (وكانت "حاصور" تقع شمال "نفتالي" على الحدود الشمالية لـ"إسرائيل").

وهناك فارق آخر، ففي النسخة الشعرية يظهر "باراق" كبطل حربي عظيم في حين يظهر في النسخة النثرية كأنما تنقصه الجسارة والعزيمة حتى أنه يلجأ لـ"دبورة" كي تزوده بالحماسة والشجاعة اللازمة لمواجهة الأعداء.

تطالعنا النسخة النثرية المتأخرة كتلخيص فضفاض لترنيمة "دبورة" وهو تلخيص معدل يعزز منزلة "زبولون" و"نفتالي" كي تتساوى مع "إفرايم" بلد "دبورة". وهنا سنركز على النسخة الشعرية.

إن الأسماء المتعددة والصور الشعرية الكثيرة في القصة تنبئنا بأصلها الأسطوري. فالإسم "دبورة" يعني "النحلة". واسم زوجها "لفيدوت" (Lapidoth) يعني "ومضات" أو "أنوار". أما إسم "باراق" فهو بمعنى "البرق".

وفي "مصر" السفلى حيث استُعبد بني "اسرائيل" كانت النحلة رمز ملكي. هناك كانت "نيث" أهم آلهة "مصر" السفلى وكان لها معبد يدعى "معبد النحلة" (House of the Bee). كانت "نيث" إلهة حرب وإلهة راعية. صورت بصحبة زوجان من السهام المعقوفة فوق درع لكنها أيضًا ظهرت كراعية للحياكة وكربة جنائزية اقترنت بأكفان التحنيط. لهذا ساواها الاغريق بـ"أثينا" (Athena). ويروي لنا "هورودت" أن من طقوس عبادة "نيث" إقامة عيد كبير يدعى "عيد المصابيح" (Feast of the Lamps) وفيه يترك المؤمنين عددًا من المصابيح مشتعلة طيلة الليل. ويذكرنا هذا بزواج "دبورة" (أو النحله) من "الأنوار".

عملت "نيث" أيضًا كقاضية. ففي "نزاعات "حورس" وست" يذكر أن استشارات الآلهة في خلافات "حورس" و"ست" على الأحقية في وراثة الحكم خلفًا لـ"أوزوريس" استمرت

لثمانين عامًا من دون حل. فلجأت الآلهة لـ"نيث" طلبًا للمشورة، فأجابتهم بأن المنصب من نصيب "حورس" ثم أضافت: إن لم تحكم الآلهة في حق "حورس"، "ستنداد ثورتي وسأدفع بالسماء حتى تلمس الأرض".

ووصف السماء بأن لمسها للأرض نوع من العقاب يبدو كوصف للبرق، والبرق (أي باراق) كان وسيلة "دبورة" للعقاب.

إن إحدى أهم صفات "نيث" هي ذكرها في بعض النصوص على أنها الإلهة الأم الملازمة للخلق. ففي إحدى التراتيل (الموجودة على حائط من معبد إسنه) توجد تشابهات مذهلة بينها وبين "ترنيمة دبورة". وتصف الترتيلة خلق وميلاد الإله الأكبر "رع". فتقول في إحدى الفقرات:

سأعززه [أي رع] بقوتي، اجعله مؤثرًا بتأثيري، سأجعله نشط بنشاطي.
أبنائه سيثورون عليه، لكنهم سيهزمون منه، وسيسقطون بواسطته، لأنه
ابني الخارج من جسدي، ولسوف يكون ملكًا على أرضه للأبد. وسأحميه بذراعيّ.

وبالمقارنة تبدو "دبورة" المحاربة والقاضية في سفر "القضاة" 4 :5 على اتصال بدور المرأة الراعية. إذ يقول النص أنها "**قَاضِيَةُ إِسْرَائِيلَ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ. وَهِيَ جَالِسَةٌ تَحْتَ نَخْلَةِ**". ومن المتفق عليه أن هذه النخلة كانت "شجرة المبكى" (Tree of Weeping) والتي دفنت تحتها "دبورة" أخرى كانت ممرضة "رفقة" (تكوين 35: 8). ومن نقاشاتنا السابقة رأينا أن "رفقة" ماثلت "إيزيس"، لذا فـ"دبورة" بصفتها ممرضتها كانت تعنى بالطفل "حورس–يعقوب". ومن هنا تكون "دبورة" المحاربة على علاقة بـ"دبورة" الممرضة راعية "حورس".

عملت "نيث" و"دبورة" كلتاهما كقاضيتان، وكلتاهما كانتا محاربتان وكلتاهما راعيتان وعلى علاقة وثيقة بـ"الأنوار" ثم أنهما هددتا بإنزال عقاب في شكل "برق".

تصف ترتيلة "نيث" الربة بأنها شخصية أمومية وتقول ترنيمة "دبورة" أنها "أمّ في إسرائيل". وفي غير هذه العبارة لا يأتي أي ذكر على انجابها لأي أطفال، لذا فهذا الوصف "أم في إسرائيل" مجرد وصف رمزي. وهذه العبارة "أمّ في إسرائيل" استُخدمت مرة أخرى فقط في "الكتاب المقدس" وكان المقصود منها ليس وصف لأحد الآباء. ففي سفر "صموئيل الثاني" الإصاح العشرين، خرج "يوآب" (Joab) ليقتل أحد أعداء "داود" واسمه "شبع" (Sheba) وكان هذا الرجل لاجئ في مدينة "آبل" (Abel). وفيما ضرب "يوآب" حصارًا

على المدينة خرجت امرأة حكيمة إلى السور ونادته قائلة "أَنَا مُسَالِمَةٌ أَمِينَةٌ فِي إِسْرَائِيلَ. أَنْتَ طَالِبٌ أَنْ تُمِيتَ مَدِينَةً وَأُمًّا فِي إِسْرَائِيلَ. لِمَاذَا تَبْلَعُ نَصِيبَ الرَّبِّ؟" وهنا فإن هذه الصفة "أمًا في إسرائيل" تشير للمدينة نفسها وليس للمرأة. فلابد أن المدينة كانت تضم العديد من الأمهات. وإذا كان المراد من العبارة هو أن "أمّ في إسرائيل" كانت لتُقتل في هذه الحرب كان حري بها أن تقول أن هذا سيقتل الأمهات في "إسرائيل". لكن السياق يرجح أن صفة "أمًا في إسرائيل" كانت تطلق على المدينة نفسها، بمعنى أنها هي المكان الذي ربى وأنشأ الشعب العبراني.

وبالمثل فوصف "دبورة" بأنها "أمًا في إسرائيل" هو ليس وصف لها بأنها أمّ حقًا وإنما بأنها راعية لـ"إسرائيل". كانت "دبورة" أم مجازية في "إسرائيل" كما يظهر من ترنيمة "دبورة" التي تصف المعركة كحدث كوني.

"يَا رَبُّ بِخُرُوجِكَ مِنْ سعيرَ، بِصُعُودِكَ مِنْ صَحْرَاءِ أَدُومَ، الأَرْضُ ارْتَعَدَتِ. السَّمَاوَاتُ أَيْضًا قَطَرَتْ. كَذلِكَ السُّحُبُ قَطَرَتْ مَاءً. تَزَلْزَلَتِ الْجِبَالُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، وَسِينَاءُ هذَا مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ" (قضاة 5: 4 – 5)

"خُذِلَ الْحُكَّامُ فِي إِسْرَائِيلَ. خُذِلُوا حَتَّى قُمْتُ أَنَا دَبُورَةُ. قُمْتُ أُمًّا فِي إِسْرَائِيلَ. اخْتَارَ آلِهَةً حَدِيثَةً. حِينَئِذٍ حَرْبُ الأَبْوَابِ. هَلْ كَانَ يُرَى مِجَنٌّ أَوْ رُمْحٌ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ إِسْرَائِيلَ؟" (قضاة 5: 7 – 8)

"مِنَ السَّمَاوَاتِ حَارَبُوا. الْكَوَاكِبُ مِنْ حُبُكِهَا حَارَبَتْ سِيسَرَا. نَهْرُ قِيشُونَ جَرَفَهُمْ. نَهْرُ وَقَائِعَ نَهْرُ قِيشُونَ. دُوسِي يَا نَفْسِي بِعِزّ" (قضاة 5: 20 – 21)

"هكَذَا يَبِيدُ جَمِيعُ أَعْدَائِكَ يَارَبُّ. وَأَحِبَّاؤُهُ كَخُرُوجِ الشَّمْسِ فِي جَبَرُوتِهَا" (قضاة 5: 31)

نرى فيما سبق وصف لأحداث لا تقع إلا في أساطير حروب الآلهة، فقيل مثلاً أن الأرض ارتعدت والسماوات قطرت وتزلزلت الجبال وظهرت آلهة جديدة وحاربت الكواكب وفاضت الأنهار وخرجت الشمس في جبروتها. وبعد أن يقال بأن "دبورة" "أمًا في إسرائيل" يقال أن الأعداء إختاروا آلهة جديدة وحينئذ حرب الأبواب. وإذا ما قارننا هذا بما جاء في ترتيلة "نيث" سنجد أن:

1 – "دبورة" و"نيث" كلتاهما تحدثتا عن دورهما الأمومي.

2 – كلتاهما تحدثتا عن أن دورهما أدى إلى تكاثر البشر.

3 – في كلتا القصتين نرى آلهة جديدة وقد ثارت على السماوات.

4 – في كلتا القصتين تتوعد الأم بوصفها أمًا بأن تتدخل في القتال.

5 – في كلتا القصتين تحارب الأم إلى جانب الإله الأكبر.

6 – في كلتا القصتين يأتي حديث عن ضرب العدو بالبرق.

7 – في كلتا القصتين ينتصر فريق كبير الآلهة.

8 – في كلتا القصتين تصور الشمس في شكل محارب مغوار.

لقد فُعل دور "باراق" في النسخة النثرية من ترنيمة "دبورة" بعد أن تدخلت "دبورة" وكذلك حدث مع "رع" إذ صار فعالاً كمحارب بفضل مجهودات "نيث".

اتسع التأثير المصري في "كنعان" خلال عصر "القضاة" والعصور الملكية المبكرة، لدرجة أن "سليمان" بنى لإحدى زوجاته معبدًا مصريًا. لذا فاسم "نيث" وشكلها كان معروفًا هناك، ليس هذا فقط بل من غير المستبعد أن تكون أشكالها الرمزية وما يتناولها من أشعار وتراتيل وأغان كانت واسعة الانتشار كما هو الحال مع الآلهة الآخري من "مصر" و"كنعان" و"بلاد ما بين النهرين".

الحقيقة هي أن ترنيمة "دبورة" عبارة عن تجميع لبعض القصائد الصغيرة في قصة أكبر. إن الكتبة التوراتيون الذين كانوا على دراية بترتيلة "نيث" المصرية استمتعوا بالجوانب الأدبية لها، فاستعاروا أجزاء منها ثم أضافوها لبعض المواد المأخوذة من مصادر أخرى مبتكرين بذلك ملحمة شعرية حول بطلة أسطورية تدعى "دبورة".

الأسطورة رقم 93
وقضى شمشون لإسرائيل مدة عشرون عامًا

الأسطورة: " وَقَضَى لإِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عِشْرِينَ سَنَةً " (قضاة 15: 20)

الواقع: كان "شمشون" إلة شمسي من آلهة "كنعان" وكانت صفاته تجمع بين "هرقل" النصف إله الإغريقي والإله الشمسي المصري "رع–حور–اختي" (Re-Herakhte).

يقول سفر "القضاة" أن "شمشون" قضى لـ"إسرائيل" لمدة عشرون عامًا لكنه لم يكن

يتصف بأي من صفات القضاة السابقين على العصر الملكي. إذ أن الموضوعات الرئيسية لسفر "القضاة" كانت:

1 – انغماس "إسرائيل" في الإثم في حق الرب.

2 – الرب ينزل عقابه بـ"إسرائيل" فيسلمها لأيد أعدائها.

3 – وبعد مضي زمن طويل من العقاب يخرج الرب قائدًا فذًا يهدي بني "إسرائيل" سواء السبيل ويخلصهم من عذابهم.

كان "شمشون" آخر قضاة العصر القبل ملكي. بدأت قصته بمزاعم حول مقامه عند الرب العبراني. فيُحكى أن "إسرائيل" كانت في قبضة الفلسطينيين مدة أربعين عامًا قبل ميلاده. وذات يوم ظهر لأمه، التي كانت عاجزة عن الإنجاب، ملاك ينبئها بأنها سترزق بولد ذو مقام مخصوص.

"فَهَا إِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا، وَلاَ يَعْلُ مُوسَى رَأْسَهُ، لأَنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيرًا للهِ مِنَ الْبَطْنِ، وَهُوَ يَبْدَأُ يُخَلِّصُ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ" (قضاة 13: 5)

تنتقل القصة بعد ذلك إلى سنوات شبابه وخلال الرواية يظل "شمشون" برفقة الفلسطينيين ولا يخالط أي إسرائيليين أبدًا. يروي الجزء الأول من ملحمته قصة زواجه من امرأة فلسطينية وحزن والداه لوقوع هذا الزواج.

"فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ أَلَيْسَ فِي بَنَاتِ إِخْوَتِكَ وَفِي كُلِّ شَعْبِي امْرَأَةٌ حَتَّى أَنَّكَ ذَاهِبٌ لِتَأْخُذَ امْرَأَةً مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْغُلْفِ؟ فَقَالَ شَمْشُونُ لأَبِيهِ إِيَّاهَا خُذْ لِي لأَنَّهَا حَسُنَتْ فِي عَيْنَيَّ." (قضاة 14: 3)

كان الفلسطينيون هم ألد أعداء "إسرائيل". ولقد كان إعجاب "إسرائيل" بعادات "فلسطين" و"كنعان" هو سبب انتقام الرب منهم بإخضاعهم للفلسطينيين. ومع ذلك فكل أصدقاء ومعارف "شمشون" كانوا من الفلسطينيين. فلقد عاش معهم واختلط بهم واحتفل برفقتهم كما غازل النساء الفلسطينيات وطيلة القصة تجاهل الإسرائيليين. ومن كل هذا لا يبدو أن مثل هذه الشخصية صالحة للعب دور مخلص "إسرائيل" أو أن يكون منجداً لهم من الفلسطينيين.

ومع أنه عانى من شر الفلسطبنيين عدة مرات أجبر فيها على الانتقام منهم وقتل أعداد أكثر فأكثر كل مرة، إلا أن كل معركه تتعلق بانتقامات شخصية فهي لا تتعلق بالهدف الأسمى الذي هو تحرير "إسرائيل" وهدايتها الروحية.

والحقيقة أن حتى بني "إسرائيل" لم يستهويهم "شمشون" و لم يطلبوا منه إنقاذهم من الفلسطينيين. فعندما سلم أبو "شمشون" عروس ابنه لأحد أصدقاء ابنه من الفلسطينيين، انتقم "شمشون" منهم بأن أحرق أراضيهم. حيث ربط مشاعل بذيول ثلثمائة ثعلب ثم أطلقهم في حقول الفلسطينيين. وكرد على ذلك طالب الفلسطينيون من "إسرائيل" تسليم "شمشون" ليُعاقب.

"نَزَلَ ثَلاَثَةُ آلاَفِ رَجُلٍ مِنْ يَهُوذَا إِلَى شَقِّ صَخْرَةِ عِيطَمَ، وَقَالُوا لِشَمْشُونَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مُتَسَلِّطُونَ عَلَيْنَا؟ فَمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا؟ فَقَالَ لَهُمْ كَمَا فَعَلُوا بِي هكَذَا فَعَلْتُ بِهِمْ." (قضاة 15: 11)

وافق "شمشون" على تقييده وتسليمه لأعدائه. وعندما عاد الفلسطينيين به اشتعلت النيران في قيوده حتى ساحت، فلما أصبح حرًا تناول عظمة فك حمار وقتل بها ألف فلسطيني. وهذا يُذكرنا بـ"شمجر" الذي قتل ستمئة فلسطيني بمنساس البقر. إن الشبة بين إسمي "شمشون" و"شمجر"، تشابه أعمالهما يقول بإحتمال أنهما كانا شخصية أسطورية واحدة في زمن ما.

خلال أحداث القصة يقوم "شمشون" ببعض الأعمال الخارقة. فيقتل أسد بيدية العاريتين ويقتل ثلاثين فلسطيني بنفسه للاستيلاء على ثلاثين عباءة من دون أن يدفع ثمنهم ويقتل ألف فلسطيني بعظام فك ويحمل فلسطينيان إلى خارج أسوار المدينة لمسافة أربعين ميل تقريبًا وخلال آخر دقائق من حياته يهدم معبدًا فلسطينيًا على رؤوس الموجودين فيه.

وبسبب قوته الخارقة يوصف بأنه "هرقل" اليهود. ومع أن هذا الوصف يشير لقوتهما العظيمة كأبطال قاما بأعمال خارقة على الطبيعة البشرية. وعند فحص الدلائل بشكل أعمق نجد أن "شمشون" هو نفسه "هرقل" الإغريقي الذي نقلت أسطورته إلى "كنعان" عن طريق المهاجرون من "الشعوب البحرية". فلقد ولد "شمشون" في سبط "دان" كما ذكرنا في الأسطورة رقمُ 68، وهو السبط الذي تأسس على أيدي "الشعوب البحرية" وبالذات من عشيرة الدانيين (Dnyn) الذين استقروا على الساحل الكنعاني مع رفاقهم من الفلسطينيين. وهذا يشرح لنا ملازمة وجود الأبطال العبرانيون أثناء فترة تواجد "الشعوب البحرية" في المنطقة.

إن إسم "دناين" (Dnyn) يترادف مع الإسم الإغريقي للدانيين (Danoi) وهو إسم أطلقه "هوميروس" على الإغريقيين المايسينيين. ولقد كان أشهر أبطال الدانيون هو "هرقل" الذي

تحدر مباشرة من "دانوس" (Danaus) مؤسس عشائر الدانيين. لذا يمكننا تتبع الجذور الثقافية لكل من "شمشون" و"هرقل" في تراث الإغريق المايسينيين.

يعني إسم "شمشون" "الشمس الصغيرة" أو "رجل الشمس". فكان شعره الغزير (كعرف الأسد أو الحصان) رمز لشعاع الشمس. ولقد رمز الأسد لقوة الشمس في الشرق الأدنى وفي "مصر" خاصة.

كان للهب دور مهم خلال قصة "شمشون". فالملاك الذي أعلن عن مولده صعد للسماوات على لسان من اللهب. كما أحرق "شمشون" حقلاً كاملاً وعندما كان مقيدًا احترقت قيوده وسالت بقوة اللهب.

كانت توجد في محيط سبط "دان" مدينة تعرف بإسم "بيت شمش" (Beth-Shemesh) (أي، بيت أو معبد الشمس) وكانت توجد في "وادي سورق" (Valley of Sorek). ولقد جاءت زوجة "شمشون" الأولى من "تمنة" (Timnah) الملاصقة لـ "بيت شمش". أما "وادي سورق" فكان بلد "دليلة" (Delilah) التي خانته.

كانت خيانة "دليلة" لـ"شمشون" هي أهم أجزاء قصته. كانت "دليلة" تعمل مع الفلسطينيين وبالحيلة استطاعت أن تعرف منه أن سر قوته يكمن في شعره، وذات ليلة قصته وهو نائم كي يستطيع الفلسطنسون الإمساك به. وعندما أسروه وفقأوا عيناه، ربطوه في ساقية ثم ذهبوا به إلى المعبد ليتضاحكوا عليه وهو يدور في الساقية فهدم المعبد على رؤووسهم فمات شمشون ومات الفلسطينيين معه.

يتصل الإسم "دليلة" بالكلمة العبرانية "ليلة" (Layla) وهي تعني "الليل"، ولقد كان انقلاب الليل والنهار أحد الجوانب الرئيسية للديانة المصرية القديمة، فلقد تحتم إنتصار الشمس علي الظلمة حتى تدور عجلة الليل والنهار. لذا فقص خصلات "شمشون" هو رمز للانتصار المؤقت لليل على النهار. في حين أن استعادة هذه الخصلات لقوتها هي رمز لانتصار النهار وتدميره لليل مرة أخرى.

وإن دوران "شمشون" في الساقية لهو تصوير لدورة الشمس في الأفلاك ودورة الليل والنهار الشمسية. وفي إحدى مواضع القصة يصور "شمشون" وفي رفقته ثلاثين رجل هم أيام الشهر الثلاثون. ولقد قورنت تعمية "شمشون" بالكسوف الشمسي، لكن ما يظهر لنا بجلاء أكثر في هذا التصوير هو تشابه قصه شمشون بأجزاء من "نزاعات "حورس" وست"

والتي جاء فيها أن "ست" عدو الشمس، أصاب "حورس" رمز الشمس بالعمي.

أما شخصية "هرقل" فتحمل رمزًا شمسيًا آخر. ففي واقعة شهيرة قتل "هرقل" أسدًا وارتدى جلده كعباءة، كانت رأس الأسد فيها خوذة له وشعره الغزير ينسدل على جسده. ولقد كانت عباءة الأسد أيقونة مقترنة بـ"هرقل" في الفن الإغريقي. وفي إحدى المهام التي فرضت عليه كان يصور وهو يعبر السماء من الشرق إلى الغرب داخل كأس ذهبي وهو يطلق السهام. ويبدو لنا هذا رمزٌ جلياً للشمس.

وكما هو الحال مع "شمشون" عوقب "هرقل" بدفعه إلى القيام بعدد من المهمات الشاقة. كما نرى أن كلاهما مات جراء خيانة إمرأة كانا يعشقانها. وفيما دنا "هرقل" من نهاية أجله وقف على مذبح لإحراق الموتى وفيما تصاعدت ألسنة اللهب من حوله، نزلت غيمة من السماوات لتحمله إلى جبل "الأوليمب" حيث تحول إلى نصف إله. يتشابه هذا مع مع جاء في ميلاد "شمشون" إذ صعد الملاك الذي أعلن عن مولده إلى السماوات على غيمة صاعدة من لهب الأضاحي.

قتل "شمشون" أسدًا بيداه العاريتين كما فعل "هرقل" لكنه لم يرتدي رأسه كخوذة. فهذه إشارة فجة لإله الشمس لم تكن لتحتمل في الديانة العبرانية التوحيدية. عوضًا عن ذلك جعل الكتبة رأس "شمشون" غزيرة الشعر بدلاً خوذة الأسد وادعوا أن شعره نما بأمر من الرب.

تدلنا الأساطير المصرية على علاقة أخرى بين "هرقل" و"شمشون". يخبرنا "هيرودوت" أنه كان لدى المصريون إله باسم "هرقل" كإسم النصف إله الإغريقي. لقد كانت من عادة الإغريق أن يدعو الآلهة الأجنبية بأسماء آلهتهم المحلية، فكانوا يبحثون عن التشابهات التي تجمع بين إله ما وإلههم ثم يطلقون نفس إسم إلههم عليه. لكن في هذه الحالة بالذات إدعى "هيرودوت" أن الإله المصري كان يدعى بإسم "هرقل".

كانت شخصيَة "هرقل" (Heakles) المصري محل خلاف لكن أقرب الترجيحات ترشح الإله "رع–حور–اختي" (Re-Herakhte) ليكون هو. وكان هذا الإله إلهًا شمسيًا يقترب اسمه من التطابق مع إسم "هرقل". صوره المصريون في شكل رجل له رأس أسد. لكن في زمن الأسرات الحديثة وحتى عصر "القضاة" حل "رع–حور–اختي" محل "رع" ككبير للآلهة في البانتيون المصري.

ومن المحتمل أن "الشعوب البحرية" ألحقت بعض صفات "رع–حور–اختي" بـ"هرقل"

ظنًا منهم بأنهم نفس الآله. وحوّل هذا "هرقل" إلى إله شمسي كنعاني جديد هو "شمشون" الذي جمع بين صفتي الإلهين.

هذا الاندماج يعيدنا لآخر الوقائع المساندة لفكرة وجود علاقة بين "شمشون" وإله الشمس.

بعد أسر "شمشون" وإفقاده البصر اقتيد إلى داخل المعبد الفلسطيني كنوع من التسلية، فهو عدو سابق في حالة رثة تثير الضحك. وعندما وصل "شمشون" إلى هناك دعا ربه. وهنا تنقل لنا نسخة "الملك جيمس" من "الكتاب المقدس" ترجمة مخطئة نوعًا ما.

"فَدَعَا شَمْشُونُ الرَّبَّ وَقَالَ يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، اذْكُرْنِي وَشَدِّدْنِي يَا اَللهُ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ، فَأَنْتَقِمَ نَقْمَةً وَاحِدَةً عَنْ عَيْنَايَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ" (قضاة 16: 28)

أما الترجمة الصحيحة المذكورة في "النسخة القياسية المراجعة"، فتقول:

"فَدَعَا شَمْشُونُ الرَّبَّ وَقَالَ يَا سَيِّدِي الرَّبَّ، اذْكُرْنِي وَشَدِّدْنِي يَا اَللهُ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ، فَأَنْتَقِمَ عَنْ عَيْنَيَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ"

لاحظ الفرق بين نسخة "الملك جيمس" التي تقول "فَأَنْتَقِمَ نَقْمَةً وَاحِدَةً عَنْ عَيْنَايَّ" بينما تقول النسخة المراجهة "أَنْتَقِمَ عَنْ عَيْنَيَ". من المحتمل أن مترجم نسخة "الملك جيمس" لم يجد المغزى من وراء كل هذا الانتقام بسبب فقدان عين واحدة.

لكننا إذا قارنا بين هذا الحدث وما جرى مع "رع–حور–اختي" سنجد الإجابة واضحة جلية. فعين "حورس" وعين "رع" كانا في حد ذاتهما كيانان منفصلان عن الآلهة نفسها. ولقد استخدما كأدوات للتدمير في الأساطير المصرية. فعلى سبيل المثال، جاء في كتاب "البقرة المقدسة" أن الإله "رع" بعث بعينه في هيأة الربة "حتحور" لتدمر البشر. وفي القصة التوراتية كان "شمشون" الذي يمثل "حورس–رع" ينادي العين لتدمر أعدائه الفلسطينيون. ولقد حرف الكتبة العبرانيين من القصة قليلاً كي لا تظهر عين الإله المصري.

أما بالنسبة للصلة بين إفقاد "شمشون" لبصره وعلاقة ذلك بمنازعات "حورس" وست" فلقد حدث أثناء هذه المنازعات أن استطاع "ست" اقتلاع عين "حورس" لفترة وجيزة. ولقد كان من السخرية أن استخدم "شمشون" عظام فك حمار ليقتل الفلسطبنين، فالحمار كان رمزاً ل"ست" وكان الفلسطينيون ممثلين لدور "ست" في نزاعهم مع "شمشون" ولقد كان قتل "شمشون" لهم بعظام فك الحمار هو قتل لهم برمزشعبهم.

وكما يفهم من اسمه كان الاسم "شمشون" إسم لإله شمسي. ووفقًا للدلائل جمع "شمشون" بين صفات الإله المصري "رع–حور–اختي" والبطل الداني الإغريقي "هرقل". وعندما سكنت "الشعوب البحرية" إلى جانب الفلسطينيين ثم انضموا إلى أسباط "إسرائيل" فيما بعد أصبحت أسطورة "شمشون" جزء من التراث العبراني. وصار "شمشون" منتميًا لسبط "دان". ولأن "دان" كانت تعني بالعبرانية "القاضي" أصبح "شمشون" أحد "قضاة إسرائيل" الذين خلصوها من قبضة الفلسطينيين.

الأسطورة رقم 94

وهدم شمشون المعبد الفلسطيني

الأسطورة: "وَقَبَضَ شَمْشُونُ عَلَى الْعَمُودَيْنِ الْمُتَوَسِّطَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَ الْبَيْتُ قَائِمًا عَلَيْهِمَا، وَاسْتَنَدَ عَلَيْهِمَا الْوَاحِدِ بِيَمِينِهِ وَالآخَرِ بِيَسَارِهِ. وَقَالَ شَمْشُونُ لِتَمُتْ نَفْسِي مَعَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَانْحَنَى بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَى الأَقْطَابِ وَعَلَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّذِي فِيهِ، فَكَانَ الْمَوْتَى الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ، أَكْثَرَ مِنَ الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَيَاتِهِ. " (قضاة 16: 29 – 30)

الواقع: استعيرت هذه القصة من قصة مصرية حول "رع–حور–اختي".

كانت آخر أعمال "شمشون" هي هدم المعبد الفلسطيني وقتل حوالي ثلاثة آلاف فلسطيني ممن كانوا حاضرين للاحتفال بالإله "داجون" (Dagon). أوضحت لنا الاسطورة رقم 93 كيف ربط الإغريق بين "هرقل" والإله المصري "رع–حور–اختي" وكيف ارتبط الاثنان بـ"شمشون". ويقص لنا "هيرودوت" أقصوصة مشوقة حول هذا الـ"هرقل" المصري.

يقول "هيرودوت" أنه بحسب روايات الإغريق، ذهب "هرقل" إلى "مصر" حيث اصطحبه الكهنة المصريون إلى معبد "زيوس" [أي، الرب آمون] بغرض تقديمة له كأضحية، حتى أنهم ألبسوه إكليل الأضحية على رأسه. "فاستسلم لهم حتى حانت لحظة الاحتفال عند المذبح ثم أظهر قوته وقتلهم جميعًا".

لم يكن "هيرودوت" على دراية بالعبرانيين أو كتابهم المقدس إطلاقًا. ومع ذلك تحتفظ

قصته بالعناصر الأساسية لقصة "شمشون" والمعبد الفلسطيني. فالفرق الوحيد هو أنها تحدث في "مصر". وحيث أن "هيرودوت" أرجع القصة للإغريق فيتضح لنا وجود تراث منفصل لتلك الأحداث. فالشخصية التي يصفها "هيرودوت" توفر لنا الدلائل على أصول هذه القصة.

كان الغريمان في القصة المصرية هما "آمون" (الذي ربطه الإغريق بـ"زيوس") و"هرقل". و"هرقل" المصري كان "رع–حور–اختي". لذا فالقصة الأساسية كانت تصف نوع من الخلافات السياسية بين عبدة "آمون" وعبدة "رع–حور–اختي"، حيث كان الأخير متفوقًا على الأول.

وبما أن "رع–حور–اختي" انتصر في حربه ودمر الأعداء، يرجح سياق القصة أن أحداثها كانت تورية لما جرى خلال حكم "إخناتون".

كان هذا الفرعون مؤمن متعصب الايمان بالوحدانية وكان يعبد الإله "رع–حور–اختي" المتجسد في شكل قرص الشمس المعروف باسم "أتون". واثناء توليه الحكم قاد حملة شعواء ضد الإله "آمون" فأمر جميع عمال المملكة بلا استثناء بشطب اسمه من على كل الآثار الحجرية كما أمر بإغلاق كل معابده، أي ما يعادل تدمير ذلك المعبد السالف الذكر. وبعد موت "إخناتون" بفترة وجيزة استعادت ديانة "آمون" مكانتها، لكن المصريون استمروا في وضع "رع–حور–اختي" على رأس البانتيون المصري.

لقد كان الإسرائيليون على معرفة تامة بالصراع الدائر بين ديانة "اخناتون" الشمسية الوحدانية وعبادة الإله "آمون"، إذ كانوا موجودين في "مصر" في ذلك الحين. وبالطبع كان انتصار عبادة الإله الشمسي الواحد على عبادة الآلهة المتعددة في "مصر" محط انتباه العبرانيين الخارجين من "مصر" جراء الخلاف بين إلههم الواحد والآلهة المصرية. وفي النهاية لابد أنهم صادفوا نفس القصة لدى "الشعوب البحرية". ولقد ألحق كلاهما القصة بـ"شمشون" "رجل الشمس" ثم جعلوا منها جزء من ميراثهم الثقافي.

الأسطورة رقم 95

وسرق ميخا الفضة من أمه

الأسطورة: "وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ جَبَلِ أَفْرَايِمَ اسْمُهُ مِيخَا. فَقَالَ لأُمِّهِ إِنَّ الأَلْفَ وَالْمِئَةَ شَاقِلِ الْفِضَّةِ الَّتِي أُخِذَتْ مِنْكِ، وَأَنْتِ لَعَنْتِ وَقُلْتِ أَيْضًا فِي أُذُنَيَّ. هُوَذَا الْفِضَّةُ مَعِي. أَنَا أَخَذْتُهَا. فَقَالَتْ أُمُّهُ مُبَارَكٌ أَنْتَ مِنَ الرَّبِّ يَا ابْنِي. فَرَدَّ الأَلْفَ وَالْمِئَةَ شَاقِلِ الْفِضَّةِ لأُمِّهِ. فَقَالَتْ أُمُّهُ تَقْدِيسًا قَدَّسْتُ الْفِضَّةَ لِلرَّبِّ مِنْ يَدِي لابْنِي لِعَمَلِ تِمْثَالٍ مَنْحُوتٍ وَتِمْثَالٍ مَسْبُوكٍ. فَالآنَ أَرُدُّهَا لَكَ. فَرَدَّ الْفِضَّةَ لأُمِّهِ، فَأَخَذَتْ أُمُّهُ مِئَتَيْ شَاقِلِ فِضَّةٍ وَأَعْطَتْهَا لِلصَّائِغِ فَعَمِلَهَا تِمْثَالاً مَنْحُوتًا وَتِمْثَالاً مَسْبُوكًا. وَكَانَا فِي بَيْتِ مِيخَا. وَكَانَ لِلرَّجُلِ مِيخَا بَيْتٌ لِلآلِهَةِ، فَعَمِلَ أَفُودًا وَتَرَافِيمَ وَمَلأَ يَدَ وَاحِدٍ مِنْ بَنِيهِ فَصَارَ لَهُ كَاهِنًا." (قضاة 17: 1 – 5)

الواقع: مع أنه من المفترض أن تلك القصة وقعت في عصر ما قبل الممالك إلا أن الاحتمال الأكبر هو أنها دارت حول الخلافات بين مملكة "يربعام" الإسرائيلية وفرقة كهنة "شيلوه" الشمالية.

إن قصة سرقة "ميخا" (Micah) فضة أمه مثال على الفقرات التي أدخلت إلى نص "الكتاب المقدس" كأمثولة (أي بغرض الموعظة) واتي تحولت بفعل سوء فهم المنقحين التوراتيين اللاحقين إلى قصة معزولة منفصلة تمامًا عن معناها الأصلي.

وكما جاء فيها كان يوجد رجل اسمه "ميخا" من منطقة "إفرايم" سرق من أمه ألف ومئة قطعة من الفضة. وكانت الفضة موقوفة لرب "إسرائيل" كي تُصنع تمثالاً. لكن "ميخا: اعترف بما جناه وأعاد الفضة لأمه التي أثابته على ذلك وأعطت مئتي قطعة منها للصائغ فصنع بها تمثالاً منحوتًا وتمثالاً مسبوكًا. وبهذان التمثالان أقام "ميخا" مقام مقدس فيه أفود (Ephod) وترافيم (Teraphim) (أي رموز وأيقونات دينية).

وهنا تظهر في القصة شخصية الكاهن اللاوي العاطل عن العمل، القادم من "بيت لحم" التابه لـ"يهوذا" إلى "إفرايم"، لليحث عن عمل. فوظفه "ميخا" ليدير مقامه وكان أجره عشرة شيكل سنويًا بالإضافة لبعض الإكراميات. هذا الكاهن اللاوي عامل "ميخا" كابن له، وعليه أعلن "ميخا" أنه وقد جلب كاهن لاوي سيكرمه الرب.

وبعد ذلك مباشرة تدخل القصة منعطفًا غريبًا. فسبط "دان" الذي لم يعد قادراً على حماية حدوده على الساحل الشمالي لـ"كنعان" يبدأ في البحث عن موطن جديد. فبلغ الجواسيس

بيت "ميخا" وهناك سمعوا صوت كاهن لاوي.

وبعد أن تابعوا بحثهم وصلوا إلى مدينة "لايش" (Laish) التي تقع في أقصى الشمال. وقبل أن يسعوا لغزو المدينة يسألون الكاهن اللاوي أن يسرق الأيقونات والتماثيل من مقام "ميخا".

"فَقَالُوا لَهُ اخْرَسْ! ضَعْ يَدَكَ عَلَى فَمِكَ وَاذْهَبْ مَعَنَا وَكُنْ لَنَا أَبًا وَكَاهِنًا. أَهُوَ خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَكُونَ كَاهِنًا لِبَيْتِ رَجُل وَاحِدٍ، أَمْ أَنْ تَكُونَ كَاهِنًا لِسِبْطٍ وَلِعَشِيرَةٍ فِي إِسْرَائِيلَ؟" (قضاة 18: 19)

فوافق الكاهن على مساعدتهم. ونهب بنو "دان" مقام "ميخا" ودخلوا "لايش" (التي أعيد تسميتها باسم "دان") وأقاموا مقامًا جديدًا وفق توجيهات اللاوي. وفي نهاية القصة نتعرف على شخصية اللاوي فنعرف أن اسمه "يَهُونَاثَانُ ابْنُ جَرْشُومَ بْنُ مَنَسَّى" (Jonathan, the son of Gershom, the son of Manasseh) كما نعلم بأنه صار القائم على هذا المقام هو ونسله " كَهَنَةً لِسِبْطِ الدَّانِيِّينَ إِلَى يَوْمِ سَبْيِ الأَرْضِ" بواسطة الآشوريين أو البابليين.

وأثناء السرد يدعي النص أنه: "فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ. " (قضاة 17: 6)

وهذه اللازمة المتكررة طيلة سفر "القضاة" ترجح للبعض أن قصة "ميخا" تظهر حاجه "إسرائيل" لملك يحميها من الفساد الديني. لكن الواقع هو العكس تمامًا فالقصة ثرية بالرمزية التي تلمح إلى أن أصول القصة كان هجومًا صريحًا على الحكم الملكي بعد انفصال "إسرائيل" و"يهوذا". والقصة تدور حول الخلافات بين الملك "يربعام" وكهانة "شيلوه" بعد أن قلل الكهنة من شأن سلطة الملكية.

بحسب ما جاء في سفر "الملوك الأول"، الذي يؤرخ لانفصال "إسرائيل" و"يهوذا"، قاد "يربعام" و"إفرايم" المعارضة ضد الملك "سليمان". ويضيف السفر المذكور: أن نبياً إسمه "أخيا" (Ahijah) من "شيلوه" مزق ثوبه لإثنتي عشرة قطعة وأعطى عشرة منها لـ"يربعام". كانت هذه، كما أخبره، إشارة من الرب على أن عشر أسباط من بيت "سليمان" سيستسلمون لـ"يربعام" وأنه سيبقى لخلفاء "سليمان" سبط واحد فقط.

وكما أشرنا في الأسطورة 63 كان هناك تشوش بشأن تقسيم الأسباط. فالفكرة الضمنية هي أن "يهوذا" لها سبط واحد وباقي الإسباط لـ"إسرائيل". لكن "القدس" عاصمة "يهوذا" كان تقع في منطقة "بنيامين". لذا فالخلط بشأن ما إذا كان تقسيم الأسباط هو عشره–لإثنين،

أو أحدى عشر–لواحد، ونوع من الخلط سنراه يتكرر كثيرًا.

عندما مات "سليمان" قاد "يربعام" بني "إسرائيل" للخروج من الكونفدرالية مع "يهوذا". وشيد مركزان دينيان كل واحد على طرف من طرفي البلاد. فكان واحد في "إفرايم" وواحد في "دان"، وهناك وضعت صور العجل الذهبي.

نالت ثورة "يربعام" تشجيع كهانة "شيلوه" التي كانت المركز الديني الذي أشرف على "تابوت عهد الرب" في العصور القبل ملكية. وما أن نقل "داود" التابوت إلى "القدس" حتى اشتعلت التنافسات الدينية والسياسية بين الفصائل الكهنوتية المتعددة. وكانت الكهانة الشمالية كارهة للنظم الملكية كما يتضح من نقد "صموئيل" اللاذع للملكية قبل أن يمسح "شاول" بالزيت. فلقد كان هؤلاء الكهنة مؤمنين بأن الإرشاد الكهنوتي هو أساس السلطة الأخلاقية.

وفر الإنفصال عن "يهوذا" لـ"شيلوه" الفرصة لتعزيز سطوتها الدينية على "إسرائيل" وإحتلال الصدارة في تولي الشئون الإسرائيلية. لكن "يربعام" لم يكن من المتدينين. فلقد قصر اهتمامه على بعض الموضوعات الدينية المحدودة لدرجة هددت الحفاظ على انفصال "إسرائيل" عن "يهوذا". وفي النهايه أعلن أن بإستطاعة أي راغب الإنضمام إلى صفوف الكهنة وأن يصبح واحد منهم.

"**بَعْدَ هذَا الأَمْرِ لَمْ يَرْجعْ يَرُبْعَامُ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيَّةِ، بَلْ عَادَ فَعَمِلَ مِنْ أَطْرَافِ الشَّعْبِ كَهَنَةَ مُرْتَفَعَاتٍ. مَنْ شَاءَ مَلأَ يَدَهُ فَصَارَ مِنْ كَهَنَةِ الْمُرْتَفَعَاتِ.**" (ملوك الأول 13: 33)

وهذا لم يعجب كهنة "شيلوه". ففي هذا تقويض لسلطتهم وتقليل من مكانتهم كمركز ديني. لذا أصبح "يربعام" عدو لهم.

هذه هي الخلفية التاريخية لقصة "ميخا". إذ سرق "ميخا" 1100 قطعة من الفضة. وعندما أعاد الفضة، حولت مئتين لتماثيل منحوتة ومسبوكة وشيد مقامان أحدهما في "دان" والآخر في "إفرايم". والأكثر أهمية هو ما ترمز إليه الفضة.

إن قطع الفضة الـ1100 رموز للـ 11 سبط الذين انفصلوا عن "يهوذا" بعد موت "سليمان". والمئتي قطعة التي تحولت إلى أصنام كانت رمز للسبطين اللذان أشرفا على المقامين اللذان بناهما "يربعام"، واحد في الجنوب في "إفرايم" والأخر في الشمال في "دان". ولقد

صنع "ميخا" الأصنام التي في المقام الذي كان في "إفرايم"، وفيما بعد انفصل اللاوي عن "ميخا" ونقل الصنم إلى مقام "دان".

ترمز الأم في تلك الرواية لأمة "إسرائيل" قبل الانقسام. و"ميخا" يرادف "يربعام"، الملك الذي اختلف مع الكهنة اللاويين الشماليين. أتي اللاوي من "بيت لحم يهوذا" أي "بيت لحم" الذي في "يهوذا" وهو الذي جاء منه الملك "داوُد". كان اللاويون هم طبقة الكهنة لكن هذا اللاوي رحل لأنه لا يجد عملاً. فتحت حكم "يهوذا" تقوضت سلطات اللاويين بواسطة كهنة "القدس". لذا فالرحلة إلى "إفرايم" ترمز للإتحاد بين "يربعام" وكهنة "شيبوه" ضد "سليمان" ولقد تلقى الكاهن مرتب قدره عشرة شيكل في السنة، أي شيكل لكل سبط غير لاوي في المملكة الشمالية.

إن السرقة، التي قام بها اللاوي وأفراد سبط "دان"، هي إستعارة عن الإنفصال بين كهنة "شيلوه" و"يربعام". وإن نقل المقام إلى "دان" يظهر لنا الانقسام الذي أصاب سلطات "إسرائيل" الدينية بعد الانفصال.

يقول "الكتاب المقدس" أن اللاوي هو "يَهُونَاثَانُ ابْنُ جَرْشُومَ بْنُ مَنَسَّى". وهذا هو الموضع الوحيد الذي يذكر اسم "يهوناثان" و"جرشوم". وإن الإدعاء بأن اللاوي تحدر من "منسى" وليس من "لاوي" لشيئ غريب ظاهريًا، إذ أن لكل من "لاوي" و"منسى" خط نسل مختلف من الأسباط المتحدرين منهما. ومع ذلك فالإسم مبني على أساس العلاقات الحدودية وليس على أساس شجرة النسب.

ويصف سفر "أخبار الأيام الأول" (6: 62 – 71)، تخصيص الأراضي لبني "جرشوم" أثناء غزو "كنعان":

"وَلِبَنِي جَرْشُومَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ. مِنْ سِبْطِ يَسَّاكَرَ وَمِنْ سِبْطِ أَشِيرَ وَمِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي وَمِنْ سِبْطِ مَنَسَّى فِي بَاشَانَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ مَدِينَةً. لِبَنِي مَرَارِي حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ مِنْ سِبْطِ رَأُوبَيْنَ وَمِنْ سِبْطِ جَادَ وَمِنْ سِبْطِ زَبُولُونَ بِالْقُرْعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَدِينَةً. فَأَعْطَى بَنُو إِسْرَائِيلَ اللاَّوِيِّينَ الْمُدُنَ وَمَسَارِحَهَا. وَأَعْطَوْا بِالْقُرْعَةِ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا وَمِنْ سِبْطِ بَنِي شِمْعُونَ وَمِنْ سِبْطِ بَنِي بَنْيَامِينَ هذِهِ الْمُدُنَ الَّتِي سَمَّوْهَا بِأَسْمَاءٍ. وَبَعْضُ عَشَائِرِ بَنِي قَهَاتَ كَانَتْ مُدُنُ تُخُمِهِمْ مِنْ سِبْطِ أَفْرَايِمَ. وَأَعْطَوْهُمْ مُدُنَ الْمَلْجَأِ: شَكِيمَ وَمَسَارِحَهَا فِي جَبَلِ أَفْرَايِمَ، وَجَازَرَ وَمَسَارِحَهَا، وَيَقْمَعَامَ وَمَسَارِحَهَا، وَبَيْتَ حُورُونَ وَمَسَارِحَهَا، وَأَيَّلُونَ وَمَسَارِحَهَا، وَجَتَّ رِمُّونَ وَمَسَارِحَهَا. وَمِنْ نِصْفِ سِبْطِ مَنَسَّى: عَانِيرَ وَمَسَارِحَهَا، وَبِلْعَامَ وَمَسَارِحَهَا، لِعَشِيرَةِ بَنِي قَهَاتَ

الْبَاقِينَ. لِبَنِي جَرْشُومَ مِنْ نِصْفِ سِبْطِ مَنَسَّى: جُولاَنُ فِي بَاشَانَ وَمَسَارِحَهَا، وَعَشْتَارُوثُ وَمَسَارِحَهَ. وَمِنْ سِبْطِ يَسَّاكَرَ قَادَشُ وَمَسَارِحَهَا، وَدَبَرَةُ وَمَسَارِحَهَا"

وهذه الفقرة تظهر وجود اعتقاد سائد بأن فرع "جريشوم" من "لاوي" على علاقة نسب بـ"منسى" وبأسباط الشمال. إن الفقرة التي تحدد مؤسسي كهانة "دان" لابد وأنها كتبت بعد أن اختفت ديانتا "إسرائيل" و"دان" من الوجود، لأن الفقرة تشير للإستعباد على أيدي الآشوريين أو البابليين.

أما الإسمان "يهوناثان" و"ميخا" فكلاهما على علاقة نسب بـ"شاول". فكان ابن "شاول" هو الملك "يهوناثان" الذي كان صديق مقرب من "داود". ولقد كانت خيانة الكاهن "يهوناثان" لـ"إفرايم" تعكس خيانة "يهوناثان" لأبيه "شاول" ومصادقته لـ"داود" ومساعدته على الهرب من الأب. أما "يهوناثان" ابن "شاول" فكان له حفيد يدعى "ميخا" لكن لم يذكر أي شيئ حوله. وكان أبو "ميخا" هو "مريبعل" (Meribbaal).

ويتضح لنا أن "ميخا" الشاولي و"ميخا" الإفرايمي و"يربعام" جميعهم نفس الشخص. فالإسم "يربعام" يعني شيئ مثل "إزدياد الناس". وهو شكل آخر من إسم "رحبعام" الذي خلف "سليمان" وعادى "يربعام" والذي كان يحمل نفس معنى إسمه. يدفعنا هذا للظن بأن الإسم لربما كان من الأسماء الملكية التي تضاف بعد تولي الحكم.

كان اسم أبو "يربعام" في القصة هو "ناباط" (Nebat) الذي كان من "إفرايم"، لكن كما شاهدنا من قبل في حالة اللاوي، كان من السهل إبدال الأسماء والأنساب عند الحاجة. لذا فمن الممكن أن يكون "يربعام" قد تحدر من "شاول" وكان اسمه "ميخا".

كانت قصة "ميخا" في شكلها الأصلي مجرد أمثولة تعرض درسًا دينيًا أو أخلاقيًا بطريقة بسيطة يمكن للقراء فهمها بسهولة. وكانت رسالتها هي أن الملكية شر مطلق وأن كهانة "شيلوه" هي طريق "إسرائيل" للإزدهار. ولقد كُتبت في عهد "يربعام" كهجوم على حُكمه، لكن الكاتب أخفى هوية الشخصية المحورية بأن جعل الأحداث تجري في العصر القبل ملكي.

بقيت القصة في شكلها المكتوب لقرون فضمها الكتبة إلى تاريخ "إسرائيل". لكنهم للأسف لم يكونوا في ذلك الزمان على معرفة بمعناها الأصلي فعاملوها على أنها سرد بسيط لمشاكل العصر القبل ملكي.

الأسطورة رقم 96
وقتل داود جالوتًا

الأسطورة: "وَذَهَبَ الْفِلِسْطِينِيُّ ذاهِبًا وَاقْتَرَبَ إِلَى دَاوُدَ الرَّجُلُ وَحَامِلُ التُّرْسِ أَمَامَهُ. وَلَمَّا نَظَرَ الْفِلِسْطِينِيُّ وَرَأَى دَاوُدَ اسْتَحْقَرَهُ لأَنَّهُ كَانَ غُلاَمًا وَأَشْقَرَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ. فَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ لِدَاوُدَ أَلَعَلِّي أَنَا كَلْبٌ حَتَّى أَنَّكَ تَأْتِي إِلَيَّ بِعِصِيٍّ؟. وَلَعَنَ الْفِلِسْطِينِيُّ دَاوُدَ بِآلِهَتِهِ. وَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ لِدَاوُدَ تَعَالَ إِلَيَّ فَأُعْطِيَ لَحْمَكَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَوُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. فَقَالَ دَاوُدُ لِلْفِلِسْطِينِيِّ أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ. هذَا الْيَوْمَ يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدِي، فَأَقْتُلُكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَكَ. وَأُعْطِي جُثَثَ جَيْشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ هذَا الْيَوْمَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الأَرْضِ، فَتَعْلَمُ كُلُّ الأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ لإِسْرَائِيلَ. وَتَعْلَمُ هذِهِ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفٍ وَلاَ بِرُمْحٍ يُخَلِّصُ الرَّبُّ، لأَنَّ الْحَرْبَ لِلرَّبِّ وَهُوَ يَدْفَعُكُمْ لِيَدِنَا. وَكَانَ لَمَّا قَامَ الْفِلِسْطِينِيُّ وَذَهَبَ وَتَقَدَّمَ لِلِقَاءِ دَاوُدَ أَنَّ دَاوُدَ أَسْرَعَ وَرَكَضَ نَحْوَ الصَّفِّ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ. وَمَدَّ دَاوُدُ يَدَهُ إِلَى الْكِنْفِ وَأَخَذَ مِنْهُ حَجَرًا وَرَمَاهُ بِالْمِقْلاَعِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ فِي جِبْهَتِهِ، فَارْتَزَّ الْحَجَرُ فِي جِبْهَتِهِ، وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. فَتَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّ بِالْمِقْلاَعِ وَالْحَجَرِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ وَقَتَلَهُ. وَلَمْ يَكُنْ سَيْفٌ بِيَدِ دَاوُدَ. فَرَكَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ مِنْ غِمْدِهِ وَقَتَلَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ. فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَّارَهُمْ قَدْ مَاتَ هَرَبُوا." (صموئيل 17: 41 – 51)

الواقع: كان قاتل "جالوت" الحقيقي هو "آلحانان" (Elhanan) الذي كان في رتبة "الثلاثون" وهم صفوة محاربو الملك "داود".

لقد أصبحت قصة الصبي "داود"، الذي انتصر بمقلاع وحجارة على المحارب الفلسطيني العملاق المدجج بالسلاح "جالوت"= (جُليات)، من أهم قصص "الكتاب المقدس". حتى أن اسم القتيل صار صفة للضخامة وصارت عبارة "داود وجالوت" كليشيه أدبي لفكرة عدم تكافؤ القوة. لكن للأسف لم يقتل "داود" "جالوتًا" إذ أنه كان مجرد طفل حين مات الأخير.

ووفقًا لترجمة نسخة الملك جيمس لسفر "صموئيل الثاني" (21: 19) يأتي التالي: "ثُمَّ كَانَتْ أَيْضًا حَرْبٌ فِي جُوبَ مَعَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. فَأَلْحَانَانُ بْنُ يَعْرِي أُرَجِيمَ الْبَيْتَلَحْمِيُّ[1] قَتَلَ أَخَا جِلْيَاتَ[2]

(1) أي من بيت لحم.
(2) أو جالوت.

الْجَتِّيِّ، وَكَانَتْ قَنَاةُ رُمْحِهِ كَنَوْلِ النَّسَّاجِينَ."

ومع أن الترجمة تقول أن "الحانان" (Elhanan) قتل أخو "جالوت" لم تكن كلمة "أخو" موجودة في النص العبراني. فالكلمات الأصلية تقول أن "الحانان" قتل "جالوت" وليس أخيه.

أضيفت هذه الكلمة لسببين. أحدهما أنه لم يكن من المرغوب وجود تضارب مع القصة الأولى التي تنسب هذا العمل البطولي لـ"داود" خاصة وأن "داود" على صلة وثيقة بالمسيح في التراث المسيحي (فمن مؤهلات المسيح، تحدره من نسل "داود" وفقًا لنبوءات الإنجيل). والآخر هو أن كاتب سفر "أخبار الأيام الأول" (20: 5) الذي جاء بعد كتابة سفر "صموئيل الثاني" (21: 17) بقرون، واجه نفس المعضلة فكتب: " فَقَتَلَ أَلْحَانَانُ بْنُ يَاعُورَ لَحْمِيَ أَخَا جُلْيَاتَ الْجَتِّيِّ. وَكَانَتْ قَنَاةُ رُمْحِهِ كَنَوْلِ النَّسَّاجِينَ"

وهناك بعض الأدلة على أن منقحي "الكتاب المقدس" المتأخرين منحوا "داود" الفضل عن عمل قام به "الحانان" في الأصل. فمترجمي النص إلى الإنجليزية اعتمدوا على نص سفر "أخبار الأيام الأول" 20: 5 التي أضافت كلمة "أخو" فأضافوها إلى سفر "صموئيل الثاني" 21: 19. وفي النسخة التي تنسب قتل "جالوت" لـ"داود" يقول "شاول" " وَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ دَاوُدَ خَارِجًا لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ قَالَ لأَبْنَيْرَ رَئِيسِ الْجَيْشِ ابْنُ مَنْ هذَا الْغُلاَمُ يَا أَبْنَيْرُ؟ فَقَالَ أَبْنَيْرُ وَحَيَاتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَسْتُ أَعْلَمُ " (صموئيل الأول 17: 55) وإذا كان "داود" هو القاتل فكان لابد لـ"شاول" أن يعرفه إذ كان معروفًا في البلاط.

"فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى شَاوُلَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ، فَأَحَبَّهُ جِدًّا وَكَانَ لَهُ حَامِلَ سِلاَحٍ. فَأَرْسَلَ شَاوُلُ إِلَى يَسَّى يَقُولُ لِيَقِفْ دَاوُدُ أَمَامِي لأَنَّهُ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ " (صموئيل الأول 16: 21 – 22)

إذا كان "داود" محل تقدير "شاول" كيف له ألا يعرف أنه هو من قتل "جالوت" للتو؟

بعد أن قتل "داود" "جالوتًا" يقول النص أنه أخذ رأسه إلى "القدس" لكن خلال حكم "شاول" كانت القدس في قبضة اليبوسيون (Jebusites) فلم تكن ضمن حكم "إسرائيل" حتى أصبح "داود" ملكا كما يقول "الكتاب المقدس". وهذا يعني أن "داود" كان ملكا عندما قُتل "جالوت".

وبالمصادفة كان "داود" ملكًا عندما قتل "الحانان" "جالوت". ولقد كان "الحانان" عضوًا في فرقة من صفوة المحاربين تدعى "الثلاثون". تحتفظ النسخة التي تنسب هذا العمل

لـ"الحانان" ببعض من الأسطورة الأصلية التي تروي قصص قتل بعض أعضاء "الثلاثون" لعدد من العمالقة. والمشوق أن افتتاحية هذه القصص تقول أن "داود" أصابه الوهن.

ومع أن الآيات التي تتناول انتصار "الحانان" على "جالوت" تقول أن والده كان يدعى "ياعور" (Jaareoregim) تقول قائمة أسماء "الثلاثون" أن اسمه "دودو" (Dodo). وبما أن الثلاثة الآخرين من قتلة العمالقة ينتمون لفرقة "الثلاثون" فمن الواضح أن المذكور هو نفس "الحانان". لربما أن العلاقة بين "الحانان" و"دودو" هي ما ألهم منقحي الكتاب المقدس بنسب العمل (أو قتل جالوت) لـ"داود". فالاسم "دود" يكتب بالعبرانية (DWDW) بينما يُكتب "داود" (DWD). والاثنان يكادان أن يتطابقا فهما مشتقان من الكلمة التي تعني "الحبيب". ولقد قيل أن الاثنان من "بيت لحم" مما يضيف سببًا آخر للخلط بينهما.

كما يوجد دليل آخر على استعارة النسخة المساندة لـ"داود" لأشياء من قصة "الحانان" وهذا الدليل موجود في السياق الذي وضع فيه اسم "جالوت". ففي قصة "داود" يظهر اسم "جالوت" مرتين، أما في باقيها فيدعى "الفلسطيني" أو "الفلسطيني الجتي". والطريقة التي يظهر بها اسمه تبعث شعورًا بأنها إضافة لاحقة على القصة. فعلى سبيل المثال يقول سفر "صموئيل الأول" (17: 23):

"وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ إِذَا بِرَجُلٍ مُبَارِزٍ اسْمُهُ جُلْيَاتُ الْفِلِسْطِينِيُّ مِنْ جَتَّ، صَاعِدٌ مِنْ صُفُوفِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ، فَسَمِعَ دَاوُدُ"

وبما أن النص قد صرح بإسم "جالوت" عندما شرح مدى قوته تبدو إضافة "اسمه جليات" إلى عبارة "اسْمُهُ جُلْيَاتُ الْفِلِسْطِينِيُّ مِنْ جَتَّ" مصطنعة.

والأصل أن قصة قتل "جالوت" هي قصه واحده من مجموعه من القصص التى تدور حول عدد من الأبطال الذين قتلوا عمالقة. ولقد كان "الحانان" مقاتلاً مهيبًا كما هو حال أفراد "الثلاثون" الذين قاموا بهذه البطولات. وإنه من المحتمل أن فرقة "الثلاثون" نفسها كانت مجرد جماعة أسطورية مثل فرسان الدائرة المستديرة. إلا أن "داود" أصبح أعظم بطل في بلاط "يهوذا" فكان أهل "يهوذا" في شوق لتصديق أن ملكهم المؤسس كان قادرًا على الإتيان بأعمال بطولية. لذا كان إحلاله محل واحد من قتلة العمالقة شيئ غير ضار بالمصداقية العامة.

الأسطورة رقم 97
وانتحر الملك شاول

الأسطورة: "وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عَلَى شَاوُلَ فَأَصَابَهُ الرُّمَاةُ رِجَالُ الْقِسِيِّ، فَانْجَرَحَ جِدًّا مِنَ الرُّمَاةِ. فَقَالَ شَاوُلُ لِحَامِلِ سِلاَحِهِ اسْتَلَّ سَيْفَكَ وَاطْعَنِّي بِهِ لِئَلاَّ يَأْتِيَ هؤُلاَءِ الْغُلْفُ وَيَطْعَنُونِي وَيُقَبِّحُونِي. فَلَمْ يَشَأْ حَامِلُ سِلاَحِهِ لأَنَّهُ خَافَ جِدًّا. فَأَخَذَ شَاوُلُ السَّيْفَ وَسَقَطَ عَلَيْهِ. وَلَمَّا رَأَى حَامِلُ سِلاَحِهِ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ شَاوُلُ، سَقَطَ هُوَ أَيْضًا عَلَى سَيْفِهِ وَمَاتَ مَعَهُ. فَمَاتَ شَاوُلُ وَبَنُوهُ الثَّلاَثَةُ وَحَامِلُ سِلاَحِهِ وَجَمِيعُ رِجَالِهِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَعًا." (صموئيل الأول 31: 3 – 6)

الواقع: يعرض لنا "الكتاب المقدس" قصتان مختلفتان لكيفية موت "شاول". والقصة القائلة بأنه قتل نفسه كانت قصة رسمية قدمها البلاط الملكي في عصر "داود". ولقد وضعت لتخبئ القصة الحقيقية التي كانت ستسبب إحراجًا الملك "داود".

لم يطري "الكتاب المقدس" على "شاول" كثيرًا. فلقد صوره في شكل المشكك في "داود" من غير حق. إذ كان يخشى أن يقتله الأخير. وكان من عادة المعلقين على أفعاله أن يجعلوا منه شخص مصاب بإكتئاب مزمن.

والحقيقة أنه كان من حق "شاول" أن يخشى عدوه الشاب. فلقد شن "داود" حربًا عليه مستعينًا بالفلسطينيين، وقبل موت "شاول" بخمسة سنوات قاد سبط "يهوذا" وحلفائه لإقامة مملكة نصب نفسه فيها ملكا على "يهوذا". ولقد كان "دواد" في سعي دائم للإستيلاء على السلطة.

في قصة توراتية معروفة حبلت امرأة تدعى "بثشبع" (Bathsheba) من "داود"، فرتب لقتل زوجها كي يداري على فعلته. وفي مناسبة أخرى أبدى "داود" دهشته لإعدام ضباط جيشه لعدد من أعداء التاج الذين كان يكن لهم حبًا عظيمًا.

وبالرغم من أن "الكتاب المقدس" يقول أن "شاول" قتل نفسه بعد هزيمته إلا أنه احتفظ بقصة أخرى عن أحداث موته الحقيقية. وفي تلك القصة الأخرى يقال أن غريبًا ذهب إلى بلاط "داود" وأخبره بأن "شاول" مات. وحسب ما قال الغريب، كان "شاول" محاصرًا وكان ينحني على رمحه عندما رآه الغريب. فسأله "شاول" أن يقتله لينقذه من الشقاء. ففعل كما

أمره ثم أخذ تاجه وسواره إلى معسكر "داود". وبعد أن استمع إليه "داود" أمر بقتله لأنه قتل الملك المكلف من الرب.

أما في القصة الثانية فعندما كان "شاول" منهمكًا في قتال الفلسطينيين، كان "داود" في مكان آخر يحارب "العمالقة" (Amalekites). ولقد كان الغريب من "العمالقة". ومع أن المعركتين تدوران في مكانين مختلفين إلا أن أحد هؤلاء "العمالقة" يظهر بشكل غامض إلى جانب "شاول" المستند إلى رمحه وهو جريح فيقتله. ثم يذهب بتاج "شاول" إلى "داود" وليس إلى ابن "شاول" الذى هو وريثه الشرعي. أما "دواد"، الذي يدعي بأنه لم يكن على دراية بالخبر، فإنه يأمر بإعدام "العملاق" قبل أن يستطيع إخباره بالأمر.

هذا التصوير الثاني الأقل نبالة لموت "شاول" عن قصة انتحاره الأولى يظهر لنا كمحاولة للتغطية على حقيقة أن "شاول" قتل بأيدي جنود الأعداء. في حين تظهر لنا القصة الثانية أنه لربما كان هذا "العملاق" أحد عملاء "داود" المكلفين بقتل "شاول".

دخل "داود" في حربه مع "العمالقة" قبل قتل "العملاق" لـ"شاول" بالضبط. وعلى الفور قدم "العملاق" تاجه إليه وقد كان "داود" من المطالبين بخلافة "داود" (بالرغم من أن "صموئيل" كان قد نصَّب خليفة في السر) ثم أن "دواد" قتل الرسول قبل أن يبلغه برسالته.

تلك الدلائل تخبرنا بأن "شاول" لم يقتل نفسه طوعًا وإنما قتله "العملاق" نزولاً على أوامر "داود". وفيما حاول كتبة "داو" إخفاء الحقيقة مدعين أن "شاول" مات موتة نبيلة حافظ شخص مطلع من داخل بلاط "داود" أو من خارجه على الحقيقة في الرواية الثانية. أما المصدر المحتمل لهذه القصة فهو "أبنير" (Abner) صديق "شاول" وحارسه الشخصي الذي عارض في البداية خلافة "داود" له ثم انضم إليه أو إلى "يوآب" (Joab) الذي كان يعمل قاتلاً أجيرًا عند "داود" والذي عارض خلافة "سليمان" لـ"داود".

الأسطورة رقم 98
وحارب أهل يهوذا أهل شاول في جعبون

الأسطورة: "وَخَرَجَ أَبْنَيْرُ بْنُ نَيْرٍ وَعَبِيدُ إِيشْبُوشَثَ بْنِ شَاوُلَ مِنْ مَحَنَايِمَ إِلَى جِبْعُونَ. وَخَرَجَ يُوآبُ بْنُ صَرُويَةَ وَعَبِيدُ دَاوُدَ، فَالْتَقَوْا جَمِيعًا عَلَى بِرْكَةِ جِبْعُونَ، وَجَلَسُوا هؤُلاَءِ عَلَى الْبِرْكَةِ مِنْ هُنَا وَهؤُلاَءِ عَلَى الْبِرْكَةِ مِنْ هُنَاكَ. فَقَالَ أَبْنَيْرُ لِيُوآبَ لِيَقُمِ الْغِلْمَانُ وَيَتَكَافَحُوا أَمَامَنَا. فَقَالَ يُوآبُ لِيَقُومُوا. فَقَامُوا وَعَبَرُوا بِالْعَدَدِ، اثْنَا عَشَرَ لأَجْلِ بَنْيَامِينَ وَإِيشْبُوشَثَ بْنِ شَاوُلَ، وَاثْنَا عَشَرَ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ. وَأَمْسَكَ كُلُّ وَاحِدٍ بِرَأْسِ صَاحِبِهِ وَضَرَبَ سَيْفَهُ فِي جَنْبِ صَاحِبِهِ وَسَقَطُوا جَمِيعًا. فَدُعِيَ ذلِكَ الْمَوْضِعُ حِلْقَثَ هَصُّورِيمَ، الَّتِي هِيَ فِي جِبْعُونَ. وَكَانَ الْقِتَالُ شَدِيدًا جِدًّا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَانْكَسَرَ أَبْنَيْرُ وَرِجَالُ إِسْرَائِيلَ أَمَامَ عَبِيدِ دَاوُدَ... وَرَجَعَ يُوآبُ مِنْ وَرَاءِ أَبْنَيْرَ وَجَمَعَ كُلَّ الشَّعْبِ. وَفُقِدَ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً وَعَسَائِيلُ. وَضَرَبَ عَبِيدُ دَاوُدَ مِنْ بَنْيَامِينَ وَمِنْ رِجَالِ أَبْنَيْرَ، فَمَاتَ ثَلاَثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ رَجُلاً" (صموئيل الثاني 2: 12 – 17، 30 – 31)

الواقع: تدور هذه القصة في الأصل حول أسطورة من أساطير التقاويم الشمسية التي تتناول الخلافات بين إله الديانة الشمسية المصرية والديانة القمرية الكنعانية في "جعبون".

تتناول الأسطورة قيام حرب في "جعبون" بين قوات الملك "داود" وقوات "شاول" بعد مقتل "شاول" سعيًا للاستيلاء على حكم "إسرائيل". وفيها نجد العديد من الدلائل عن وجود أصول أسطورية للصراع.

كانت "جعبون" كما نذكر نفس المكان الذي أمر فيه "يشوع" الشمس والقمر بالاستدامة. ولكن كما استنتجنا من تحليل الأسطورة 86 كانت الأوامر موجهة إلى آلهة الشمس والقمر وليست إلى الأجرام السماوية. ولقد رأينا كيف أن يشوع توجه بأوامره إلى هذه الآلهة لأنها كانت ممثلة للقوى الأجنبية المسيطرة في "جعبون".

تبدأ القصة الحالية بحرب دارت بين مجموعة مكونة من اثني عشر محارب، جميعهم ماتوا في الحرب. ثم توصف مطاردة تحدث بعد الحرب. وبعد المواجهة الثانية يقال إن "داود" فقدَ "تسعة عشر" رجلاً فيما قتل "ثلاثمئة وستون رجلاً" من معسكر الأعداء.

والأرقام 19 و360 لها دلالات خاصة في التقاويم الفلكية، كما هو الحال في مواجهة الاثني عشر للاثني عشر التي ترمز لحرب الليل والنهار. ويرمز الرقم 19 للتقويم القمري بينما

يرمز رقم 360 للتقويم الشمسي. وظهور تلك الأرقام في موقع كانت فيه الديانات الشمسية والقمرية موجودة ليس من قبيل المصادفة.

لقد ظهرت في المجتمعات التي اتبعت التقويم القمري كـ"الإغريق" و"البابليين" و"العبرانيين" مشكلة في تتبع دورة الزراعة، فالاثنا عشر شهراً من الشهور القمرية كان يستخدم شهوراً مكونة من 29 و30 يومًا، وكانت سنته الكاملة مكونة من 354 يومًا فقط. مما كان يدفع بالتقويم لفقدان تزامنه مع الدورة الزراعية السنوية الصحيحة، إلا في حالة إضافة شهر زائد من وقت لآخر يسمح للتقويم القمري بترتيب ممارساته الزراعية، لذا أُقيم نظام يسمح بإضافة شهر للسنة، هذا النظام أقيم عام 2400 ق. م في "سومر".

وفي عصرٍ ما، ابتدع البابليون نظام الـ 19 سنة الشمسية– القمرية المعروف باسم "السنة الشمس– قمرية". وفيه أضيف شهر سابع كل 19 عامًا ليحافظ على توافق السنة الشمسية والقمرية، فعلى سبيل المثال أضيف شهر خلال الفترة المتأخرة من العصر الفارسي إلى الأعوام 3و 6و 8و 11و 14و 17و 19.

وفي عام 432 ق. م، ابتكر رياضي يدعى "ميتون" (Meton) نظامًا مشابهًا لـ"الإغريق" حيث احتفظ بكثير من الدورة البابلية.

كان لدى المصريين تقويمٌ مماثل تكوّن من دورة مكونة من 25 عامًا، وعمل هذا التقويم بالتوازي مع التقويم الشمسي العادي، وكلُّ 25 عامًا كانت رأس السنة تتلاقى في التقويمين.

من جهة أخرى تكون التقويم الشمسي المصري من 360 يومًا مقسماً لاثني عشر شهرًا مكونًا من 30 يومًا أضيفت لهم خمسة أيام في نهاية كل سنة. ولقد قسم المصريون ساعات اليوم لاثني عشر جزءاً آخر.

وفيما استخدم البابليون التقويم القمري المكون من 354 يومًا ودورة من 19 سنة، استخدم المصريون التقويم الشمسي المكون من 360 يومًا بالإضافة للتقويم القمري ذي الدورة المقسمة إلى 25 عامًا. أظهر الخلاف بين التقويم ذي الـ19 عامًا والتقويم ذي 360 يومًا وجود صراع بين الجانب المصري للتقويم الشمسي والجانب البابلي للتقويم القمري.

وبحسب ما جاء في "الكتاب المقدس"، تصارعت مجموعتان مؤلفتان من اثني عشر رجلاً في المعركة الأولى، وفيها مات الجميع على الجانبين. والمعروف أن موضوع "قتال الاثني عشر

للاثني عشر" هو رمز للحرب بين قوى النهار (العبادات الشمسية) وقوى الليل (العبادات القمرية). وحيث أنهم لم يتقاتلوا في النهار (أي الشمس) أو في الليل (أي القمر) جاءت النتيجة بالتعادل. لكن في المواجهة التي تبعتها، التي فقد فيها "داود" تسعة عشر رجلاً، يظهر لنا اتصاله بالتقويم القمري. وأيضًا فقدان جيش "إشبعل" (Eshbaal) لـ360 رجلاً يقيم الصلة بينهم وبين التقويم الشمسي. وإذ ينتصر "داود" في الحرب تصبح القصة قصة لإنتصار العبادة القمرية على الشمسية في "جعبون".

أغلب الظن هو أن هذه القصة خرجت من سفر "ياشر" الذي أضافه المنقحون التوراتيون المتأخرون إلى تاريخ "الكتاب المقدس". ولا يمكننا بدقة تحديد ما إن كان المنقحون التالون على بينة من حقيقة ما تعنيه هذه القصة. لكن إلحاقها بـ"داود" و"شاول" قد يرجح أن "إسرائيل" اتبعت التقويم المصري لفترة من الزمن بسبب صلاتها السابقة بـ"مصر"، لكنها بعد أن صارت تحت حكم "داود" استبدلت هذا التقويم بالتقويم القمري المحلي، مثيرة بذلك خلافات بين الكهانات المختلفة التابعة لتقاويم مختلفة حول مواعيد بعض الأعياد الدينية.

أو ببساطة، من الممكن أن القصة التي تناولت الصراع بين العبادات المختلفة لم يكن لها أي علاقة بـ"داود" و"شاول"، وإنما أضيفت لجهالة المنقحين التوراتيين بمعناها المبطن، فألحقت بقصة "داود" لتعزيز صورته العامة كقائد فذ.

الأسطورة رقم 99

ولم يفرض سليمان السخرة في إسرائيل

الأسطورة: "جَمِيعُ الشَّعْبِ الْبَاقِينَ مِنَ الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَبْنَاؤُهُمُ الَّذِينَ بَقُوا بَعْدَهُمْ فِي الأَرْضِ، الَّذِينَ لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يُحَرِّمُوهُمْ، جَعَلَ عَلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ تَسْخِيرَ عَبِيدٍ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. " (ملوك الأول 9: 20 – 22)

الواقع: إن إفراط "سليمان" في تسخير الإسرائيليين لخدمته هو ما دفع بمملكتي "إسرائيل" و"يهوذا" للانفصال.

أنشأ الملك "داود" العديد من مشروعات البناء الضخمة خلال حكمه، فبالإضافة إلى هيكله العظيم بنى "بَيْت الرَّبِّ وَبَيْته وَالْقَلْعَةِ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ وَحَاصُورَ وَمَجِدُّو وَجَازَرَ". وهنا نتساءل كيف أنفق على هذا؟ الإجابة هي باستخدام السخرة والضرائب الثقيلة.

حرص كتبة "يهوذا" على الحفاظ على الصورة الجميلة لبطلهم الحبيب، فادعوا أن غير الإسرائيليين هم من عانوا من العبودية "الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ". وبالرغم من هذا التأكيد تظهر لنا القصة بما لا يدع مجالاً للشك في أن بني "إسرائيل" عانوا من أعمال السخرة. ففي فقرة يقال لنا إن ما يزيد على الثلاثين ألفًا أجبروا على العمل في السخرة.

"وَسَخَّرَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتِ السُّخَرُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ رَجُل. فَأَرْسَلَهُمْ إِلَى لُبْنَانَ عَشَرَةَ آلاَفٍ فِي الشَّهْرِ بِالنَّوْبَةِ. يَكُونُونَ شَهْرًا فِي لُبْنَانَ وَشَهْرَيْنِ فِي بُيُوتِهِمْ. وَكَانَ أَدُونِيرَامُ عَلَى التَّسْخِيرِ. وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَحْمِلُونَ أَحْمَالاً، وَثَمَانُونَ أَلْفًا يَقْطَعُونَ فِي الْجَبَلِ، مَا عَدَا رُؤَسَاءَ الْوُكَلاَءِ لِسُلَيْمَانَ الَّذِينَ عَلَى الْعَمَلِ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَثَلاَثَ مِئَةٍ، الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ" (ملوك الأول 5: 13 – 16)

وفيما بعد، عندما احتدمت المواجهة بين "إسرائيل" و"يهوذا" حول خلافة "سليمان"، طرح الإسرائيليون أن يقبلوا بحكم ابن "سليمان" وفق شروط معينة:

"إِنَّ أَبَاكَ قَسَّى نِيرَنَا، وَأَمَّا أَنْتَ فَخَفِّفِ الآنَ مِنْ عُبُودِيَّةِ أَبِيكَ الْقَاسِيَةِ، وَمِنْ نِيرِهِ الثَّقِيلِ الَّذِي جَعَلَهُ عَلَيْنَا، فَنَخْدِمَكَ" (ملوك الأول 12: 4)

إلا أن "رحبعام" رد قائلاً: "أَبِي ثَقَّلَ نِيرَكُمْ وَأَنَا أَزِيدُ عَلَى نِيرِكُمْ. أَبِي أَدَّبَكُمْ بِالسِّيَاطِ وَأَنَا أُؤَدِّبُكُمْ بِالْعَقَارِبِ" (ملوك الأول 12: 14)

وبالطبع لم يجد هذا العرض إقبالاً "فَلَمَّا رَأَى كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَسْمَعْ لَهُمْ، رَدَّ الشَّعْبُ جَوَابًا عَلَى الْمَلِكِ قَائِلِينَ أَيُّ قِسْمٍ لَنَا فِي دَاوُدَ؟ وَلاَ نَصِيبَ لَنَا فِي ابْنِ يَسَّى! إِلَى خِيَامِكَ يَا إِسْرَائِيلُ. الآنَ انْظُرْ إِلَى بَيْتِكَ يَا دَاوُدُ. وَذَهَبَ إِسْرَائِيلُ إِلَى خِيَامِهِمْ." (ملوك الأول 12: 16)

وبعد هذه المواجهة انفصلت "إسرائيل" عن "يهوذا" وأصبح "يربعام" ملك "إسرائيل" وأصبح "رحبعام" ملك "يهوذا". لذا كان فرض "سليمان" للسخرة على بني "إسرائيل" السبب وراء الانفصال.

الأسطورة رقم 100
وتنبأ دانيآل بالمستقبل

الأسطورة: "أَمَّا هؤُلاَءِ الْفِتْيَانُ الأَرْبَعَةُ فَأَعْطَاهُمُ اللهُ مَعْرِفَةً وَعَقْلاً فِي كُلِّ كِتَابَةٍ وَحِكْمَةٍ، وَكَانَ دَانِيآلُ فَهِيمًا بِكُلِّ الرُّؤَى وَالأَحْلاَمِ " (دانيآل 1: 17)

الواقع: إن التوقعات المنسوبة إلى "دانيآل" (Daniel) كتبت بعد وقوع أحداثها.

تنتمي قصص سفر "دانيآل" إلى صنفين من القصص، صنف يحكي عن وجود العبرانيين في الأسر البابلي وكيف أنهم قادوا معارضة شرسة في بلاد قوية بفضل إيمانهم بالرب. والآخر يصف ويفسر سلسلة من الأحلام والرؤى حول مخلوقات عجيبة وأحداث غريبة.

وفي الصنف الأول نشاهد قصصاً حول "دانيآل" داخل عرين الأسد وحول "شردخ" (Shadrack) و"ميشخ" (Meshach) و"عبدنعو" (Abednego) داخل آتون. وفي كل قصة كانت الشخصية المحورية تعارض أوامر الملك "نبوخذنصر" (Nebuchadnezzar) التي تعارض أوامر الرب. فيحكم على هذا المؤمن بالإعدام إلا أن ملاك الرب ينقذه. وعندما يخرج المؤمن من دون سوء يبجله الملك ويوليه منصب مهم في مملكته.

أما "دانيآل" فأنعم عليه الرب بمقدرة على تفسير الرؤى والأحلام، فكان قادرًا على سبر أسرار الغيب. وفي عام 587 ق. م. اقتيد إلى "بابل" بعد أن هزم "نبوخذنصر" مملكة "يهوذا" وابعد العبرانيين عن "كنعان". لكن "دانيآل" وثلاثة من رفاقه اختيروا ضمن موظفي الملك ونالوا تعليمهم في المعهد الملكي. ومثل "يوسف" قادته قدراته الخارقة لتولى أعلى المناصب في المملكة.

يحكي لنا "دانيآل" سلسلة من الرؤى والأحلام العجيبة، التي ينبئنا تفسيرها بالأحداث السياسية التي ستجري في المستقبل حتى نهاية العالم. وذات مرة يحلم "نبوخذنصر" بمخلوق غريب مرعب، كان له رأس من ذهب، وصدر وأذرع من فضة، وبطن وساقان من نحاس، وأرجل من حديد، وأقدام من حديد وفخار. ويُقذَف هذا المخلوق بحصاة في قدمه فينهار مفتتًا وتهب ريح تنثر هذا الفتات. وتصبح الحصاة التي دمرت التمثال جبلاً عظيمًا يملأ الأرض.

يشرح "دانيآل" الحلم لـ"نبوخذنصر" فيقول أن "نبوخذنصر" هو الرأس الذهبي والحاكم

القوي العظيم للمملكة. لكن بعد نهاية حكمه ستقوم مملكة ضعيفة (التي رمز لها الجزء المصنوع من الفضة) وتليها مملكة أخرى (من النحاس) ستحكم العالم. ثم رابعة ستكون في قوة الحديد لكنها ستنقسم إلى جزئين. بعدها سيقيم الرب مملكة ستستمر إلى الأبد.

ومع تفسير الأحلام الأخرى يبدأ المستقبل في التكشف شيئًا فشيئًا. فيبدو التطابق بين النبوءات والوقائع التاريخية. إذ تحل إمبراطوريات الفرس والميديون محل إمبراطورية "نبوخذنصر" الكلدانية. ومنهم تخرج فرق عدة. لقد استطاع المؤرخون الباحثون في هذه النبوءات تتبع خطًا محددًا من الأحداث السياسية التي انتهت خلال حكم "أنطيخوس ايفانيس" (Antiochus Epiphanes) (175ق. م. – 164ق. م.) السلوقي الإغريقي الذي اضطهد اليهود. ولقد أدى طغيانه إلى قيام الثورة "المكابية" (Maccabeean) التي حررت اليهود من الحكم الإغريقي.

هذه الدقة في التنبوء لشيئ خارق بالنسبة لشخص عاش عام 587 ق. م. لكن هناك قصور رهيب في هذه القصة. فالتتابع المذكور في سفر "دانيآل" للملوك الذين شهدهم "دانيآل" أثناء حياته امتلاءت بالأخطاء.

ويذكر لنا "دانيآل" تتابع الملوك البابليون هكذا: 1 – نبوخذنصر، ثم 2 – بيلشاصر (Belshazzar)، ابن نبوخذنصر، ثم 3 – داريوس الميدي (Darius the Mede)، ثم 4 – كورش (Cyrus). وفي مكان آخر من "الكتاب المقدس" يقال أن "داريوس الميدي" كان ابن "أحشويروش" (Ahsauerus) أي "زيريكسيس" (Xerxes).

لكن التسلسل السليم هو الآتي: 1 – نبوخذنصر، ثم 2 – ايفيل–مردوخ (Evil-Merodach)، ثم 3 – نرجل شراصر (Neriglassar)، ثم 4 – نبونيد (Nabonidus)، ثم 5 – بيلشاصر، ابن نبونيد، ثم 6 – كورش.

لم يكن "بلشاصر" ابن "نبوخذنصر" وإنما ابن الملك "نبونيد". وفي العديد من نبوءات "دانيآل" التي نسبها إلى "نبوخذنصر" كانت تتعلق في الحقيقة بـ"نبونيد". لذا يبدو أن "دانيآل" الحكيم خلط بين "نبوخنصر" و"نبونيد" الذي كان ثالث ملك يخلفه.

لم يذكر التاريخ أي "داريوس" ميدي فالملك البابلي الذي حمل هذا الاسم كان من الفرس اللاحقين على عصر "كورش" الفارسي الذي هزم "نبونيد". وكان هذا الـ"داريوس" أب لـ"أحشويروش" وليس ابنه.

يبدو لنا أن "دانيآل" كان مطلعًا على المستقبل أكثر من اطلاعه على حاضره. هذا بالطبع يدفعنا للتوصل إلى أن توقعاته كُتبت في نفس زمن وقوعها، فالحاضر دائمًا أكثر جلاء من الماضي.

حيث أن "أنطيخوس ابيفانيس" كان آخر الملوك المذكورين في تلك النبوءات يمكننا القول بكل ارتياح أن المؤلف كتب هذا السفر حوالي عام 164 ق. م. وكسند على صحة هذا التاريخ يمكننا قراءة ما أضافه الكاتب كنبوءة حول موت الملك "أنطيخوس" الذي قال فيها بأنه سيقتل في حرب ستدور رحاها في مكان ما بين "القدس" والبحر الأبيض المتوسط (دانيآل 11: 40 – 45) لكن ما حدث هو أن "أنطيخوس" في أقصى الغرب على أرض "فارس"، مما يعني أن المؤلف كان على دراية بشخصية "أنطيخوس" لكنه لم يكن يعرف شيئًا عن موته أثناء تأليفه لنبوءات "دانيآل".

الأسطورة رقم 101
وأنقذت أستير يهود بلاد فارس

الأسطورة: "فَجَاءَ الْمَلِكُ وَهَامَانُ لِيَشْرَبَا عِنْدَ أَسْتِيرَ الْمَلِكَةِ. فَقَالَ الْمَلِكُ لأَسْتِيرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَيْضًا عِنْدَ شُرْبِ الْخَمْرِ مَا هُوَ سُؤْلُكِ يَا أَسْتِيرُ الْمَلِكَةُ فَيُعْطَى لَكِ؟ وَمَا هِيَ طِلْبَتُكِ؟ وَلَوْ إِلَى نِصْفِ الْمَمْلَكَةِ تُقْضَى. فَأَجَابَتْ أَسْتِيرُ الْمَلِكَةُ وَقَالَتْ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ، فَلْتُعْطَ لِي نَفْسِي بِسُؤْلِي، وَشَعْبِي بِطِلْبَتِي. لأَنَّنَا قَدْ بِعْنَا أَنَا وَشَعْبِي لِلْهَلاَكِ وَالْقَتْلِ وَالإِبَادَةِ. وَلَوْ بِعْنَا عَبِيدًا وَإِمَاءً لَكُنْتُ سَكَتُّ، مَعَ أَنَّ الْعَدُوَّ لاَ يُعَوِّضُ عَنْ خَسَارَةِ الْمَلِكِ. فَتَكَلَّمَ الْمَلِكُ أَحْشَوِيرُوشُ وَقَالَ لأَسْتِيرَ الْمَلِكَةِ مَنْ هُوَ؟ وَأَيْنَ هُوَ هذَا الَّذِي يَتَجَاسَرُ بِقَلْبِهِ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ هكَذَا؟ فَقَالَتْ أَسْتِيرُ هُوَ رَجُلٌ خَصْمٌ وَعَدُوٌّ، هذَا هَامَانُ الرَّدِيءُ. فَارْتَاعَ هَامَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ. فَقَامَ الْمَلِكُ بِغَيْظِهِ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ إِلَى جَنَّةِ الْقَصْرِ. وَوَقَفَ هَامَانُ لِيَتَوَسَّلَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى أَسْتِيرَ الْمَلِكَةِ، لأَنَّهُ رَأَى أَنَّ الشَّرَّ قَدْ أُعِدَّ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ. وَلَمَّا رَجَعَ الْمَلِكُ مِنْ جَنَّةِ الْقَصْرِ إِلَى بَيْتِ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَهَامَانُ مُتَوَاقِعٌ عَلَى السَّرِيرِ الَّذِي كَانَتْ أَسْتِيرُ عَلَيْهِ، قَالَ الْمَلِكُ هَلْ أَيْضًا يَكْبِسُ الْمَلِكَةَ مَعِي فِي الْبَيْتِ؟ وَلَمَّا خَرَجَتِ الْكَلِمَةُ مِنْ فَمِ الْمَلِكِ غَطَّوْا وَجْهَ هَامَانَ. فَقَالَ حَرْبُونَا، وَاحِدٌ مِنَ الْخِصْيَانِ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ هُوَذَا الْخَشَبَةُ أَيْضًا الَّتِي عَمِلَهَا هَامَانُ لِمُرْدَخَايَ

الَّذي تَكَلَّمَ بِالْخَيْرِ نَحْوَ الْمَلِكِ قَائِمَةٌ في بَيْتِ هَامَانَ، ارْتِفَاعُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا. فَقَالَ الْمَلِكُ اصْلِبُوهُ عَلَيْهَا. فَصَلَبُوا هَامَانَ عَلَى الْخَشَبَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمُرْدَخَايَ. ثُمَّ سَكَنَ غَضَبُ الْمَلِكِ " (أستير 7: 1 – 10)

الواقع: لم يكن لقصة "أستير" (Esther) أي علاقة باليهود الموجودين في "فارس". فهي تدور حول خلاف قديم بين البابليون والعيلاميين (Elamites). إذ أن عيد "فوريم" (Purim) كان في الأصل عيد بابلي نقله العبرانيون العائدون إلى "يهوذا" معهم بعد الأسر البابلي.

يتميز سفر "أستير" عن باقي أسفار "الكتاب المقدس" بأنه السفر الوحيد الذي لم يذكر فيه اسم الرب. وكان ضمه لذخيرة "الكتاب المقدس" مثار جدل لدى اليهود والمسيحيين على حد سواء. يبدو على السطح أن المغزى من هذا السفر هو تفسير سبب احتفال اليهود بعيد "فوريم". لكن الواقع أنها خليط من قصص حول منازعات قديمة.

تجري أحداث القصة في "فارس" أثناء حكم الملك " أحشويروش" (أي "زيريكسيس" 486ق. م. – 465ق. م.) وفيها تبرز بعض التناقضات التاريخية. فعلى سبيل المثال، يقال أن "مردخاي" (Mordecai) ذهب إلى "فارس" أثناء الرحيل عن "بابل" عام 587ق. م. (أستير 2: 6) كمل يُلمح إلى أن "أستير" جاءت معه. لكن بهذه الصورة سيكون الكبر قد بلغ منهما مبلغه عند تولي "أحشويروش" الحكم لدرجة لا تسمح لهم بالالتحاق ببلاطه.

والقصة باختصار تقول أن الملكة "وشتي" (Veshti) زوجة "أحشويروش" عصت أمرًا من أوامر زوجها أمام بعض الضيوف. كانت نتيجة ذلك أن ثارت فضيحة عظيمة وأمر الملك بأن يبدأ البحث عن عروس جديدة له مخافة أن تقتنع نساء "فارس" بأن من حق المرأة تجاهل رغبات زوجها. انتهى البحث إلى اختيار "أستير" التي اخفت هويتها اليهودية. وكان الوصي عليها هو عمها "مردخاي". وكان الشرير في هذه القصة أحد المسؤولين في البلاط الملكي وكان يدعى "هامان" (Haman).

رفض "مردخاي" الركوع لـ"هامان" فثار غضب الوزير. وخلال عدد من الأحداث عانى "هامان" من إهانات "مردخاي" وأسم على الانتقام منه. لذا خطط لخداع الملك كي يأمر بتدمير الشعب اليهودي وإعدام "مردخاي".

اعترفت "أستير" بحقيقتها إلى الملك معرضة بذلك نفسها للخطر. لكن القرارات الرسمية في "فارس" كانت لا رجعة فيها، إلا أن الملك سمح لليهود بالدفاع عن أنفسهم ضد أي هجوم وسمح لهم بالقضاء على عائلات المعتدين. فتراجعت القوى المعادية واستطاع اليهود

قتل عشرات الآلاف من أعدائهم. ثم شُنق "هامان" على المشنقة التي بنيت لـ"مردخاي".

تأتي قصة "استير" من عدة مصادر، في إحداها كان اسم البطلة "هدسه" (Hadassah) بدلاً من "أستير". ولقد شدد الكتبه على أن الإسمان يطلقان على نفس المرأة (انظر أستير 2: 7)

أما قلب القصة فيتناول حربًا أسطورية بين آلهة "بلاد ما بين النهرين". فالإسمان "مردخاي" و"أستير" يوازيان إثنان من الآلهة البابلية هما "مردوخ" و"عشتار". أما الشرير "هامان" فيوازي الإله الأكبر لمدينة "عيلام" (Elam) المدعو "هومان" (Humman) أو "خومبان" (Khumban)، أما الإسم "وشتي" فيوازي إسم لإلهة عيلامية تعرف بإسم "موشتي" (Mushti) أو "شوشموشتي" (Shushmushti).

لعدة قرون ظل البابليون والعيلاميون على عداء تام. ثم أخضعهما الفرس لسلطانهم. وتجري أحداث القصة في مدينة "سوسا" (Susa) مشتى الملك الفارسي التي كانت عاصمة لـ"عيلام" فيما سبق.

حوالي عام 1159 ق. م. غزا ملك عيلامي يدعى "كوتير نهونته" (Kutir-Nahhunte) الحدود البابلية واستولى على تمثال لـ"مردوخ" من مدينة "إيساغيلا" (E-sagila) وذهب به إلى "عيلام". ومع أن الحيثيون والآشوريون فعلوا أفعالاً مشابهة لهذه فيما سبق، ساءت هذه الواقعي البابليون بالذات. وتقول إحدى النصوص أن الإثم كان "أعظم من كل من سبق، فذنبه يتعدى ذنوبهم" وبعد ذلك بعدة قرون استعاد البابليون تمثالهم.

يعكس الصراع بين "مردخاي" و"هامان" الإهانة القديمة وتداركها اللاحق. فـ"هامان" هو الإله العيلامي الذي حاول القبض على "مردخاي" المرادف للإله البابلي. لكن الخطة فشلت وشُنق "هامان" إذ انتصرت "بابل" على الرب العيلامي.

وضمن نسيج قصة "مردوخ" و"هامان" نجد الفكرة الثانية التي تتناول الحرب بين الملك "شاول" و"أجاج" (Agag) ملك العمالقة، أحد أعداء "إسرائيل" المعتادين. وفي تلك المعركة، يأمر الرب "شاول" أن يبيد "العمالقة" عن آخرهم. إلا أنه يعفو عن ملكهم "أجاج". وبهذا العمل فقد "شاول" شرعيته في عيون أهل "يهوذا" فكانت هذه بداية انهياره وانهيار بيته. أما "صموئيل" الذي " نَدِمَ لأَنَّهُ مَلَّكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ " فجاء بـ"أجاج" وقطعه أشلاء.

وتقدم "أستير" "مردخاي" بصفته من "بنيامين" وهو نفس سبط "شاول"، ولقد تشارك

الاثنان في أصول النسب. فكان "شاول" ابن "قيس" (Kish) وكان أول اسم في قائمة نسب "مردخاي" هو "قيس". كما وصف "هامان" بأنه "الأجاجي، عدو اليهود".

وكموتيفة أدبية يتعارض الاسمان "قيس" و"أجاجيّ". فلقد عفى "شاول" عن "أجاج" بعد أن هزم العدو في حين تجاهل "مردخاي" نتيجة تحفيز "أستير" توسلات الـ"أجاجيّ" وسارع بإعدامه. و لم يكرر الإثم الأول. وهذه المرة اتبع البنياميني أوامر الرب. ودمر أعداءه بلا رحمة.

وحيث أن قصة "استير" هي قصة خيالية، فلا يمكن لها أن تكون تفسيرًا مقنعًا للاحتفال بعيد "فوريم"، أما اللفظ "فريم" فهو مشتق من الكلمة الفارسية التي تعني "قسم" وفي القصة وضع "هامان" بعض التقسيمات لتحديد الأيام التي يجب أن يقتل اليهود فيها. وليس لهذا العيد أي إسقاطات دينية فلعلّه كان مجرد عيد وثني اعتنقه اليهود وهم في "بابل" لاستمتاعهم بالاحتفال به ثم جلبوه معهم إلى "يهوذا".

خاتـمة

عرضنا في كتاب "101 أسطورة توراتية" الجوانب العديدة لتطور التاريخ التوراتي من هيئته الأولى وحتى شكله الحالي وكيفية حدوث ذلك.

بدأنا بتفنيد أساطير "الخلق" التوراتية لنرى كيف نشأت قصة "الخلق" في المصدرين "اليهوي" و"الكهنوتي" من أسطورة "الخلق" في "طيبة" المصرية. وكيف عرض كل مصدر منهما نفس القصة بطريقة مختلفة بسبب تباين مفهوم الرب في كليهما. فالرب الوارد ذكره في المصدر "الكهنوتي" كان ربًا مترفعًا لا يصل له البشر ولا يتصلون به مباشرة. وكانت قصة "الخلق" الخاصة به صارمة، مجرد ترديد ميكانيكي لأحداث كل يوم من أيام الخلق. أما رب المصدر "اليهوي" فكان ربًا إنساني القسمات، يمكنه التجسد في أشكال عدة، ودائمًا ما ينخرط في الاتصال والتعامل مع البشر. فجاءت نسخته عن قصة "الخلق" بليغة اللغة، مليئة بالتفاصيل والعقد الأدبية وتطورات شخصيات القصة. ولقد كانت في المجمل مهتمة بالموضوعات الأخلاقية.

رأينا في النسختين ذلك الإيمان المبطن بتعدد الآلهة ذي الجذور المصرية. فالمصدر "الكهنوتي" جرد الآلهة من صفاتها التشخيصية وقلص وجودها إلى تلك الظواهر الطبيعية التي كانت تمثلها. أما المصدر "اليهوي" فمحا العلاقات بالظواهر الطبيعية وحول الآلهة إلى شخصيات آدمية حيث اقتصر على مناقشة الإجراءات. تضمنت روايات المصدر "اليهوي" قصص "آدم" و"حواء" وجنة "عدن"، و"قابيل" و"هابيل"، وما إلى ذلك من قصص البشرية على مدى ثلاثة آلاف عام.

لقد ساهم اقتضاب المصدر "الكهنوتي" في تصعيب الأمر على الكتبة في تغيير المسار الروائي للقصص. إلا أن تنقيحهم لها شوه النص الأصلي بحيث ترك لنا سبعة أيام للخلق بدلاً من ثمانية وخطأً في نسب جزء من أحداث ثاني أيام "الخلق" لبداية اليوم الثالث. على الجانب الآخر بدأ المصدر "اليهوي" من طبقة مصرية للغاية بروايات عن "أبناء السماوات

والأرض"، اختلطت هذه فيما بعد وامتزجت بروايات من "بلاد ما بين النهرين". لكن لحسن الحظ أبقى منقحو "التوراة" على الروايتين الأصليتين منفصلتين بلا امتزاج بحيث أمكننا تحليل كل منهما على حدة.

لكن تلك الحالة لم تنطبق على أسطورة "الطوفان". فهنا امتزج المصدران في محاولة لنسج تلك الخيوط المتباينة معًا. لكن مرة أخرى أنتج حل تلك الخيوط عن بعضها البعض اكتشافات مشوقة، فالمصدر "الكهنوتي" ظهر ثانية في هيئته الميكانيكية مرددًا لأحداث "الطوفان" بلا أي تركيز على الشخوص أو المعاملات الإنسانية. ذلك بالإضافة إلى أنه ارتكن إلى التقويم القمري-الشمسي المصري الذي تكون من دورة مدتها خمس وعشرون عامًا تستخدم في تحديد مواعيد الاحتفالات الدينية، فلقد اتبعت الأعياد الدينية المصرية التقويم القمري في حين كان التقويم المدني تقويمًا شمسيًا. ولقد وفر التقويم القمري-الشمسي مواعيد الاحتفاليات الدينية بالنسبة للتقويم الشمسي المدني.

جاءت رواية "الطوفان" التابعة للمصدر "اليهوي" معقدة بعض الشيء. فعلى إحدى المستويات كانت هذه رواية حول التقويم الشمسي الزراعي الثلاثي المواسم في "مصر"، وعلى مستوى آخر كانت تناولاً لأسطورة الخلق المصرية وفق تقاليد مدينة "هيرموبوليس". ووفق تلك الديانة بدأ "الخلق" بأربعة ذكور وأربع إناث خرجوا من الفيضان الأعظم. ذلك الثامون عُرف بإسم "اجدود" أو "الثمانية" والذين للغرابة كانوا جميعًا من أنجبوا الرب الأكبر الخالق. ولقد مثل "نوح" وأبناؤه الثلاث وأزواجهم الأربعةَ ذكور والأربعَ إناث المذكورين في الأسطورة المصرية.

وبصفة أسطورة "الطوفان" إحدى أساطير "الخلق" في المصدر "اليهوي"، كان من الحري بها أن تأتي قبل قصة "آدم" و"حواء" في جنة "عدن". إلا أن التحريفات اللاحقة نتيجة احتكاك العبرانيين بأسطورة "الطوفان" من حضارة "ما بين النهرين" دفعت بنسب تلك الرواية لعاشر جيل من أجيال البشر. فلقد اختلطت رواية المصدر "اليهوي" التي تناولت "أبناء السماوات والأرض" بتلك الروايات من حضارة "ما بين النهرين" حول "الطوفان"، ليحور بذلك السيناريو التوراتي لقصة "الطوفان" ويقذف بها إلى الجيل العاشر من البشر.

والآن، ما إن أصلحنا هذا العطب في رواية "الطوفان" التابعة للمصدر "اليهوي" بحيث عادت لكونها قصة من قصص "الخلق" التي سبقت على روايات جنة "عدن"، حتى تمكنا من

إلقاء الضوء على التضارب المزعوم بين أساطير "الخلق" في المصدرين "اليهوي" و"الكهنوتي"، بحيث رأينا أنهما اتبعتا بنية متوازية من التراث الطيبي. ولقد اتبع هذا الفكر الديني في البداية رواية "الطوفان" الهيرموبوليتية ثم تبعه بالقصة الهليوبوليسية التي تدور حول ظهور السماوات والأرض وآبائهما.

ثم ما إن نضع رواية "الطوفان" الهيرموبوليتية التابعة للمصدر "اليهوي" في بداية الدورة حتى نتبين أنها اتبعت الخط الروائي للمصدر "الكهنوتي". فكلتاهما تبدأ بـ"الطوفان" الهيرموبوليتي، فتجرد رواية المصدر "الكهنوتي" الظواهر الطبيعية من تلك التشخيصية وتجرد رواية المصدر "اليهوي" الشخصيات من القوى الخارقة. ثم تتابعان على نفس المنوال المتضارب في رواية القصة الهليوبوليسية حول خلق "السماوات والأرض" ونسلهما.

تحولنا بعد ذلك في الجزء الثاني لأساطير عصر آباء "إسرائيل". وهنا رأينا أربعة مستويات من التشييد. رأينا قلب هذه القصص التي تم تبنيها من الأساطير المصرية التي تتناول أهم عائلة إلهية دينية وسياسية متمثلةً في "أوزريس" و"إيزيس" و"حورس" و"ست". ولقد كان أفضل تمثيل لهم هو التبادلات بين "يعقوب" و"عيسو"، حيث استطعنا توضيع التوازيات بين الخلافات التي ثارت بين هذين الأخيرين وبين التراث المصري الذي يتناول "حورس" و"ست" التوءمين اللذين اقتتلا داخل رحم أمهما. لقد أخذ كتبة "التوراة" تلك القصص الواسعة الشهرة في "مصر" عند رحيلهم عنها، وحولوها إلى قصص حول أجدادهم وآبائهم المؤسسين للأمة العبرانية، وبذا محوا أي إشارة لأي آلهة أخرى سوى الإله العبراني.

وعلى المستوى الثاني، علمنا بأن الكثير من القصص التي تتناول المؤسسين عكست وجهات نظر أيديولوجية وسياسية متنافسة أدت لانفصال مملكة "إسرائيل" عن مملكة "يهوذا" وهذا دليل على حدوث عملية تنقيح لطبقة التأثير المصري القديم الذي ساد خلال الألفية الأولى قبل الميلاد في زمن لاحق، لربما خلال القرن التاسع قبل الميلاد. وفي هذا المستوى حاول النظامان السياسيان إلحاق رموز خاصة برموز الآباء المؤسسين. فانتهى الحال بنا، على سبيل المثال، إلى الحصول على قصتين مختلفتين حول شخصية ابن "يعقوب" الذي سيقود بيت "إسرائيل" أو "يهوذا" أو "إفرايم"، الذين انتمت أسماؤهم للقواعد الحدودية التي قادت كلا من المملكتين. أو فلنأخذ مثالا آخر، إذ اختلفت الروايات حول المملكة التي وجد فيها قبر زوج "يعقوب".

أما المستوى الثالث فلقد جمع ما بين الفكرة التي تطورت على مر الزمن القائلة بأن "مصر" أمة شريرة اضطهدت العبرانيين قبل زمن "الخروج" والفكرة المضادة لها بأن "بابل" هي أكثر الحضارات تقدمًا ورقيًا في الشرق الأدنى في أواخر الألفية الأولى قبل الميلاد. ونتج عن ذلك أن تحورت القصص المبكرة حول أصول "إسرائيل" القادمة من "مصر". فابتُدعت خلفيات وأشجار النسب تجعل العبرانيين ينحدرون من نسل بابلي وغير مصري. فأعطي لـ"إبراهيم" وطن في "أور الكلدانية" البابلية وهي مقولة تحمل مغالطة تاريخية من وجهة النظر المنتمية لمنتصف الألفية الأولى قبل الميلاد. وبنفس الشكل تحولت شجرة نسب "نوح" إلى جدول للأمم التي عكست بدورها وجهة نظر من منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد، التي فصلت فرع "إبراهيم" المنحدر من "نوح" عن الفرع المصري.

عَمِل المستوى الرابع وفقًا لقواعد الميثولوجيا البسيطة، فابتدع مؤسسين يحملون أسماء مناطق بعينها أو ألحقوا بعض الخرافات بمواقع جغرافية غريبة. وكمثال على الحالة الأولى عرف "رعبعام" بأنه الابن البكر لـ"يعقوب" لأن منطقة "رعبعام" كانت أول المناطق التي استقر بها بنو "إسرائيل" بعد "الخروج". أما المثال على الحالة الثانية فهناك قصة زوج "لوط" التي تحولت إلى عمود من الملح في منطقة عرفت بكثرة ترسباتها الملحية.

لقد بحثنا في الجزء الثالث في أساطير أبطال "إسرائيل" من "موسى" وحتى "استير". ففي قصة "موسى" رأينا كيف أثرت موضوعات التراث المصري في السير الذاتية التاريخية. لقد قرنت المصادر المبكرة "موسى" بـ"حورس" الطفل والمنافس الشرعي على العرش بعد موت الفرعون. وفيما بعد جعله الكتبة واهب "الوصايا العشر" والناموس، بالرغم من أنه لم يكن كاتب تلك الوثائق. وعلى نفس هذا المنوال نرى عدداً من القادة الدينيين خلال القرن السابع قبل الميلاد يحاولون تعزيز سطوتهم بوضع أفكارهم على ألسن أبطال "إسرائيل" الواسعي الشهرة مثل "موسى" على غرار الممارسات الأدبية المعتادة في الشرق الأدنى.

رأينا كذلك في أساطير الأبطال كيف أنتجت النزاعات بين الطوائف الدينية والسياسية قصصاً وأساطير حول العصور الغابرة. فرأينا كيف اتهم "هارون" زورًا وبهتانًا بأنه صنع العجل الذهبي وأن "موسى" عصى أمر الرب وحارب في "مربيه".

والأهم من كل ذلك هو ما رأينا من تبني أساطير الأبطال من مختلف الحضارات الأخرى مع الزعم بانتمائها للتاريخ العبراني. فقصة "شمشون" وهدمه للمعبد ذات أصول مصرية، في

حين أن قصة "استير" بابلية الأصل تحولت لتخدم الأغراض العبرانية. كانت "دبورة" بدورها إلها مصريا آخر تحولت قصته إلى رواية حول بطلة عبرانية. لم يتورع الكتبة العبرانيون الذين قادوا الحملات الإعلامية الطاحنة عن تحويل أعمال أحد الأبطال العبرانيين لغيره، فكما رأينا نسب المؤرخ قتل "جالوت" للملك "داود" بينما في الحقيقة كان جنديه "الحانان" هو من قتله.

أجل، إن "العهد القديم" مجموعة من الأساطير، إلا أنها أساطير تكشف عن الكثير من الحقائق حول التاريخ القديم لـ"إسرائيل"، تمامًا كما تكشف المواقع الأثرية الحقائق التاريخية حول من عاشوا بها. وفيما يتجادل ويتحاور العلماء حول حقيقة وجود آباء "إسرائيل" المؤسسين أو إقامة بنو "إسرائيل" في "مصر" أو حدوث "الخروج" أو استيلاء الملك "داود" على "القدس"، توفر لنا طبقات "التوراة" الأسطورية تاريخًا. رغم افتقادنا للأدلة الأثرية على بدايات "إسرائيل"، تظهر لنا المشغولات الأسطورية وجود تاريخ طويل للديانة الإسرائيلية امتد على الأقل لزمن الآباء المؤسسين، فلقد واجه "موسى" الفرعون حقًا، وخرج بنو "إسرائيل" من "مصر"، ولقد وجدت المملكة الموحدة التي انفصلت فيما بعد إلى مملكتين.

علاوة على ذلك، مع أن التاريخ التوراتي لا يرتفع للمعايير الحالية لكتابة التاريخ، وبالرغم من أن المعروف هو أن "هيرودت" أبو التاريخ إلا أن الكتبة العبرانيين الأوائل ككتبة المصدر "الياء" و"الألف" و"الكاف" و"التاء" هم أول المؤرخين الحقيقيين. فلقد جمعوا القدر العظيم من التراث والوثائق، ثم كتبوا الملاحم البطولية حول نشأة "إسرائيل" التي امتدت لأجيال وانتجت في خضم ذلك أجمل الفنون الأدبية. ولسخرية القدر فإن عملية إدراج كل هذا الكم من الأساطير بداخل تاريخهم هي التي مكنتنا من التحقق من الكثير من الأشياء المفقودة من السجل التاريخي.

قراءات مقترحة

إن الأعمال التالي ذكرها هي مجرد مقترحات للقارئ المتطلع للاستزادة من المعرفة عن بعض الموضوعات التي يطرحها هذا الكتاب. معظم تلك الأعمال المذكورة متوفرة في المكتبات.

إن أفضل المراجع التي تتناول الفرضية الوثائقية هو كتاب Who Wrote the Bible?

للمؤلف Richard Eliot (Summit Books). وهو يتناول تاريخ وتطور مصادر "الياء" و"الألف" و"التاء" و"الكاف". كما يكشف عن تأثيراتها على أول خمسة أسفار من "العهد القديم". يحتوي ملحق الكتاب على جدول مفيد للغاية يقسم آيات "التوراة" وفق المصدر التابعة له. ويحتوي أيضًا على قائمة هائلة بأعمال أعظم الباحثين في التاريخ التوراتي. طبع المؤلف مؤخرًا كتاباً تحت اسم The Hidden Book in the Bible (Harper San Francisco) ، وفيه يستخلص النص القادم من المصدر "اليهوي" في "التوراة" ليعرضه في شكل سرد متصل. يتتبع فيه أيضًا آثار المصدر "اليهوي" في أسفار "العهد القديم" الأخرى. ومع أن النظرية الموسعة لوجود المصدر "اليهوي" لم تلاق قبولاً عاماً لدى الباحثين، إلا أن Friedman باحث مبجل في حقل "نقد المصادر" Source criticism وآراؤه لها ثقل لا يستهان به في هذا المجال.

هناك أيضًا التعليقات المتعددة حول "الكتاب المقدس" والكثير منها تناقش دور مصادر "الياء" و"الألف" و"التاء" و"الكاف" على أول خمسة أسفار من "العهد القديم". ومن الأعمال الجيدة التي تتناول هذا الموضوع كتاب Anchor Bible الذي يتكون من عدة أجزاء منفصلة، كل جزء يمثل سفراً من أسفار "الكتاب المقدس"، ملحق به تعليق أحد الباحثين المعروفين على كل جزء منهم.

توفر معاجم "الكتاب المقدس" طريقة سهلة وسريعة للتوصل إلى معلومات محددة عن موضوع أو جزء ما منه. أحد أفضل هذه المعاجم هو Anchor Bible Dictionary المكون من سبعة أجزاء والذي يتضمن تعليقات العديد من الرواد في مجال دراسة "الكتاب المقدس". أصدر القاموس منذ بضعة سنين فاحتوى على أحدث المعلومات حول المواقع الأثرية في الشرق الأدنى، إذ يلخص آراء العلماء المتعارضة تجاه العديد من الموضوعات. يمتاز هذا المعجم أيضًا بأن له إصداراً على قرص مدمج CD-ROM.

ومن المعاجم المفيدة معجم Harper Collins Bible Dictionary, الذي حرره Paul C. Achtmeier بالتنسيق مع، the society of Bibliccal Literature المنظمة الرائدة لدى باحثي "الكتاب المقدس". حرره أيضًا Madeleine S. and J. Lane Miller.

وفر عصر الفضاء الإلكتروني العديد من البرامج الإلكترونية لدراسة "الكتاب المقدس" فتوفرت ترجمات متنوعة مع توفير القدرة على البحث الفوري عن الآيات التي تحتوي على

كلمات بعينها. والعديد من تلك البرامج توفر مراجع مدمجة معه تتضمن خاصية مطابقة الكلمات بتعريفات المعجم العبري واليوناني، ومعجم "الكتاب المقدس" وأطلس "الكتاب المقدس". ومن أفضل تلك البرامج Quick Verse from Parsons Technonlogy، المتوفر لدى متاجر برامج الحاسب الآلي.

لدراسة أساطير الشرق الأدني يمكنك الإطلاع على كتاب Mythologies of the Ancient World (Anchor, Doubleday) حرّره وكتب مقدمته Samuel Noah Kramer المتخصص المحنك في نصوص الشرق الأدنى. يتولى الإشراف على كل موقع جغرافي باحث واحد ويضيف تعليقاته وتحليلاته حول الأسطورة المنتمية للمنطقة الخاصة به. ولقد كان من نصيب Kramer كتابة الجزء الذي يتناول "سومر" و"آكاد".

يوجد العديد من الموسوعات المزودة بالرسومات التوضيحية الجميلة التي تتناول نفس الموضوع، منها Mythology: An Illustrated Encyclopedia (Rizzoli) , edited by Richard Cavendish; the New LaRousse Encyclopedia of Mythology (Putnam) , Egyptian Mythology {Paul Hamlyn) , and Near Eastern Mythology .(Hamlyn) , by John Gray

أما بالنسبة للذين يفضلون النصوص القديمة على الملخصات، هناك المرجع الرئيسي Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (Princeton University Press) , edited by James B Pritchard. وهي مجموعة هائلة من وثائق الشرق الأدنى القديم القادمة من العديد من الحضارات والأمم، والتي أضيفت لها بعض المقدمات المقتضبة. أصدر المؤلف جزء مرافق آخر تحت اسم The Ancient Near East in Pictures (.Princeton University Press). من غير المرجح أن تستطيع العثور على نسخة كاملة من هذا الكتاب في مكان خارج المكتبة العامة، إلا أن النسخة المختصرة المطبوعة في نسخة ورقية من جزئين يمكن العثور عليها بسهولة في متاجر بيع الكتب.

للاطلاع على النسخة المترجمة من أسطورتَي "الخلق" و"الطوفان" البابلي يمكنك قراءة أعمال Alexander Heidel, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels (University of Chicago Press) and The Babylonian Genesis (University of Chicago Press). وللاطلاع على بعض نصوص أساطير "الخلق" المصرية يمكنك قراءة

.Genesis in Egypt (Van Siclen) in the Yale Egyptological Studies series

إن أفضل الكتابات التي تتناول الدورة الأسطورية المصرية لـ"أوزريس" هي التي كتبها Plutarch in his Isis And Osiris. فالنص دائمًا يظهر في شكل ملخص ولا يكتب بشكل كامل في معظم الإصدارات الأدبية ما عدا ذلك المذكور في إصدار the Loeb Classical Library المطبوع باللغة الإنجليزية واليونانية في خمسة مجلدات في إصدار Plutarch's Moralia. يوجد أيضًا الكثير من الكتابات المصرية المترجمة لأساطير The Contendings of Horus and Set, including The Literature of Ancient Egypt (Yale University Press), edited by William Kelly Simpson, and Ancient Egyptian Literature, Volume II (University of California Press) , by Miriam Lichtheim.

لقد كتب العديد من المؤرخين الكلاسيكيين عن "مصر" القديمة مثل Herodotus, Diodorus, Siculus, Plutarch, and Josephus (in his Antiquities). أما بالنسبة للمؤرخون المحدثون فيمكنك الإطلاع على كتاب Sir Alan Gardiner's Egypt of the Pharaohs (Oxford University Press) , written in 1961، الذي صار من الأعمال الكلاسيكية الآن. أما بالنسبة للكتب الأكثر حداثة فهناك A History of Ancient Egypt (Blackwell) , by Nicolas Grimal, published in 1994.

ولتصفح تاريخ "بلاد ما بين النهرين" يمكن اللجوء لكتاب Sumer and the Sumerians (Cambridge University Press) , by Harriet Crawford, and Babylon (Thames and Hudson) , by Joan Oates. يمكنك أيضًا الإطلاع على الأطلس الملون Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East (Facts on File) , by Michael Roaf.

ولأخذ فكرة عامة عن مناطق الشرق الأدنى الأخرى يمكنك البحث عن كتاب The Sea People: the Secrets of the Hittites (Schocken Books) , by C. W. Ceram; Ugarit and the Old Testament (Erdmans), by Peter C. Craigies; and the Phoenicians; The Purple Empire of the Ancient World (William Morrow) by Gerhard Herm.

للبحث الأكاديمي المفصل للشرق الأدنى القديم، لا يوجد ما يفوق المرجع المتعدد

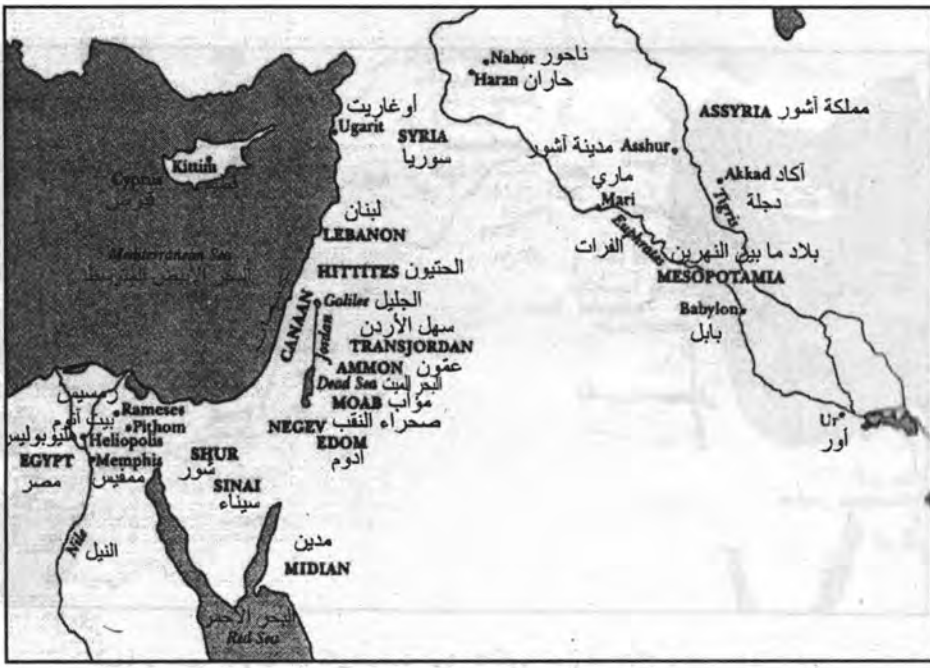
الأجزاء Cambridge Ancient History. ويغطي كل جزء عصراً محدداً سياسيًا وحضاريًا ودينيًا وتاريخيًا من مناطق "مصر" و"بلاد ما بين النهرين" و"كنعان" و"سوريا" و"اليونان" و"الأناضول".

وأخيرًا، للاطلاع على الأطروحات المعارضة للآراء التقليدية عن أصول الحضارة التوراتية أوصي بقراءة كتابي The Moses Mystery (Birch Lane Press) , reprinted as The Bible Myth (Citadel). والطرح هنا يعارض الفكرة القائلة بتطور بني "إسرائيل" من داخل الحضارة البدوية السامية Nomadic Semitic في "بلاد ما بين النهرين" و"كنعان"، فيقول بأن بني "إسرائيل" ظهروا على حين غرة في "مصر" في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كأتباع للديانة التوحيدية للفرعون "إخناتون"، وأنهم رحلوا عن "مصر" في أعقاب ثورة عنيفة مضادة. يقارن الكتاب أيضًا ما بين تاريخ آباء "إسرائيل" والدورة الأسطورية المصرية، ليبين التوازيات بين الاثنين.

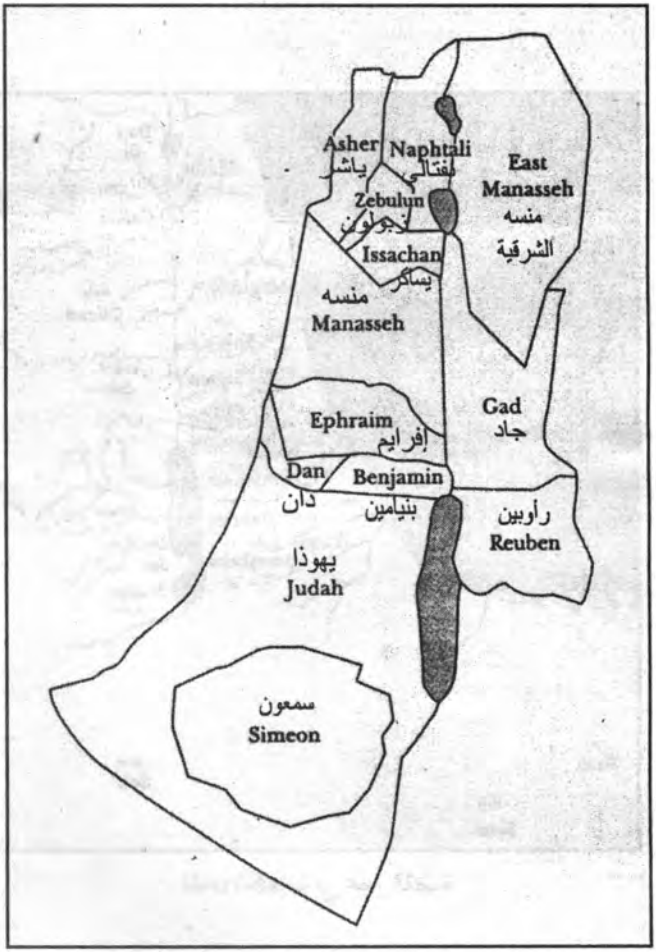
جـدول الخرائـط



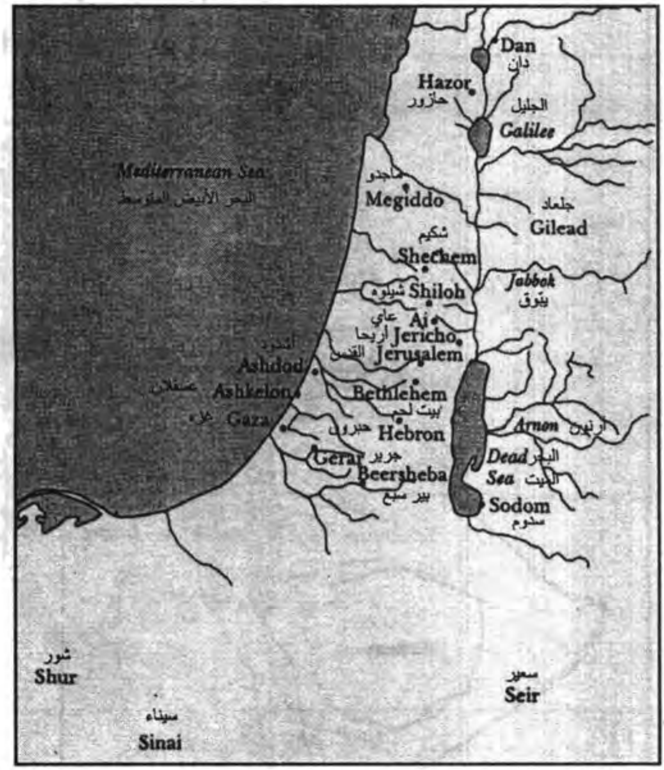
العالم في عصر آباء إسرائيل كما جاء في سفر التكوين- أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد



العالم التوراتي– أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد



توزيع أسباط إسرائيل الإثنى عشر بعد الغزو الكنعاني



المدن الكنعانية في عصر القضاة

تعريف بالمؤلف

جاري جرينبرج

- يعمل كمحام في مدينة نيويورك وكرئيس لمجتمع علوم الآثار الإنجيلية في نيويورك. مؤلف كتاب "أحجية موسى: الأصل الإفريقي للشعب اليهودي" "The Moses Mystery: The African Origins of the Jewish People" (بيرش لين بريس، 1997) الذي أعيدت طباعته في نسخة ورقية تحت اسم "أسطورة التوراة: الأصل الإفريقي للشعب اليهودي" The Bible Myth: The African Origins of the "Jewish People" (سيتاديل، 1998). هو أيضًا عضو في مجتمع الأدب الإنجيلي، ومجتمع مصر للتنقيب، ومركز الأبحاث الأمريكي في مصر، ومعهد الآثار الأمريكي، والمجتمع التاريخي. كتب في العديد من دوريات المصريات وحافظ على موقع إلكتروني عن أساطير وتاريخ الشرق الأدنى القديم تحت اسم /http://ggreenberg. tripod. com/ancientne. كما يمتلك موقعًا شخصيًا تحت عنوان: http://ggreenberg. tripod. com حيث يوفر أنباء ومعلومات حول نشاطاته المتنوعة.
- ألقى السيد جرينبرج مرارًا وتكرارًا محاضرات في التاريخ القديم والميثولوجيا والدراسات الإنجيلية، كما تقدم بأبحاث للعديد من المؤتمرات الدولية الذائعة الصيت المهتمة بالشؤون المصرية و/أو الإنجيلية، بما في ذلك المحفل الدولي لعلماء المصريات (9 /95) ، والاجتماع الدولي لمجتمع الأدب الإنجيلي (7 /97) والعديد من المؤتمرات الدولية لمركز الأبحاث الأمريكي في مصر.
- يعمل السيد جرينبيرج كمحام أول في قسم الدفاع الجنائي التابع لمجتمع الدعم القانوني في مدينة نيويورك. ولقد ظهر كضيف للتعليق على برنامج كورت تي في Court TV. ألف العديد من الكتب المتنوعة منها رواية وكتاب في برامج الحاسب الآلي. يعمل حاليا رئيس تحرير مجلة بازني BASNY وهي رسالة إخبارية عن الآثار.

هو رئيس التحرير السابق لمجلة آوت لوك Outlook وهي جريدة للتعليق السياسي.
نشـرت أعمالـه فـي Journal of the society for the study of Egyptian Antiques, Discussons in Egyptology, KMT Magazine, the New York Law journal, The Champion, Creative Computing, Personal Computing, Compute, Microcomputing, Kilobaud, Torpet, The Abolitionist, Outlook, New York Libertarian, and the Libertarian Forum، كما تمت استضافته في العديد من البرامج.

١٠١ أسطورة توراتية
كيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي

يلجأ البشر لقراءة الكتاب المقدس " the Bible " لأسباب شتى. فبعضهم يبحث عن الهدى والرشاد في حكمه المبطنة. وبعضهم يسعى لتذوق فنه الأدبي الذي يعد من أجمل ماكتب في السرد والشعر المرسل. ولم يزل البعض الآخر يرى فيه صورة من صور التاريخ المكتوب عن أصل جذورنا الحضارية. فيما يرنو له الكثيرون لتبصر أحوال حضارات غابرة ومطالعة حياة شعوبها.

لكنه، يظل بالنسبة للملايين، كلمة الرب المعصومة من الخطأ، التي يجب إطاعة وصاياها بكل تقوى، والتي لابد لتعاليمها أن ترشدنا لتنظيم مجتمعنا. مع ذلك فهناك من يدرسون علوم الكتاب المقدس لأهداف بحثية ترمي لتحديد شخصيات كتبته، وعصور كتابته ومافيه من وقائع حقيقية وكيفية تحولها للشكل الحالي، بالنسبة لهؤلاء تبدو تلك المهمة كأنها مجموعة معقدة من الأحاجي التي يبقى معظمها مستغلقاً على الحل.

كتاب "١٠١ أسطورة توراتية ". يعرض الجوانب العديدة لتطور التاريخ التوراتي ، من هيئته الأولى وحتى شكله الحالي، وكيفية حدوث ذلك، يتناول الكتاب قصص العهد القديم بالفحص والتمحيص، لإظهار الطابع الأسطوري لهذه الروايات. يحاول الكتاب أن يبسط العديد من الفرضيات التي يتفق على صحتها معظم علماء اللاهوت، إلا أنه يعرض في العديد من الحالات الأخرى وجهات نظر جديدة تجاه بعض الأمور المحيرة التي لم يبحثها المجتمع الأكاديمي بشكل جيد بعد، لينصب اهتمام البحث بشكل خاص على إظهار التأثير العظيم للأساطير والكتابات المصرية القديمة على التاريخ المبكر للعهد القديم وهو الأمر الذي تم تجاهله.

دار العين للنشر

9 789774 902208